ظاهرة الكدية فى الأدب العربى

نشأتها وخصائصها الفنية

تأليف الدكتور
حسن إسماعيل عبد الغنى

مكتبة الزهراء
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١ م

تصـــــدير

بقلم الأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم

عميد كلية الدراسات العربية جامعة المنيا

-١-

عجبت من الزمان وأى شىء عجيب لاأراه من الزمان

أتأخذ قوت جرذان عجـاف فتجعله لأوعـال سمان

نحن هنا - ومن خـلال هذين البيـتين فى الشعر - إزاء خاصة رئيسية لظاهرة الكدية وهى شكوى الزمان . أوبعبارة أخرى أكثر تفصيلا : نحن هنا إزاء جملة خصائص تتداخل ويتسبب بعضها عن بعض أو يفسربعضها الآخر : فالشاعر لا يرسل شكواه بطريقة فلسفية تجريدية ، تلعن الزمن ثم لا تزيد . بل إن شكواه تتمثل فى شىء معين ، وهو هذا التناقض الرهيب بين عالم الفقراء من جهة ، وعالم الأغنياء من الجهة الأخرى . وهو أيضا لا يصور هذا التناقض بطريقة تأملية جافة ، بل يصوره بروح ساخرة مفارقة . تشير إلى الفئران كرمز إلى عالم الفقراء ، فى مقابل الثيران كرمز لعالم الأغنياء .

-٢-

وأدب الكدية هو نتيجة تلك الثنائية الحادة فى التاريخ العربى (الأغنياء فى مقابل الفقراء و الخاصة فى مقابل العامة) والتى ظلت تفرض سطوتها بوضوح وحسم كتيارين لا يلتقيان ، وكأنما هذا نظام طبيعى وسنة كونية ، فكما أن الليل لا يلتقى مع النهار والأبيض لا يتساوى مع الأسود ، فقد كتب فى الأزل أن يظل الغنى فى غناه ، وأن يظل الفقير فى فقره . ونتيجة لهذا استأثر أدب الخاصة بالاهتمام ، وركزت كتب الأدب والنقد والتاريخ على شعراء الخاصة والذين يمدحون الملوك والسلاطين . أما أدب العامة فقد توارى فى الظلام ، يتناقله الناس فيما بينهم وكأنه شفرة سرية ، ويذكره المؤلفون فى كتبهم على استحياء . بل وبنبرة تحمل الكثير من الازدراء وتضع هذا الأدب فى مرتبته الثانية .

ومناقشة تلك الثنائية تقربنا كثيرا من لب التاريخ العربى ، ودون هذه المناقشة لا نستطيع أن نتفهم التاريخ العربى ، فضلا عن أن نغيره . إن الاقتراب من تلك الثنائية ، يجعلنا على الأقل نلتمس الإجابة على تساؤلات كثيرة محيرة ، إن الاهتمام بأدب الخاصة قديما (مثلا) ، وإن بداية الاهتمام بأدب العامة حديثا (مثلا أخر) ، قد لا نجد له إجابة إلا فى تلك الثنائية المسيطرة قديما ، أو فى محاولة الانفكاك من تلك الثنائية حديثا .

وقد لفتت ظاهرة الكدية حديثا نظر الباحث الدكتور حسن إسماعيل ، فأفرد لها رسالة جامعية " كاملة " تحت عنوان " ظاهرة الكدية فى الأدب العربى الفصيح : نشأتها وخصائصها الفنية " . ونضع " كاملة " بين قوسين ، لأن الباحث فعلا يتعقب تلك الظاهرة ، ويحاول أن يقترب من ماهيتها (الباب الأول) ، وأن يتفهم فلسفتها (الباب الثانى) ، وأخيرا يحدد ملامحها الفنية (الباب الثالث) ، ثم يعقب كل ذلك بملاحق علمية .

حقا ، هناك دراسات سابقة حول هذه الظاهرة ، تعكس الاهتمام المعاصر بأدب الفقراء والعامة ، ولكن دراسة الدكتور حسن إسماعيل تتجاوز كل الدراسات السابقة ، هو لا يغمطها حقها ، فيناقشها بموضوعية وإنصاف فى مقدمة رسالته ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يغمط حق دراسته ، إن رسالته تبدأ من هؤلاء ولكنها أيضا تسير بعد هؤلاء .

إن معظم الدراسات السابقة تتعرض لظاهرة الكدية عرضا ، كفصل أو جزء من فصل خلال كتاب عام يتناول موضوعات كثيرة ، وبعض الدراسات التى أفردت ظاهرة الكدية فى كتاب مستقل ، شغلت نفسها باستطرادات تاريخية ، تتعقب هذه الظاهرة فى بطون الكتب ، وتقارن بينها - فى سفسطة أحيانا - وبين ظواهر متشابهة ، دون أن تلقى كبير اهتمام على هذه الظاهرة كملمح فنى . والبعض الآخر قد ركز على ظاهرة الكدية فى أدب المقامات ، وعلى حساب تتبع هذه الظاهرة فى المجالات الأخرى.

أما هذه الدراسة فلعلها الأولى فى بابها ، التى تنصب مباشرة على ظاهرة الكدية ، وتستخلص ملامحها الفنية فى باب مستقل ، دون أن تستهلك نفسها فى سرد أحداث تاريخية ، أو استعراض معلومات عامة ، دون أن تنزلق إلى أرض مطروقة كأرض المقامات ، فتكرر نتائج قد استهلكها الدارسون من قبل .

- ٤ -

ويخصص الدكتور حسن إسماعيل الباب الأول من كتابه لتحديد ماهية مصطلح الكدية ، ويتتبع تعريفات هذا المصطلح فى المعاجم وفى كتب اللغة والتاريخ ، ويستقصى ذلك بإحاطة ، حتى يصل إلى معنى مشترك بين كل هذه التعاريف ، يشير إليه بقوله :

" إلا أننى أرى - على الرغم من هذا التعدد - أنها تعود إلى أصل واحد ، هو الامتناع بكل أشكاله ، فشدة الدهر ، وصلابة الأرض ، وقلة المطر ، وجدب العام ، وقصر النبت من البرد ، هو شكل من امتناع الطبيعة عن أن تجود بما تحويه من خيرات ، تلين صلابة الدهر ، وتخرج الزروع من الأرض ، وتسقط أمطار السماء . وكذلك قلة عطاء الرجل ، وإمساكه عن العطية وبخله ، هو امتناع من الإنسان عن مساعدة الآخرين ، وحتى

المعنى المستنبط من شرح الآية الكريمة " أعطى قليلا وأكدى " يعود إلى هذا الأصل ".

-٥-

ولكن الإنسان لا يقف عند حدود التعاريف اللغوية الصماء ، حقا إن المكدى لا يجود كالأرض التى لا تنبت ، أو كالبئر التى لا تبض الماء . ولكن هذا لا يمر دون أن يترك تأثيره على الإنسان ، وينطلق الشاعر أو الأديب يعبر عن هذا التأثير ، ويشكو الزمن وسوء الحال .

وهنا يدخل المصطلح سياقه التاريخى ، ويكتسب دلالات إنسانية تضيف إلى معناه اللغوى ، إن البيتين السابقين أول هذا الكلام ، قد اقتبستهما من فصل تحت عنوان " شكوى الزمان " .

وهنا نصل إلى الباب الثانى فى هذا الكتاب ، وهو باب مختص بتلك الإضافة الإنسانية ممثلة فلسفة الكدية .

ويحاول الدكتور حسن إسماعيل خلال الفصول السبعة التى تشكل هذا الباب ، أن يقع على " خصوصية " لهذه الفلسفة ، تميزها عن التيار التقليدى فى تاريخ الأدب من ناحية ، وغيرها من الظواهر المشتركة من الناحية الأخرى ، وهنا نقدر للباحث جهده فى بيان الفروق بين قصيدة المدح التقليدية وقصيدة المدح عند أهل الكدية ، أو الفروق بين الحكمة عند الشعراء التقليدين والحكمة عند أهل الكدية ، إن مثل هذه الجهود وهى كثيرة ومتناثرة فى ثنايا الدراسة ، محاولة جادة من الباحث لاكتشاف خصوصية هذه الظاهرة .

- ٦ -

ويدرس الدكتور حسن إسماعيل فلسفة الكـدية تحت عنوان " موضوعات أدب الكدية " ، وهو محق ودقيق فى تلك التسمية ، فآراء أهل الكدية لم تصل إلى حد الفلسفة المتكاملة ، بل هى عدة موضوعات ، قد تتميز بالحكمة السريعة ، أو الخبرة الزكية ، أو الشكوى المريرة ، ولكنها فى جملتها ذاتية ، إن ما قاله الدكتور حسن إسماعيل عن الوصف عند المكدى بأنه وصف ذاتى خالص ، يمكن أن ينطبق بصورة ما على بقية الموضوعات ، إنها تقف عند حد الشكوى الذاتية ، وإنها تعبر عن " وضعية " طائفة فى سلم المجتمع ، لم تساعدهم تلك الوضعـية على الوقوف بجانب الشعراء التقليدين ، الذين تتميز جملهم بالجزالة ، وأفكارهم بالعمق .

- ٧ -

والنتيجة الحتمية لهذه الوضعية ، أن فلسفة تلك الطائفة ، أو بتعبير أدق موضوعات هذه الطائفة ، لم تصل إلى حد الثورة والتمرد ، إنها تعكس سيطرة السلم الاجتماعى ، وتعكس درجة هذه الطائفة داخل هذا السلم ، فهم يكتفون بالاستجداء واسترحام القلوب ،

ويرضون بالنذر اليسير ، ويلهجون على أى حال بالثناء الكثير .

لم يكن الشاعر الصعلوك فى العصر الجاهلى قليل الحيلة ، ولم يكن مجتمعه على هذه الحدة من الفروق الطبقية ، فجاء شعره يحمل الثورة والتمرد . ولم تكن طائفة العيارين والشطار والحرافيش فى السير الشعبية ، بمثل هذا التخاذل ، فقد كانوا يمثلون " الحلم " الذى افتقده الإنسان العربى فى واقعه ، فراح يتطلع إليه فى سيره الشعبية .

إن مثل هذه القضايا تضئ الظاهرة وتساعد على تحريرها ، ولكن الدكتور حسن إسماعيل يلمسها بخفة ، ويقترحها على باحث آخر يأتى بعده فيتحمل دونه هذا العبء ، ونحن بدورنا لن نعفيه من هذا التملص ، ونراه دون غيره خير من يضطلع بهذه المهمة فى دراساته القادمة .

- ٨ -

أما الباب الثالث فهو عن الملامح الفنية ، ويحاول الدكتور حسن إسماعيل خلال فصوله السبعة ، أن يركز على الملامح التى تمنح الظاهرة خصوصيتها الفنية ، فبناء القصيدة هنا يختلف عن بناء القصيدة التقليدية ، إنه فى غالب الأحيان قصير ، ينصب على غرضه مباشرة ، ودون التمهيد بمقدمات مطولة ، وهو فى بعض الأحيان يسخر من المقدمة الطللية ، ويتحيز نحو مقدمة تتناسب وغرضه ، وهو يميل إلى لغة سهلة ، قد تعتمد على المبالغة والتهويل ، وقد تلجأ إلى التصوير الكاريكاتيرى الساخر ، وغير ذلك من ملامح تميز هذه الظاهرة وتقف بها على أعتاب مدرسة أدبية .

- ٩ -

ولم يكتف الدكتور حسن إسماعيل بهذه الدراسة الفنية الشاملة ، بل أضاف إليها فى نهاية كتابه ملحقاً علمياً عن مصطلحات الكدية .

هو حقا فى مصطلحاته يكتفى بالمفردة ومعناها ، وكأنه إزاء شرح مدرس لقصيدة غامضة ، ولكنه معزور فما هو بمستطيع شيئا غير ذلك ، فهذه المصطلحات ذاتية ضيقة ، أشبه بالشفرة السرية ، يتناقلونها وهم بمنجاة من أعين الرقباء ، أهل الاستبداد والسطوة ، ومن هنا فهى لم تتطور ، ولم تكتسب دلالات تاريخية ، ولا معانى مشتركة ، تتيح للباحث أن يتتبع تطورها من خلال سياقها التاريخى .

ولكن الدكتور حسن إسماعيل لم يترك هذا الجدول دون قراءة ، فقدم فى فصل " اللغة دراسة علمية ، من خلال جداول عن صيغ الأفعال ، أو صيغ الجموع ، أو البنية الصرفية ، أو الترادف والمشترك اللفظى والاشتقاق ، أو الأصول الفارسية ...الخ .

وكل الدلائل تشير فى نهاية الأمر ، إلى أن هناك شخصية للمكدى ، يمكن أن تتطور إلى " شخصية نموذجية " . وإلى أن هناك ظاهرة للكدية يمكن أن تتطور إلى " مدرسة أدبية "

ولكن كل الدلائل توقفت عن أن تؤدى إلى نتائجها المتوقعة . فشخصية المكدى لم تتطور ، وظلت فى الأدب الفصيح على حالة ثابتة ، قسماتها فقيرة ، لم تتغير من كتاب إلى كتاب ، إلا فى التفصيلات الجزئية .

وظاهرة الكدية لم تتطور إلى أن تكون مدرسة ، وكل ما بها من خصوصية هى خصوصية ضئيلة ، لم تنهض بها إلى درجة مدرسة ، وهى من أجل تلك الخصوصية الدنيا ، نظر إليها الأدباء والنقاد والمؤرخون نظرة ازدراء ، تضعها فى المرتبة الثانية ، قياسا إلى أدب الخاصة والأغنياء .

ولابد أن يكون لكل هذا تفسيره التاريخى . ولابد للدكتور حسن إسماعيل أن يتوقف طويلا عند هذا التفسير ، ولكنه يمر على ذلك عجلان ، وربما كانت حجته . كما ذكر فى المقدمة - أنه لا يهتم بسرد التاريخ ، فالتاريخ مبسوط فى الكتب ، وهو مهيأ لمن يريد أن يلتمسه . ولكن السرد التاريخى غير التفسير التاريخى ، السرد عرض وتطويل ، والتفسير عمق وتحليل .

وربما يقال بأنه لا فائدة من سرد التاريخ أو حتى فى تفسيره ، فما كان كان ، وما لم يكن لم يكن ، والبحث عما هو غير كائن قد يكون نوعا من الفضول .

وهذا حق فسرد التاريخ أو تفسيره لا يفيد فى تغيير الماضى ، ولكنه قد يفيد فى أن يكون عبرة للمستقبل ، ولا يمكن تغير التاريخ نحو الأفضل إلا بعد تفهمه وتفسيره كما أكدنا ذلك منذ البداية .

ويأتى كتاب الدكتور حسن إسماعيل فى نهاية المطاف " رد اعتبار " لهذه الطائفة التى توارت فى الظلام ، وهو فى الوقت نفسه " صرخة احتجاج " حول العوامل التى توقفت بهذه الظاهرة عن أن تؤدى إلى نتائجها المرجوة .

وبين رد الاعتبار وصرخة الاحتجاج يمكن أن نتفهم التاريخ ، ومن ثم نستطيع أن نغيره ولو لم يكن فى كتاب الدكتور حسن إسماعيل إلا هذه النتيجة الأخيرة لكفاه .

أ . د . عبد الحميد إبراهيم

المقـــدمة

تعد الشخصية المكدية من أبرز الشخصيات بين أوساط الطبقات الدنيا ، وإليها تنسب حرفة الاستجداء والتسول ، ويعود أصل طائفة الكدية إلى ساسان أحد ملوك العجم ، ولقد أخذت فى الظهور والتميز فى المجتمع العربى منذ أيام الجاحظ ، الذى نوه عنهم وذكرهم فى أدبه .

ويعتبر أدب الكدية وليد العوامل السياسية والاقتصادية المضطربة وبخاصة فى العصر العباسى ، الذى شهد تقلبا فى أوضاعه السياسيـة ممثلا فى ضعف خلفائه ، وسطوة الأتراك والفرس وسيطرتهم على مقاليد الحكم فى البلاد ، وانقسام المملكة الإسلامية إلى دويلات متفرقة مما أضعف من قبضتها ، ولقد كان لهذا كله أثره على الحالة الاقتصادية ، مما أدى إلى ظهور طائفة من الناس حاولت أن تشق طريقها وسط هذا الضباب عرفت باسم الكدية ، واختارت التلون جلدا لها تظهر به أمام الناس ، واتخذت من الحيلة شعارها ، وجعلت القاعدة العريضة جمهورها ، تستجدى منه بظرفها وحيلها وخفة أبياتها .

ولقد شغلتنى الشخصية المكدية بما تمتلكه من صدق فنى فى التعبير ، وبما لديها من قدرة فائقة على تجسيم وتصوير واقعها ، وما فى جعبتها من حيل وفنون طريفة ، وما فى أدبها من جوانب إنسانية يمثل نمطـا غير الذى ألفناه فى كتب التراث ، لذا حاولت أن أقترب من عالم هذه الطائفة بالدرس والتحصيل ، للكشف عن معالمها ، وللوصول من خلالها إلى القاعدة العريضة التى عبرت عنها ، ومحاولة منى للخروج عن الإطار النمطى للموضوعات الكلاسيكية الأدبية .

على أن هذا الاختيار وضعنى فى موقف صعب لندرة المصادر التى تناولت هذه الطائفة ، لأن كتب التراث حوت بين جنباتها الكثير من أدب البلاط ، وتجاهلت فى مقابله أدب الطبقات الدنيا بما يحويه من بؤس .

يضاف إلى هذا ندرة الدراسات الحديثة التى تناولت طائفة الكدية وأدبها فى بحث متكامل ، لذلك فهى معدودة ، وليست الكدية علما عليها ، بل تمثل جانبا منها ولعل أول من فتح بابها الأستاذ صلاح الدين المنجد عبر كتابه (الظرفاء والشحاذون ، فى بغداد وباريس) ، ولقد تناول فى المبحث الثانى منه والخاص بالشحاذين ظاهرة الفقر والكدية ، لكن بصورة اعتمدت فى كثير منها على النقل من الأصل دون زيادة ولاتعليق من قبل المؤلف ، أعقبه بحديث عن الشحاذين فى باريس ، متجاهلا عبر تناوله للظاهرة الحديث عن جذورها ، وصور الاستجداء المختلفة ، والخصائص الفنية لهذا الأدب ، ولكن له عذره فى ذلك فقد قال عن دراسته فى مقدمة كتابه (ومهما يكن من أمر فستجد فى كتابى هذا مبحثين ، موجزين ، بكرين)[1].

ويأتى اسم الكدية عنوانا فى دراسة للأستاذ عبدالنافع طليمات ، بعنوان (أهل الكدية أبطال المقامات فى الأدب العربى) وهى دراسة قصيرة جلها فى فن المقامة ، ختمها بحديث عن أهل الكدية فى المقامات من حيث أصلهم واصطلاحاتهم فى الاستجداء ، وتصوير الجاحظ لهم ، مع نقل للقصيدة الساسانية كما هى ، وينتهى هذا المبحث دون أن نعثر معه على ملامح الشخصية المكدية[2] .

وخص الأستاذ طاهر أبو فاشا فصلا من كتابه (الذين أدركتهم حرفة الأدب) ، للحديث عن بعض الشخصيات المكدية كأبى الشمقمق ، وأبى فرعون الساسى ، وأبى الرقعمق ، وابن لنكك ، لكن هذا الفصل جعله منطلقا للتأكيد على أن الأدب يبرأ من إكداء هذه الشخصيات ، ولقد كان هذا الأمر هو شغله الشاغل منذ الوهلة الأولى لتأليف كتابه حتى أنه قال فى تصديره (أردت أن أوكد

---

(١) الظرفاء والشحاذون فى بغداد وباريس المقدمة ، وانظر حديثه عن المبحث: الثانى من ٨٣ - ١٢٧ .

(٢) انظر ذلك : أهل الكدية أبطال المقامات فى الأدب العربى من ٦٨ : ١٠٩

فى هذه الفصول أن الأدب ـ من حيث هو أدب ـ لايمكن أن يكون لعنة تنصب على رءوس الأدباء ، وأن الذين حورفوا من الأدباء تجد لحرافهم أسبابا مختلفة ليس الأدب واحدا منها)[1] .

ويرى الدكتور محمد رجب النجار أن استكمال جوانب دراسته حول حكايات الشطار والعيارين تفرض عليه أن يتعرض لطائفة منهم توسلت باللصوصية عن طريق لطائف الخدع ، وغرائب الحيل ، وينتمون إلى الكدية ، لذا تناول الكدية لكن فى صفحة واحدة ، حتى أنه خشى أن يستطرد فى حديثه عنها أكثر من ذلك ، فتدارك أمرة وعاد إلى وصايا اللصوص[2] .

ويتفرد كتاب الأستاذ أحمد الحسين بحديث خاص عن الكدية ، وهو من سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية السورية ، وعنونه مؤلفـــه (بأدب الكـدية فى العصر العباسى) ولن نقلل من شأن الكتاب وصاحبه ، فهو بداية طيبة للوقوف على أدب الكدية ، لكن يؤخذ عليه قصر النظرة بشأنه ، وإغفاله لكثير من موضوعات المكدين كالرحلة والتجوال ، والاستجداء بأنواعه ، وشكوى الزمان ، والحكمة، والوصف، واكتفائه بحديث عن مجونهم وخلاعتهم ومديحهم الذى اعتبره غرضا محدودا فى شعرهم ، وكذلك الهجاء واعتباره انتساب بعض شعراء الكدية فى مقدمـــات قصائدهم لساسان هو فخر وجعله أحد موضوعــاتهم .

ولقد خص الدراسة الفنية لهذا الأدب بثمانى عشرة صفحة ، مما أظهر عجزها عن كشف ملامحه ، فليس هناك حديث عن تنوع مقدمات قصائد المكدين ، أو لغتهم الأدبية ، أو صورهم الفنية ، أو جانب الفكاهة لديهم إلخ ، ومن الأشياء الغريبة أنه فصل بصورة تعسفية بين أدب الكدية شعره ونثره ، وفى النهاية فالكتاب يصلح كقراءة ممتعة لعوام الناس ، يتعرفون خلاله عالم الكدية ، وليس

---

(١) الذين أدركتهم حرفة الأدب ص ٥ ، وانظر فصله عن الشخصيات المكدية من٤٢ - ٥٩ .

(٢) انظر فى ذلك:حكايات الشطار والعيارين ٤٦ - ٤٧ .

دراسة أكاديمية تعتمد على التأصيل واستقراء النصوص .

وحظى أدب الكدية بدراسة منهجية واحدة لباحث عراقى اسمه عبدالهادى محمد خير حرب ، سجلت فى جامعة الأزهر بعنوان " أدب المحتالين الكدية سماته واتجاهاته " وجاءت فى ٦٦٧ صفحة ، ولعل هذا العدد يكشف لنا بوضوح عن كنه محتواها.والدراسة تقليدية تميل فى كثير منها إلى العرض أكثر من التعمق فى القضايا فالباحث استهلك جهده فى تتبع ظاهرة الاحتيال والكدية فى الأدب العربى ككل ، مما أوقعه فى كثير من الخلط عندما ربط بين بعض الظواهر الأدبية والكدية ، من مثل اعتباره الصعلكة والتكسب بالشعر عند بعض الشعراء الجاهليين يدخل فى إطار ظاهرة الكدية ، وأن شكوى العمال فى العصر الأموى كدية ، وأن مديح الشعراء بصفة عامة هو نوع من الكدية ، متناسيا أن هذه الظواهر السابقة تختلف فى كثير منها عن الكدية التى لها ملامحها التى تميزها ، ورجالها الذين يندرجون تحتها .

وجاء الحديث عن الكدية فى المقامات ليمثل الأغلب الأعم من هذه الدراسة ، فقد تتبعها بحديث مفصل من النشأة حتى العصر الحديث ، سواء من حيث تعريفها أو فنيتها ، أو ما قام حولها من دراسات ، وخص منشئها بديع الزمان بدراسة مسهبة طويلة تحدث فيها عن شخصيته ومكانته الأدبية ورحلاته مع عرض لكثير من نماذجه الأدبية ، وكذلك ترجم للحريرى ، وتحدث عن أدب الكدية بعده وبخاصة مقامات اليازجى .

ويمثل أدب الكدية فى الرسالة الجانب الأقل على الرغم من كبر حجمها ، ويعاب على صاحبها إغفاله للدراسة الفنية لهذا الأدب مع أنه ذكر فى عنوان رسالته مايشير أنه سيدرسها ، وكان يحق له أن يخصها بباب مستقل دون الإحالة إليها فى تضاعيف كلامه .

ولقد كان لطول الفترة الزمنية المنوطة بالدراسة أثرها على قدرة الباحث على التحليل واستقراء النصوص ، حتى أنه اكتفى فى كثير منها بالنقل دون

التمحيص ، وكان يكفيه دراسة الكدية فى عصر بعينه ، كالعباسى أو الحديث لانتشار هذا الأدب به وإغفاله لما قبلهما ، لعدم توافر النصوص التى تدل على وجود هذه الظاهرة ، إلا أنه يشهد له فى النهاية إطلاله على عالم الكدية من قريب على الرغم من المؤاخذات السابقة .

وهكذا لم تتناول الدراسات السابقة الظاهرة بصورة كلية ، حتى من اقترب منها لم يجمع شتاتها ، ويقوم معالمها ، ويدرس خصائصها الفنية إلى غير ذلك .

لذا حاولت هذه الدراسة أن تفيد من مواقف الآخرين ، وأن تكون أكثر موضوعية فى عرضها لأدب الكدية ، ورغبة فى العمق والإفادة وقف الباحث بموضوعه أمام العصر العباسى ولم يتعداه لأسباب عدة ، منها أن الظاهرة كانت أكثر وضوحا فى هذا العصر دون غيره ، وكذلك حتى لايتفرع البحث فى أكثر من عصر ، ويصبح أقرب إلى التأريخ منه للدراسة الأدبية الفنية كما كانت الدراسة السابقة ، ولتكون النتائج أكثر صدقا وموضوعية .

وكذلك لم يشغل الباحث كثيرا الحديث عن الأسباب السياسية والاقتصادية التى أدت الى ظهور هذه الطائفة ، واكتفى فقط بمجرد الإشارة لها ، لعلمه بأنه سيكرر ماهو مكتوب فى كتب التاريخ ، وهو ليس ببعيد عن متناول الأيدى ، ورأى أن التلميح به أفضل من التصريح ، وأن المتلقى لموضوعات الكدية الأدبية ، سيلحظ للوهلة الأولى أنها وليدة هذه الظروف .

وعلى هذا فقد قسمت هذه الدراسة إلى أبواب ثلاثة تعرض كل واحد منها للحديث عن جانب من ملامح الظاهرة ، لتعطى فى النهاية صورة كاملة لها ، ففى الباب الأول ، تحدثت عن المعنى اللغوى للكدية ، وكيف أنه اقترب فى كثير منه من واقع هذه الطائفة ، وتعرضت للأسماء التى أطلقت عليها لتحديد المراد منها ، ومدى دلالتها على طائفة الكدية ، وكذلك عن نشأتها .

ثم دار الباب الثانى حول موضوعات أدب الكدية ، وقسمته إلى سبعة فصول

فى الفصل الأول تحدثت عن وصف المكدى لذاته ومكانه وحيله وطوائفه ، وكيف أنه اعتمد فى وصفه على التجسيم والتصوير لواقعه ، وفى الفصل الثانى تطرقت إلى الحديث عن رحلاته وتجوالاته ، وكيف أفاده ذلك من بعد معرفى ، وفى الفصل الثالث تحدثت عن الاستجداء والطلب ، وأنه مهنة لها قواعدها وأصولها ، وتحدثت عن طرق الاستجداء وأنواعه ، وأسبابه ، وفى الفصل الرابع تحدثت عن المديح وملامحه عند المكدى ، وصورة ممدوحه ، واختلاف القصيدة المدحية المكدية عن مثيلاتها فى الشعر العربى ، وفى الفصل الخامس تحدثت عن شكوى المكدى للزمـان ، وكيف أنه كان صدى تجربة معاشة ، وختمت هذا الباب بالفصل السابع والخاص بالحكمة عند المكدى ، ومصادرها ومحاورها التى دارت حولها ، ومالها من خصوصية تعبر عن قائلهـا .

ثم جاء الباب الثالث (الخصائص الفنية لأدب الكدية) ليكشف لنا عبر فصوله السبعة عن الملامح المميزة لهذا الأدب ، وكان الفصل الأول حول بناء القصيدة المكدية ، من حيث قصر أبياتها وتنوع مقدمتها ، والفصل الثانى عن اللغة الأدبية للكدية بأنماطها الثلاثة والمتمثلة فى لغة الأعراب ولغة الشعراء واللغة الخاصة ، وتحدثت عن الخصائص المميزة لكل نمط . وفى الفصل الثالث تحدثت عن الصور والمحسنات ، وافتقار أدب الكدية للكثير منها ، واقتصاره على لونين فقط هما السجع والتشبيه ، وفى الفصل الرابع تحدثت عن الأوزان المستخدمة فى نظم القصيدة المكدية ، وفى الفصل الخامس تعرضت للقصة الشعرية ونصيب أدب الكدية منها ، وفى الفصل السادس تناولت الفكاهة فى أدب المكدين ، وكيف وظفت فى كثير من الأنماط الشعرية والنثرية . وجـاء الفصـل الأخير ليوضح لنا التطور الذى حدث للشخصية المكدية وكيف استلهمها الكتاب لتكون علما على أعمال أدبيـة متفردة .

أما الخاتمة فقد عرضت فيها لأهم نتائج البحث ، مع تقديم مجموعة من الاقتراحات بصدد قيام دراسات أخـرى تكمـل هذه الدراسة .

ولقد أعقبت الخاتمة بمعجم خاص بمصطلحات الكدية ، ورتبته حسب الترتيب الأبجدى الألف بائى ، وتكمن أهميته فى أنه سيفتح الباب أمام دراسات لغوية تكشف عن معالم هذه اللغة الخاصة ، يضاف إلى هذا أنه سيشكل بابا جديدا فى المعاجم العربية التى تهتم بألفاظ أهل الحرف والطوائف .

وزيادة فى التعريف بلغة الكدية الخاصة ، عرضت نموذجا لها ممثلا فى مخطوطة لصفى الدين الحلى ، جمع فيها لغتهم ، وهذه المخطوطة تكشف عن تطور هذه اللغة وثرائها ، لكونها أحصت من المفردات الخاصة الكثير الذى لم يرد فى ساسانية الخزرجى .

وفى النهاية أتمنى أن يضيف هذا العمل شيئا ، وأن يسهم ولو بقدر ضئيل فى الكشف عن معالم ظاهرة أدبية جديدة تضاف إلى رصيد المكتبة العربية .

المنيا فى أول يناير ١٩٩١ — د. حسن إسماعيل

الباب الأول

التعريف بالكدية

فى اللغة :

يتصدر لسان العرب قائمة المراجع العربية إسهابا فى توضيح المعنى اللغوى للكدية ، ويرجع السبب فى هذا إلى أن ابن منظور ضمّن أثناء حديثه عن مـــادة " كدا "[3] آراء بعض مِّن اللغويين السابقين عليه ، والذين اعتمـد عليهم فى مصـــادر معجمـه ، لـــذا جـاءت الكلمة جامعة لمعان عدة فصّلها قـــائلا : (الكدية والكادية : الشدة من الدهر.والكدية : الأرض المرتفعة ، وقيل : هو شئ صلب من الحجارة والطين.

والكديه . الأرض الغليظة ، وقيل : الأرض الصلبة ، وقيل : هى الصفاة العظيمة الشديدة .

والكدية : الارتفاع من الأرض . والكدية : صلابة تكون فى الأرض . وأصاب الزرع برد فكداه ، أى رده فى الأرض .

ويقال أيضا : أصابتهـم كـدية وكادية من البرد ، والكـــدية كل ماجمـع من طعام أو تـــراب أو نحوه فجعـــل كثبة ، وهى الكداية والكداة أيضا .

وحفر فأكدى إذا بلغ الصلب وصادف كدية . وسأله فأكدى ، أى وجده كالكدية (عن ابن الأعرابى) . قال ابن سيده : وكان قياس هذا أن يقال فأكداه ولكن هكذا حكاه .

ويقال : أكدى ، أى ألح فى المسألة ، وأنشد :

تضن فنعفيها إن الدار ساعفت   فلا نحن نكديها ولاهى تبذل

ويقال : لايكديك سؤالى ، أى لايلح عليك ، وقوله : فلا نحن نكديها ، أى

فلانحن نلح عليها . و تقول : لايكديك سؤالى ، أى لايلح عليك سؤالى ، وقالت خنساء :

فتى الفتيان مابلغوا مـــداه   ولايكدى إذا بلغت كـداهـا

أى لايقطع عطاءه ولايمسك عنه إذا قطع غيره وأمسك .. وأكدى الرجل : قل خيره ، وقيل : المكدى من الرجال الذى لايثوب له مال ولاينمـى ، وقـد أكـدى ، ... وأكديت الرجل عن الشئ : رددته عنه ... وأكدى المطر : قل ونكد . وكدى الرجل يكدى وأكدى : قلل عطاءه ، وقيل : بخل . وفى التنزيـل العزيز (وأعطى قليلا وأكدى) قيل أى وقطع القليل ، قال الفراء : أكدى أمسك من العطية وقطـع ، وقال الزجاج : معنى أكدى قطع ، وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حجر لايمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر .

التهذيب : ويقال الكدى ، بكسر الكاف ، القطع من قولك أعطى قليلا وأكدى ، أى قطع . والكدى : المنع ... أبو عمرو : أكدى منع ، وأكدى قطع ، وأكدى إذا انقطع وأكدى النبت إذا قصر من البرد ، وأكدى العام إذا أجدب ، وأكدى إذا بلغ الكدى وهى الصحراء ، وأكدى الحافر إذا حفر فبلغ الكدى ، وهى الصخور ، ولايمكنـه أن يحفر وكديت أصابعه ، أى كلت من الحفر)[1] .

من خلال هذا المعنى اللغوى للكدية فى لسان العرب يتضح لنا أنها تشير فى كثير منها إلى الصلابة والشدة والقطع والمنع ، إلا أننى أرى ـ على الرغم من هذا التعدد ـ أنها تعود إلى أصل واحد هو الامتناع بكل أشكاله ، فشدة الدهر ، وصلابة الأرض ، وقلة المطر ، وجدب العام ، وقصر النبت من البرد هو شكل من

---

(١) لسان العرب ٣٨٣٨ - ٣٨٣٩ مادة كدا .

امتناع الطبيعة على أن تجود بما تحويه من خيرات تلين صلابة الدهر ، وتخرج الزروع من الأرض ، وتسقط أمطار السماء .

وكذلك قلة عطاء الرجل ، وإمساكـه عن العطية ، وبخلـه هو امتناع من الإنسان عن مساعـدة الآخرين ، وحتى المعنى المستنبط من شرح الآيـة القرآنيـة (أعطى قليلا وأكدى) يعود إلى هذا الأصـل (١) .

ولم يقتصر المعنى اللغوى للكدية على المفهوم السابـق فقط ، بل إن إبراز معنى المسألة كنوع من الدلالة اللغوية للكلمة ورد فى أكثر من معجم لغوى فالخفاجي فى شفاء الغليل يقول (قال الزبيدى أكثر مايقوله أهل المشرق يقولون المكدية للسؤال الطوافين على البلاد) (٢) ، ولقد وردت عند الأزهرى والزمخشرى وابن منظور بمعنى الإلحاح فى المسألة ، واستمر هذا المعنى متداولا فى المعاجم حتى الحديثة منها كالمعجم الوسيط ، (٣) وجاءت فى مفردات الراغب جمعا بين السؤال والعطاء ، فهى عنده تدل على الطالب المخفق والمعطى المقل (٤) .

---

(١) فى تفسير القرطبى عدد ٦٩ ص ٦٢٨٢ (أكدى) من الكدية ، يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ إلى حجر لم يتهيأ له فيه حفر قد أكدى ، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم ، ولمـن طلب شيئا ولم يبلغ آخره . وقال الحطيئة :

فأعطى قليلا ثم أكدى عطاءه .·. ومن يبذل المعروف فى الناس يحمد

قال الكسائى وغيره: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ حفره كدية أو جبلا فلا يمكنه أن يحفـر ، وحفر فأكدى إذا بلغ إلى الصلب . ويقال كديت أصابعه إذا كلت من الحفر .. وأكدى النبت إذا قل ريعه ، وكدت الأرض وتكدو كدوا فهى كادية إذا أبطأنباتها . وانظر أيضا فـى تفسير هـذه الآية تفسير القران العظيم لابن كثير ٢٥٧/٤ .

(٢) شفاء الغليل ص ١٩٦ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٢٤/١٠، أساس البلاغة ٢٩٩/٢ ، لسان العرب ٣٨٣٩ ، المعجم الوسيط ٧٧٩/٢ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن ٤٢٧ .

وبناء على هذا نستطيع أن نلحظ أن المعنى اللغوى للكدية فى المعاجم العربية قد اقترب كثيرا من واقع هذه الطائفة كما هى فى الواقع ، فشدة الدهر من الأشياء التى دعتهم أن يجعلوا من الكدية حرفتهم ، بل إن النص على أن الكدية تعنى المسألة أو الإلحاح فيها يقترب كثيرا من روح هذه الطائفة ، فالاستجداء هو أحد معالمها الرئيسية الذى يميز أهلها ، وإن لم يحدوا أنفسهم بهذا اللون فقط ، فلديهم من المهن الأخرى الكثير،والحيل المتعددة التى تدر المال،والتى كشف عنها الأدب فى حديثه عن حياتهم وكثرة تطوافهم .

أسماء أخرى للطائفة

إذا كان اسم الكدية يعنى عند سامعه تلك الطائفة التى جعلت من الاستجداء والكسب المشوب بالحيلة معبرها للوصول إلى مال الآخرين ، فإنه لم يكن الوحيد الذى أطلق عليها على الرغم من شيوعه،بل عرفت بين الناس بأسماء مختلفة كالساسانيين ، والزط ، والصعاليك ، والمفلوكين ، والبخلاء ، ولعل هذا التعدد جاء من انتشارها وتطوافها فى البلاد فاختلفت لذلك أسماؤها باختلاف الأماكن التى تواجدت فيها ، لذلك سنحدد الآن المراد من هذه الأسماء لنصل إلى تسمية تكون علما على هذه الطائفة ومعبرة عنها .

بنو ساسان

هذا الاسم مرادف للكدية ، ويطلق على كل من ينتسب إلى هذه الطائفة طالما توافرت فيه سمات أهلها ، وأصل التسمية يعود إلى شخصية اختلفت فيها الآراء وهى (ســاســان) من حيث كونه المؤسس الأول لهذه الجماعة ، أو انتسابه لمكان بعينه أو غناه من فقره ، ففى التــاج (الســاســانيــة طائفة من الفرس نسبوا إلى ملك يقال له ســاســان)[1] ، ويقول عنه ابن منظور (ساسان اسم

---

(١) تاج العروس ١٥٨/١٦ .

كسرى ، وأبو ساسان من كناهم ، ويقال هؤلاء بنوساسا للسؤال)[١] ، ويرجع الزبيدى أصله إلى بلاد فارس [٢] وتؤكد الروايات التاريخية انتسابه إلى بيت الملك الفارسى ، وأنه كان مؤهلا لولاية أمر البلاد بعد أبيه إلا أن أباه فضل عليه أخته حمانى ، وملكها بدلا منه ، فلما رأى فعل أبيه تزهد ورعى غنما على رؤوس الجبال [٣] ، ومنذ ذلك الوقت انتسب إليه كل المتشردين وأبناء السبيل كالمشعوذين والسائلين والحواة ، وأطلق عليهم جميعا (بنو ساسان) ، نسبة إليه[٤] على حين تنفي رواية أخرى ملكه وتسوله ، وترى أنه كان أحد الفقراء الذين كانت لهم خبرة في استعطاء الناس ، والاحتيال في تحصيل الصدقة منهم[٥].

وبعد فهذه هى الروايات المتباينة التى تحدثت عن رأس هذه الطائفة ، والتخبط فيها ظاهر ، إلا أن الكثير منها يجمع على أن هذا الرجل كان من أصل فارسى ، وأنه كان أحد أفراد البيت المالك هناك ، ولعل السر فى هذا الاضطراب كما ألحظه يعود إلى محاولة هؤلاء الناس البحث عن المصدر الأول لهذه الطائفة التى فرضت نفسها على الناس ، ولما كان من الصعب التكهن ببدايات الأشياء والتحقق منها ، جاء هذا اللبس فى تحديد المؤسس الأول الذى سَنّ الكدية .

والأمر يحتاج إلى وقفة متأنية لمناقشة صدق انتساب هذه الطائفة إلى الفرس وريادة هذا الرجل لها ، ولعل خير من ناقش هذا الموضوع بصورة مفصلة الشيخ محمد عبده فى معرض حديثه بالشرح لمقامات بديع الزمان الهمذانى حيث قال (وعندى أن الساسانية وبنو ساسان وماشاكل ذلك من الألفاظ المشيرة بالتحقير

---

(١) لسان العرب ٢١٧١ مادة سيس .

(٢) تاج العروس ١٥٧/١٦ .

(٣) الكامل فى التاريخ ٢٧٨/١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤٦/١١ .

(٥) محيط المحيط ٤٤٠ .

لساسان ، وأنه جد السفلة أو شيخهم ، إنما جاءت بعد زوال دولة الساسانية من الفرس ، التى كان مؤسسها أردشير بابك ، فلما محقها الإسلام ، وبقى من أطرافها أفراد أذلاء سقطوا فى ألسنة فتيان المسلمين الأولين ، فكانوا يطردونهم من مكان إلى مكان ، ويعيرونهم بعنوان آبائهم . فبعد أن كانت نسبتهم إلى ساسان نسبة مجد وحسب ، صارت نسبة قذف وسب . وكان فى إشهار هذا الاسم بالتحقير غاية سياسية ، فضلا عما تطمح إليه نفس الغالب من إذلال المغلوب ، وهى أن لايبقى لدولة الساسانية ذكر فى لسان ولاأثر فى جنان ينبئ عن سلطانها أو رفعة شأنها ، وإذا خطر أمرها بالبال فلايخطر إلا مع لازمه الجديد وهو السفالة والدناءة ، ثم نسى ذلك بمرور الأيام وبقى اللفظ مستعملا فى الشحاذين ، وهم أدنى طبقة فى الناس) [1] .

وعلى الرغم من تفسير الشيخ محمد عبده إلا أننى أرى أن الموطن الأصلى الذى انطلقت منه الطائفة هو بلاد الفرس ، ثم اتسعت رقعتهم بعد ذلك فى بلدان عدة كالهند وسجستان والزنج كما أشار بذلك الخزرجى فى قصيدته الساسانية قائلا :

ومنا الكابليون	ومن يلعب بالجر [2]
ومن يمشى على الحبل	ومن يصعد بالبكر
ومنا الزنج والزط	سوى الكباجة السمر [3]
وأصحاب التجافيف	من الثامولة الصبر [4]

---

(١) مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى ٩٧ .

(٢) الكابليون : أرض بين الهند وسجستان .

(٣) الزنج : من الزنجان . الكباجة:اللصوص .

(٤) يتيمة الدهر ٣٦٩/٣ - ٣٧٠ . أصحاب التجافيف : قوم يأوون إلى المساجد عليهم مرقعات وأصلهم الهند .

أما بالنسبة لساسان سواء كان الانتساب إليه شرفيا أو حقيقيا فقد اعتزوا به ، بل اعترفوا بذلك صراحة كالأحنف العكبرى الذى قال مفتخرا بانتسابه إلى جده الساسانى :

على أنى بحمد اللــــــــ	ـــه فى بيت من المجـد
بإخوانى بنى ساســــا	ن أهــل الجـد والحــد[1]

ويؤكد ذلك أبو دلف فى مقدمة قصيدته الساسانية ، قائلا عن نفسه وأهل طائفته الذين لايحدهم مكان :

على أنى من القوم الـــ	ـبها ليـــل بنى الغــــر
بنى ساسان والحامى الـ	ـحمى فى سالف العصر
تغربنا إلى أنّـــــا	تنا ءينا إلى شهـــــــر
فظـــل البين يرميـنــــا	نوى بطنا إلى ظهــــــر[2]

ويخرج علينا مكدى الحلى مشيراً بأن ساسان هو شيخ الطريقة ، وأن نسبه يعود إليه وذلك عندما قال :

ودنكت أنى ويخ قاروب أمرهم	وأشكلت أنسابى بأنساب ساسان
إذا بصنى أهل الطريقة هنكموا	علّى وقالوا جاساساننا الثانـــــى[3]

وهكذا نجد أن الانتساب على لسان شعراء الكدية جاء مشيرا إلى ساسان الفارسى وهذا يعزز نشأة نسبة هذه الطائفة إلى الفرس دون غيرها من البلاد ،

---

(١) المرجع السابق ٣/١١٧ .

(٢) نفسه ٣/٣٥٥ .

(٣) مخطوطة الحلى ٢ ، ٣ . ونكت : قلت وأسميت . أشكلت : ألحقت
ويخ : ولد . ساسان : شيخ الطريقة . بص : نظر . هنكموا : تجمعوا .

ويجعل من ملكها المعزول رأس هذه الجماعة.

الـزط :

يطلق هذا الاسم على طائفة الكدية فى بلدان مختلفة كالبصرة وبغــداد ، ولقد اختلفت الآراء فى هؤلاء القوم ، كما اختلفت فى شخصيـة ساســان من قبل ، فابن دريد فى جمهرته يرى أنهم ليسوا عربــا [(١)] ، ويرجع ابن منظور أصلهــم إلى جهات عدة كالهنــد والسودان ، وإليهــم تنسـب الثياب الزطيــة [(٢)] ، ويرى الفيروز آبادى بأن الكلمة معربة من چت الهندية ، وأنهم من أصل هندى [(٣)] ، ويجمع الزبيدى فى تاجه الآراء السابقة ويضيف عليها بأنهم جيل من الناس جاء ذكره فى البخارى فى صفة موسى عليه الســلام (كأنه من رجـال الزط) [(٤)] .

ولقد كانت هذه الجماعات قبل الإسلام يبحثون عن الكلأ ، ثم أسلموا وأذعنوا لأبى موسى الأشعرى الذى أنزلهم البصرة ، ونقل معاوية والوليد بن عبدالملـك من بعده جماعة منهـم إلى سواحل الشام وأنطاكية [(٥)] .

على أن هؤلاء الناس تفاقم أمرهم على مدار التاريخ حتى زمن المعتصم ، ويكشف لنا هذا النص للبلاذرى عن مدى بأس هذه الجماعة واشتداد خطرها حتى تم النيل منها قائلا (أتى الحجاج بخلق من زط السند ، وأصناف ممن بها من الأمم معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم ، فأسكنهم بأسافل كسكر ، قال روح : فغلبوا على البطحية وتناسلوا بها ثم أنه ضوى إليهم قوم من أباق العبيد وموالى باهلة

---

(١) جمهرة اللغة ٨٩/١ .
(٢) لسان العرب ١٨٣٠ .
(٣) القاموس المحيط ٣٧٥/٢ .
(٤) تاج العروس ٣٢٢/١٩ .
(٥) فتوح البلدان ٣٦٧ - ٣٦٩ .

وخولة محمد بن سليمان بن علي وغيرهم ، فشجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية ، وإنما كانت غايتهم قبل ذلك أن يسألوا الشئ الطفيف ، ويصيبوا غرة من أهل السفينة فيتناولوا منها ما أمكنهم اختلاسه ، وكان الناس فى بعض أيام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ماكان يحمل إليها من البصرة فى السفن ، فلما استخلف المعتصم بالله تجرد لهم ، وولى محاربتهم رجلا من أهل خراسان يقال له عجيف بن عنبثة ، وضم إليه من القواد والجند خلقا ولم يمنعه شيئا من الأموال ، فرتب بين البطائح ومدينة السلام خيلا مضمرة ملهوبة الأذناب ، وكانت أخبار الزط تأتيه بمدينة السلام فى ساعات من النهار أو الليل وأمر عجيفا فسكر عنهم الماء بالمؤن العظام ، حتى أخذوا فلم يشذ منهم أحد وقدم بهم إلى مدينة السلام فى الزواريق فجعل بعضهم بخانقين وفرق بعضهم فى عين زربة والثغور) [1] .

إن هذا النص يكشف النقاب عن جماعة خارجة على البلاد ، سلاحها الوحيد هو السلب والنهب ، وقطع الطرق حتى خشيتها الناس ، وخافتها السلطة إلى أن قضت عليهم . وهذا بعيد عن طائفة الكدية المسالمة التى تعيش بين الناس فى أمان ، ويحبها الجميع لما لها من شعبية بينهم لكونها تعبر عنهم ، وأرى أن الزط بنشأتها الهندية لاتتفق وما أوردناه عن الأصل الفارسى للكدية ، لذلك فهى طائفة من الكدية ذكرها أبو دلف فى ساسانيته عندما قال :

ومنا الزنج والزط   سوى الكباجة السمر [2]

فهذا البيت يؤكد انتساب هذه الجماعة إلى الأصل الأم ، ولعل ربطها بالكباجة وهم اللصوص يقترب كثيرا من روح هذه الجماعة التى جعلت من السرقة وسيلتها فى نيل الرزق ، ولاغرابة فى ذلك فطوائف الكدية عديدة تجمع بين المسالم

(١) المرجع السابق ٢٦٨ - ٢٦٩ ، تاريخ ابن خلدون ٣/٢٥٧ .
(٢) يتيمة الدهر ٣/٣٦٩ .

الودع ، والقوى الشرس ، والمتكسب بعمل يــده ، والمصطنع للحيلة من أجل الكسب .

الصعلكة :

بين الصعلوك والمكدى اتفاق فى أشياء و اختلاف فى أخرى ، فهما يتفقان من حيث تعبيرهما عن هموم الطبقة التى يمثلانها ، وفى كونهما لامال لهما ، فالصعلوك فى اللغة (هو الفقير الذى لامال له) [1] ، والمكــدى لايمتلك قوت يومه ، ولكنهما يختلفان من حيث وسيلة الحصول على هذا المال ، فالمكدى يجمعه بالحيلة والاستجداء ، والأدب الذى يعبر عن بؤسه وضيقه ، والذى ينزل به إلى عوام الناس من ذوات القلوب الرحيمة ليستدر عطفها ، أما الصعلوك فيجمعه من الإغارة والسلب والنهب .

ويعيش المكدى بين الناس ، كصورة معبرة عن طبقة معدمة ، لذا اكتسب عبر أشعاره الظريفة الساخرة شعبية جارفة ، بينما ينأى الصعلوك بنفسه عن الناس لاستشعاره بأنه منبوذ عنهم ، لذلك يقتص منهم ويرى أنه من حقه أن ينال من مالهم ، بينما لايرى المكدى لنفسه هذا الحق ، فهو يتحايل من أجل أن يحصل على بعض من دراهمهم ولهم أن يعطوه أو يعرضوا عنه ، وبهذا فالتباين واضح بين الشخصيتين .

المفلــوك :

المفلوك هو الفقير المعدم ، وسنجيز لأنفسنا أن نستعير تعبير المناطقة فى أنه ليس كل مفلوك مكديا بالتبعية ، ولكن كل مكد هو مفلوك ، فالمفلوك لايستطيع أن يصف حاله أمام الناس كما يفعل أهل الكدية ، أو يحتــال من أجـل نيل عطاياهم .

---

(١) لسان العرب ، مادة صعلك ٢٤٥١ .

وأهل الفلاكة لايقتصرون على طبقة بعينها ، فمنهم الأدباء والعلماء وأهل البلاغة والدراسات الإسلامية .

ولعل كتاب (الفلاكة والمفلوكون) من أشهر الكتب التى نوهت عن هذه الطبقات المتباينة من العلماء ورجال الفكر ، الذين أعوزتهم الدنيا على الرغم من علمهم وارتفاع قدرهم [(١)] .

وبين المفلوك والمكدى اختلاف فى السمات وأسلوب التعبير ، فالمكدى أهم مايميزه قدرته على بث شكواه إلى الناس ، واصطناعه للحيلة فى الاقتصاص من السذج . بينما المفلوك لايجيد ذلك ، فربما تدفعه ظروفه السيئة إلى بث شكواه شعرا أو نثرا ، لكن ليكون ذلك سلواه أمام نفسه دون أن يطرحه على الناس . ولهذا فالفلاكة لاتعبر عن الكدية .

البخلاء :

البخل لغة ضد الكرم [(٢)] ، والمعنى اللغوى للبخيل يتفق والمتعارف عليه بين الناس ، والبخيل لايضن بما عنده عن فقر ، لكن عن غنى ، وهو بهذا يختلف عن المكدى الذى لامال له ، بل إن أدب الكدية يكشف عن صراع مستمر بين المكدى والبخيل .

فالمكدى بطبعه يسعى إلى المال ، والبخل أشد مايضايقه ، لذا يشحذ من لسانه مدية على كل باخل يضن بما فى حوزته .

بناء على ما سبق نستطيع أن نخلص من العرض السابق بأن أقرب المسميات إلى روح هذه الطائفة الكدية والساسانية،بينما يمثل أهل الصعلكة والفلاكة والبخلاء محورا آخر يختلف عن روح هذه الطائفة سواء فى الهدف أو الوسيلة .

---

(١) راجع ترجمة هؤلاء الناس فى كتاب الفلاكة والمفلوكون تحت عنوان : " فى تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل " الفصل العاشر من ص ٦١ .

(٢) لسان العرب . مادة بخل ٢٢٢ .

ويتبقى لنا فى النهاية أن نخرج من دائرة الكدية نفسها - كما أخرجنا من قبل أهل الصعلكة والفلاكة والبخلاء - طبقة الشعراء المادحين ، فليس كل شاعر مادح يدخل فى إطار هذه الطائفة ، لما بين القصيدة المكدية المدحية والعادية من فروق ، فالأولى ذات موضوع واحد هو الاستجداء ، ولاتعتمد فى كثير منها على جزالة الألفاظ ، إنما تستمد معجمها من ألفاظ الحياة اليومية ، والديباجة فيها غير قويـــة ، والممدوح يمكن أن يكون شخصا عاديا ، بينما قصائد المديح الأخرى متعددة الأغراض والمديح أحدها ويميزها جزالة الألفاظ ، وقوة الديباجة ، التى تتناسب مع طبيعة الممدوح المثالى ، ولنا فى مدائح المتنبى والفرزدق وزهير وغيرهم شاهـد على ذلك .

الباب الثانى

موضوعات أدب الكدية

[illegible]

[illegible]

الفصل الأول

الوَصِفُ

الوصف عند المكدى ملكة فرضها عليه واقع عايشه والتصق به ، ولقد كان لهذا الواقع الأثر المباشر فى ظهور أدب الكدية ، فاضطراب الحياتين السياسية والاقتصادية وبخاصة فى العصر العباسى أثر على التكوين الطبقى فى المجتمع ، مما أدى إلى ظهور هذه الطائفة التى تجرعت مرارة هذا الواقع عندما رفض الأغنياء وأصحاب المناصب تقديم العون لها ولغيرها من أهل الطبقات الدنيا ، لذا بث المكدى من خلال وصفه صورة حية لقطاع من المجتمع يحالفه الفقر ، ويعانده الحظ، متجها بصوره هذه إلى نفسه تارة ، وإلى الآخرين ثانية .

ومن الغريب أنه عبر وصفه تجاهل وصف المجتمع ، ولم يكن من الجرأة بحيث يكشف عن سوآته مع أنه أحد ضحاياه ، ولم يقف مع أقرانه من أهل طائفته موقفا ثوريا إزاء مافيه من خلل ، ولعل ذلك مرجعه إلى أسباب عدة منها ما يعود إلى طبيعة المكدى نفسه ، فهو شخصية فقيرة عاشت فى قاع المجتمع ، وربما أكسبه ذلك سمة الخضوع ، أو أنه لم يرق إلى درجة من الوعى الفكرى يسمح له بإعمال عقله فى واقعه ، أو أن إحساسه بالانهزامية فاق مافى داخله من ثورية ، أو أنه رأى مايحدث لخلفاء عصره من تنكيل وتعذيب على أيدى الأتراك والفرس ، فعلم أنه لن يصنع شيئا بجانب سطوة هؤلاء ، أو شغلته همومه الشخصية عما يحيط بـه ، وهذا ما أرجحه ، لذا اقتصر فى وصفه على حياته فقط دون النظر إلى وصف المجتمع أو عرض مافيه من خلل ، وتأكيدا لذلك لم يشغل نفسه بوصف الطبيعة أو القصور إلى غير ذلك من أشكال الوصف المتعارف عليها فى القصيدة العربية ، واقتصر فى وصفه على أنماط ثلاثة اشتركت جميعها فى التعبير عنه وهـى :

- وصف الذات .
- وصف المكان .
- وصف الحيل والطوائف .

وسنبدأ الآن فى تفصيل القول فى كل جانب من الأنماط السابقة لنتعرف كيف كان المكدى يعيش ، فالوصف عنده هو مفتاح الدخول إلى عالم الشخصية المكدية .

وصف الذات :

عبر أبيات تعتمد على التجسيم والتصوير وصف المكدى حياته الخاصة ، متفننا فى إخراج مابداخلها إلى السطح ، كى يصور معاناته الشخصية ، وماصادفــه من عنت الليالى وقسوتهــا ، وعلى الرغم من أن أبياتــه كانــت قليلة من حيث الكم ، إلا أنهـــا امتازت بالعمق من حيث المعنى المراد تفصيل القول فيه، ولكونها لمست واقعه بالفعل وصورته ، صادفت هوى فى أنفس سامعيها .

وعبر نظمه تناول حياته بطريقة مفصلة قوامها تصوير حال جسده المنهك ، ومايعوزه من طعام ، ومايستره من لباس ، وما فى حوزته من ممتلكات .

وأول مانتعرض له من وصف لحياة المكدى ، مانظمه فى تصوير جسده الواهن الضعيف ، والذى وصلت نحافته عند أبى الشمقمق إلى حد استحال معها ظهور ظله أثناء سيره وقت الظهيرة وذلك عندما قال :

ولقدأهزلتحتـــــــــى	محت الشمس خيـــالى
ولقدأفلستحتـــــــــى	حل أكلى لعيالــــــــى
من رأى شيئا محـــــالا	فأنا عين المحــــــــال
فى حريم الله طـــــــرا	من نساء ورجـــــــال
لو أرى فى الناس حـــرا	لم أكن فى ذا المثـــال (١)

(١) شعراء عباسيون ١٤٦ .

وما حل بجسد المكدى من هزال وضعف جاء نتيجة منطقية لما فيه من فقر وفقدان للقوت أحيانا وندرته فى أخرى ، حتى أن أبا فرعون جعل من الفقر كنيته التى عرف بها بين الناس ، وذلك عندما كان يقول عن نفسه معلما من لايعرفه :

أنا أبو فرعون فاعرف كنيتى ... حل أبو عمرة وسط حجرتى (١)

ويبدو أنه رأى أن التورية بالكنية لن تكفى لإيضاح مايريد من إفهامه للعامة ، فصرح بمراده بعد أن عرض حاله وسوء معيشة أولاده قائـــلا ومؤكدا لغيـــره :

فارحم عيالى وتول أمـــــرى ... كنيت نفسى كنية فى شعـرى

أنا أبـــو الفقـر وأم الفقـــــر (٢)

وطعام المكدى يخلو غالبا من أساسياته القائم عليها من لحم ومرق وخبز ، ونادرا مايجتمع هذا الثلاثى عند واحد بعينه من أهل هذه الطبقة ، لذلك بكى كل واحد منهم على فقد أحد جوانبه أو جميعه ، فهذا ابن الحجاج يصف طعامه خاليا من الخبز كعادته منذ فترة ليست بالقصيرة ، متندرا على حاله هذا ، جاعلا منه علامة لم يأت بها نبى من قبله قائلا :

أتعشى بغير خبـــز ، وهـــذا ... خبرى منذ مدة فى غذائـــــى

فأنا اليوم من ملائكة الـــــدو ... لة وحدى أحـيا بغير غـــذاء

آية لم تكن لموسى بن عمـــرا ... ن ولاغـــيره من الأنبـيـــاء (٣)

ويحصل المكدى على خبزه أحيانا ، ولكنه لايتلذذ بمضغه لكونه لايجد ما يأكله به سوى الملح ، فخبزه حاف بلا مرق أو لحم أو مايفتح به شهيته ، لذلك

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ٥٣/٢ . أبو عمرة : كنية الفقر .

(٢) طبقات الشعراء ٣٧٦ .

(٣) يتيمة الدهر ٥٦/٣ .

وصف ابن الحجاج مائدته التي خلت من كل شئ سوى الخبز بعد أن نعم ببعضه ممتزجا بالملح القابض في الحلق من شدة مرارته مخاطبا أحد السادة :

هذا وخبزي حاف بلا مــرق ... فكيف لو ذقت ثردة الدســـــم

مالي وللحم إن شهوتـــه ... قد تركتني لحما على وضــــم

وما لحلقي والخبز يجرحــه ... بالملح يشكو حزونة اللقـــــم (١)

وفي كثير من الأحيان تخلو مائدة المكدي من الطعام كاملا ، ولايجد أحدا يعينه على حاله هذا ، فيتجه إلى الله واصفا مابه ، كهذا الذي افترش الطريق وزوجته مناديا ربه ، مصورا جوعه قائلا :

يارب إني قاعد كما تــرى ... وزوجتي قاعدة كما تـــــرى

والبطن مني جائع كما ترى ... فما ترى يارينا فيما تــــــرى (٢)

وأحيانا ينعدم صوت الشكوى ، ولانسمع منه سوى قرقرة البطن ، استجارة من جوع طويل ، كما حدث لأبي الرقعمق الذي قال :

عجب مامثله عجـــــب ... فعلوا بـــــي غير مايجــــب

قرقرت بطني فواحزنــــي ... ذقن من بالسلـــــح يختضــــب (٣)

ويتحسر المكدي على نفسه عندما يلحظ أن كلب أحد القادة يطعم مالم يطعمه ، بينما هو ينعي خلو بطنه من القوت ، لذلك لم يجد مفرا من أن يتنازل عن آدميته سدا لجوعه ، طالبا من صاحب الكلب أن يكون له رفيقا ، عله ينال معه بعضا مما افتقده مع أناس مثله ، وهذا ماصنعه ابن الحجاج عندما ناشد عز الدولة بختيار بعد أن رأى كلابه تأكل لحوم الجدا ، شارحا له بأبيات لاتخلو من فكاهة

---

(١) المرجع السابق : ٥٨/٣ .

(٢) العقد الفريد ٤٣٦/٣ .

(٣) يتيمة الدهر ٣١٨/١ .

بأنه على خصومة من الجزار ، وأن اللحم قد جفاه وضن عليه بأكله ، مستفتحا أبياته قائلا :

رأيت كلاب مولانا وقوفـــــا ورابضة على ظهر الطريـــــــق
فمن ورد له ذنب طويـــــــل يعقفه ومهلوب خلوقـــــــى
تغذى بالجدا فوددت أنـــــى وحق الله خركوش سلوقـــــى
فيامولاى رافقنى بكلـــــب لأكل كل يوم مع رفيقــــــى
أرى القصاب قد أضحى عدوى لشؤم البخت والملحى صديقـــى
فلو أنى افتصدت لما وجدتـم سوى الحلتيت داخل باسليقـــى
جفانى اللحم وهو شقيق روحى فمن يعدى على ذاك الشقيـــق
كأن اللحم فى صوم النصـــارى توهمنى ابـن عم الجـــاثليـــق
وأحسن ما رآه الناس لحـــم جرايته تضاف إلى الدقيــــق(١)

ومشقة المكدى فى الحصول على مايستر عورته لاتقل ضراوة عن موقفه من الطعام وندرته ، فغالبا مايكون لباسه المرقع والممزق ، وهذا أمر بدهى فمن يصعب عليه إيجاد مايقوت به نفسه ، يستحيل عليه أن يشترى مايكسو عريه ، لذلك أجاب ابن سكرة عن عدته للشتاء ، بأنه يدخر لها جبة مشقوقة ستلف جسدا يرتعد من برد قارص ، وذلك عندما نظم مجيبا سائله :

قيل ما أعددت للبـــــر د فقد جاء بشــــده
قلت دراعة عـــــــرى تحتها جبة رعــــــده (٢)

ويقف أبو فرعون فى بعض سكك البصرة ، وقد أخلقت ثيابه ، وفى يده زبيل مناديا جمع الناس وواصفا ماعليه من لباس قائلا :

---

(١) المرجع السابق ٥٧/٣ . القصاب : الجزار . الملحى : صاحب الملح .

(٢) نفســـه ٢٥/٣ / وفيات الأعيان ٤١٠/٤ / شذرات الذهب ١١٨/٣ .
الدراعة : ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جبة مشقوقة المقدم .
الرعدة : الرعشة .

لقد غدوت خلق الثيـــــاب	معلق الزبيل والجـــــراب
طبا يدق حلق الأبـــــواب	اسمع ذات الخد والحجـــــاب [1]

ولكون المكدى افتقد ضروريات الحياة السابقة من طعام ولباس ، كان من الصعب عليه أن يعول أولاده ويقدم لهم كل مايحتاجونه ، لذا وصف فى قصائده حالهم ، وفقدهم للقوت واللباس ، كأبى فرعون الذى وصف مع التجسيم ســوء حال أولاد اسودت وجوههم من قلة الطعام ، وارتعدت أجسادهم من شتاء قارص البرودة ، والتصقوا بجسده طلبا للطعام ، بينما يعللهم ببزوغ الفجر حتى يخرج إلى العامة ليشرح لهم ماهم فيه ، علهم يشفقون عليه وعلى أولاده وذلك عندما خاطبهم قائـــلا :

وصبية مثل صغار الـــذر	سود الوجوه كسواد القـــدر
جاءهم البرد وهم بشـــــر	بغير قطف وبغير دثــــــر
تراهم بعد صلاة العصــــر	بعضهم ملتصق بصـــــدرى
وآخر ملتصق بظهــــــرى	إذا بكوا عللتهم بالفجـــــر
حتى إذا لاح عمود الفجـــر	ولاحت الشمس خرجت أسرى
عنهم وحلوا بأصول الجـــدر	كأنهم خنافس فى جحــــر
هذا جميع قصتى وأمـــــرى	فاسمع مقالى وتول أمـــــرى

فأنت أنـــــت ثقتى وذخـــــرى [2]

وإذا كان أبو فرعون قد استعدى على فقره بعامة الناس ، فإن أبا الشمقمق

---

(١) أدب المعدمين ١٢٥ .

(٢) الورقة ٥٧ ، طبقات الشعراء ٣٦٧ ، المحاسن والمساوئ ٤١٨/٢ .

قد لجأ إلى عظيم من سادة القوم ، واصفا حاله وبنيه ، الذين تركهم فى المنزل وليس عندهم سوى بول الحمار الذى يسد ظمأ عطشى مثلهم لذلك قال :

إن العيال تركتهـــــم بالمصر خبزهم العصـــــارة
وشرابهم بول الحمـــــا ر مزاجـــه بـــول الحمـــاره
ضجوا فقلت تصبـــروا فالنجح يقرن بالصبـــاره (١)

ويدنو العيد ولايجد مايدخل به عليهم فالبيت قد خلا من اللحم والخبز والتمر ولبن العنز والأرز ، لذا لم يجد أمامه سوى وصفه لحاله ، علّه بذلك يجد آذانا صاغية لكلامه فتجود عليه بما افتقده وذلك عندما نظم مؤكدا عداوة الدهر له ولنسله :

ماجمع الناس لدنياهـــم أنفع فى البيت من الخبـــز
والخبز باللحم إذا نلتـــه فأنت فى أمن من التـــرز (٢)
والقلز من بعد على إثـــره فإنما اللذات فى القلـــز (٣)
وقددنا الفطر وصبياننـــا ليسوا بذى تمـــر ولا أرز
وذاك أن الدهر عاداهـــم عـــداوة الشاهين للـــوز
كانت لهم عنز فأودى بهـــا وأجدبوا من لبن العنـــز
فلو رأوا خبزا على شاهـــق لأسرعوا للخبز بالجمـــز (٤)
ولو أطاقوا القفز مافاتهـــم وكيف للجائـــع بالقفـــز (٥)

وقياسا على ماسبق نستطيع أن نتصور مايمكن أن يكون للمكدى من ملكية خاصة ، فمن له هذا الجسد الواهن ، وقوته الفتات من الطعام ، ولباسه المرقع من

---

(١) طبقات الشعراء ١٢٧. العصارة : من معانيها مابقى من التفل بعد العصر .

(٢) الترز : الموت .

(٣) القلز : ضرب من الشرب . والقلز : النشاط والوثوب .

(٤) الجمز : العدو السريع .

(٥) طبقات الشعراء ١٢٧ - ١٢٨ ، شعراء عباسيون ١٤٠ .

الشباب ، وأولاده بلا عائل قوى فى الحياة ، وخلا بيتهم من أساسياته ، من المنطقى أن يقف وما فى حوزته سوى خفى حنين ، لذلك لاتعجب إذا طالعنا أبو الشمقمق بهذين البيتين مصورا فيهما مايملك قائلا :

أنا فى حال تعالى اللـــــه ربـــى أى حـــــال

ليس لى شئ إذا قيـــــل لمن ذا ؟ قلت : ذالـــى [1]

وإذا كان أبو الشمقمق قد خرج من الدنيـــا صفر اليديـــن ، فإن أبا الرقعمق قد أحس بهذا الإحساس ، إلا أنه أضاف عليـــه متندرا ملكيته لسنور قائـــلا:

ثم لا أملك شيئـــــا غير سنـــور وخلـــد [2]

وملكية العربى بعامة لاتخلومن دابة يمتطيها ، وغلام يخدمه ، أما إذا كان من علية القوم فله مايشاء من الخدم والعبيد ، بينما المكدى بعيد عن هــؤلاء جميعا ، وكثيرا مانظم من الأبيات واصفا خلالها افتقاده لبعض من هذه الأشياء السابقـــة أو جميعها ، وهذه الأخيرة يذكرهـــا فى مناطق عدة ، فعند الرحلة والأهبة للسفر ، يمتطى الجميع رحالهم بينما يمتطـــى هو نعله لذلك قال أبو الشمقمق :

أترانى أرى من الدهر يومـــا لى فيه مطية غير رجلـــى

كلما كنت فى جميع فقالـــوا قربوا للرحيل قربت نعلـــى

حيثما كنت لا أخلف رحـــلا من رآنى فقد رآنى ورحلـــى [3]

ويقدم ابن الحجاج ركبته بدلا من دابته عند الرحيل مشتركا بذلك مع قرينه السابق ، مع أنه يرى أن الناس قد كثر غلمانهم وليس له غلام ، لذا قال واصفا :

(١) العقد الفريد ٣٦/٣ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٢٠/١ .

(٣) عيون الأخبار المجلد الأول ٢٤٥ ، العقد الفريد ٢١٥/٦ ، شعراء عباسيون ١٤٥ .

وإن قدموا خيلهم للركـــــوب خرجت فقدمت لى ركبتـــــى

وفى جمل الناس غلمانهـــم وليس سوّانى فى جملتـــــى

ولا لى غلام فأدعو بـــــه سوى من أبوه أخو عمتـــــى [1]

ونتيجة لهذا الحرمان المتكرر والعداء السافر بين المكدى والزمـــان ، أيقن داخـــل نفسه ســـوء نصيبه وقلة حظـــه ، وأنـــه لامحالــة مخلوق لهـــذا التعثر ، لـــذا نـــدب نصيبه من الدنيـــا كقول أبى الرقعمـــق :

كأنى لست مخلوقـــا لغير الجهـــد والضـــر

ومذكنت فمدفـــوع إلى الفاقـــة والفقـــر [2]

ويرى ابن الحجاج أن الفقر قد اجتمع عليه من كل جانب ، حتى أنه لم يترك له شيئا ، مشبها حاله معه بجامع سفيان الثورى فى الفقه ، لذلك قال مقارنا وواصفا حالته متعجبا من فقره :

بالله قولوا ولاتغضبـــوا لست من الحق بغضبـــان

فقر وذل وخمول معـــا أحسنت ياجامع سفيـــان [3]

ويجسد أبو فرعون بخته واصفا إياه على صورة شيخ اجتمعت عليه آفـات عدة منها حبسة اللسان ، والعمى ، والصمم ، قائلا :

رأيت فى النوم بختـــى فى زى شيـــخ أرت [4]

أعمى أصم ضئيـــلا أبـا بنين وبنـــت [5]

ويفقد ابن الحجاج بخته بصورة نهائية بعد أن تفنن فى إذاقته الكثير من العنت والألم ، لذلك قال فيه مستخدما بعضا من الألفاظ الخاصة بالشاعر والمشهور بهـــا :

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٥٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢١٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١/٣١٦ .

(٣) ثمار القلوب ١٧١ ، يتيمة الدهر ٣/٥١ .

(٤) الأرت : الذى فى لسانه حبسة وعقدة ويعجل فى كلامه ، فلا يطاوعه لسانه .

(٥) طبقات الشعراء ٣٧٦ .

فقـــدت بختى إنـــــــد مـــازال بختـــا قـــدرا

لـــو كان شيئا ناطقـــا لكـــان شيخـــا أبخـــرا (١)

وعلى بعد سحيق من باطن الأرض يختفى حظ ابن لنكك ، الذى أدرك أن دهره وراء سوء حظه ، لذلك قال معبرا عن ضيقه واصفا سوء بخته :

إن أصبحت همتى فى الأفق عالية فإن حظى ببطن الأرض ملتصق

كم يفعل الدهر مالا أسر بـــــه وكم يسئ زمان جائز حنـــــق

كم نفخة لى على الأيام من ضجـر تكاد من حرها الأيام تحتـــرق (٢)

ويتجلى عناد البخت وسوء الحظ مع الشخصية المكدية فى أبيات أبى الشمقمق ، الذى ندب سوء بخت ملازم له فى كل مكان ، حتى أنه إذا ركب البحر المتلئ بالمياه طيلة زمانه لنضب ماؤه ، وإذا لمست راحته ياقوتة لتحولت إلى زجاج لاقيمة فيه ، وتحول الماء العذب لوروده عليه إلى ملح أجاج ، لذلك قال :

لو ركبت البحار صارت فجاجـا لاترى فى متونها أمواجـــــا

ولو أنى وضعت ياقوتة حمـــــ ــــراء فى راحتى لصارت زجاجا

ولو أنى وردت عذبا فراتـــــا عاد لاشك فيه ملحا أجاجـــــا (٣)

وهكذا لم يجن المكدى من حياته سوى الألم والضيق ، ولكونه افتقد أشياء كثيرة فى حياته ، فقد ظلت فى داخله على صورة أمنيات حبيسة يتمنى أن تتحقق فى أى وقت يشاء لها الله ، ولكنه لم يحرم نفسه من متعة نظمها كما فعل أبو الشمقمق الذى رغب من دنياه أن تهبـــه خبزا بلحم الماعز والطير ، وجرة من نبيذ ، وجبة دكناء فضفاضة تستر عورته ، وبغلة سريعة السير تكون عونه على التجوال والحركة ، وقينة جميلة تملأ عليه البيت ، ومنزلا رحبا يجاوره فيه أهل الخير

---

(١) يتيمة الدهر ٣٨/٣ .

(٢) تتمة اليتيمة ١١٨/٢ .

(٣) العقد الفريد ٢١٦/٦ ، شعراء عباسيون ١٣٢ .

والمعونة ساعة الضيق والعسرة ، وصديقا وفيا نصوحا ، لذا قال بلسان حال أهل طائفته :

مناى من دنياى هاتى التـى	تسلح بالرزق على غيـــــرى
الجردق الحاضر مع بضعـــة	من ماعز رخص ومن طيــــر (١)
وجرة تهدر ملآنـــــــة	تحكى قراة القس فى الديــــر (٢)
وجهة دكناء فضفاضـــة	وطيلسان حســن النيــــر
وبغلة شهباء طيـــــارة	تطوى لى البلدان فى السيـــر
وبدرة مملوءة عسجـــــدا	ما بالذى أذكر من ضيـــر
ومنزل فى خير ماجيـــرة	قد عرفوا بالخير والميـــر
وصاحب يلزمنى دهــــره	مثل لزوم الكيس للسيــــر (٣)

وعلى هذه الصورة وصف المكدى ذاته وحياته من الداخل بصورة اعتمد فيها على التجسيم والتصوير ، لنقل واقعه إلى العالم الخارجى المحيط به مرة ، أو كصدى لرد فعل فى داخله مرة أخرى .

واستطاع المكدى عبر وصفه أن ينقل صورة حية لجانب كبير من المجتمع افتقد كثيرا من أساسيات الحياة ، حيث عدم القوت والثياب ، وذاق مرارة الحياة إلى جانب أولاد شاركوه هذه المعاناة الطاحنة ، وفقد ومن معه الإحساس بالملكية كغيره ، ثم لم يجد فى النهاية إلا أن يندب حظه وسوء بخته فى الدنيا .

وإذا كان المكدى فى النماذج السابقة قد وصف لنا ذاته من خلال عرضه لحياته وأهله ، فقد بقى لنا أن نتعرف ما يأويه من سكن ومايفترشه من أثاث من خلال وصفه للمكان الذى يقطنه .

---

(١) الجردق : الرغيف .

(٢) الجرة : جرة النبيذ . القرأة : أى صوت نشيشها يشبه صوت القس .

(٣) رسائل الجاحظ ٣٦٦/٢ .

وصف المكان :

افتقد المكدى المكان الذى يلوذ به من عناء يوم طويل ، كما افتقد من قبل كثرة طعامه ، وجودة ثيابه ، وراحة أولاده ، وتعدد ممتلكاته. فطالما نظر بعينيه ليشهد هذا المأوى فوجده سرابا ، وحتى إن وجده أصبح من العسير عليه أن يفترشه لذا عندما قدم لنا وصفا لمنزله وأثاثه قدم صورة ساخرة حزينة لجمع من الناس افترش الطل ونام بلا غطاء ولاسكن . ولقد اعتمد أيضا على التجسيم والتصوير عبر نظمه حتى يقرب الصورة إلى أذهان متلقيه ، ولكم كانت صورة كاريكاتيرية تدعو إلى الضحك المشوب بالحزن فى أغلب الأحايين ، فها هو الأحنف العكبرى يقارن بينه وبين أضعف مخلوقات الله وهو العنكبوت ، متعجبا من أنه جعل من نسجه لخيوطه سكنا ، وكذلك الخنفساء التى احتمت بجسدها وجعلته موطن راحتها ، بينما هو الآدمى لايمتلك مثلهما لذا قال واصفا وساخرا من حاله :

العنكبوت بنت بيتا على وهـــن ... تأوى إليه ومالى مثله وطـن

والخنفساء لها من جسمها سكـــن ... وليس لى مثلها إلف ولاسكن (1)

ولم يجد أبو الشمقمق أوسع من فضاء الله بيتا يقطنه ، بعد أن ضاقت به السبل ولم يتمكن من شراء منزل يأويه ، ولقد جعل من الطبيعة المحيطة حوله أدواته لبناء هذا المنزل الرحيب ، فمساحته الأرض بما رحبت ، وارتفاعه شاهق يصل إلى السماء بسحابها الممتد لتكون سقفا لهذا الكم الهائل الممتد من الأرض، وباب الدار مابين السموات والأرض ، لذلك قال فى هذا المنزل واصفا من خلاله فقره وماوصل إليه من افتقاد للمأوى والسكن متندرا عبر هذه الصورة بما هو عليه:

برزت من المنازل والقبـــاب ... فلم يعسر على أحد حجابـــى

فمنزلى الفضاء وسقف بيتـى ... سماء الله أو قطع السحـــاب

---

(1) المنتحل ١٦٩ ، خاص الخاص ١٣٦ ، الإعجاز والإيجاز ٢٣٦ ، يتيمة الدهر ١١٨/٣

فأنت إذا أردت دخلت بيتي على مسلما من ظهر بــاب
لأني لم أجد مصراع بــاب يكون من السحاب إلى التراب (١)

ويعيش البديع على نفس وتيرة قرينه المكدي السابق ، فماله من سكن إلا السماء يلجأ إليها بعد عناء ومشقة ، ويفترش تحت جنح الليل كمه ، لذا خاطب أحد الأمراء مصورا له حاله ، طالبا منه تغيير مايسمع :

ياسيد الأمراء مالي خيمــة إلا السماء إلى ذراها ألتجــئ
كنفي بعيري إن ظعنت ومفرشي كمي وجنح الليل مطرح هودجي (٢)

وعندما يتغير حال المكدي ، ويتبدل سكن الفضاء الرحيب بمنزل يأوي الجسد المنهك ، لايجد مايفترشه ، لذلك نجده يتندر عليه أيضا ، فمسكن بلا أثاث يساوي عنده الفضاء والطل ، لذا نظم من الأبيات مايصور خلوه من أساسياته المتعارف عليها ، فمنزل الساسي ليس فيه شئ سوى الفقر ، لذا أغلقه بصفة مستمرة كي لايرى الناس سوء حاله ، و بلغ به تصوير فقره أنه خشي على سارقه لو دخل فيه أن يسرق ، ولعلنا هنا نلحظ المبالغة في التصوير على الرغم من أنه ينقل من الواقع :

ليس إغلاقي لبابي أن لــي فيه ما أخشى عليه السرقا
إنما أغلقه كي لايــرى سوء حالي من يجوب الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلــو دخل السارق فيه سرقــا
لاتراني كاذبا في وصفـه لو تراه قلت لي : قد صدقـا (٣)

وينام البديع في بيت يخلو من كل شئ إلا من الحوائط والجدران ، لذا قال متعجبا :

أصبحت في البيت بلا بيــت أقلب الكف على ليــت

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٦-٣٧ ، شعراء عباسيون ١٣١
(٢) ديوان بديع الزمان ١٦/يتيمة الدهر ٤/٢٩٤، معجم الأدباء ٢/١٧١ .
(٣) طبقات الشعراء ٣٧٦ .

وصاحب البيت يريد الكـــرا ولیس في البيت سوى البيت (١)

ويتعجب ابن الحجاج من منزل يقطنه بلا طعام ولاشراب ، لايروى ظمأ العطشى ، ولايسد جوع المحتاج ، لذا قال فيه بعد أن نظر إليه متعجبا من أمره واصفا إياه :

ماحال من يأوى إلى منــــزل أرفق منه المسجد الجامــــع

لايرتوى العطشان فيـــه ولا يلحق مايقتاته الجائـــــع

وسوقة كاســـدة بينكــم لامشتر فيها ولابائـــــع (٢)

ويطبق المنزل بما فيه على صدر ابن الحجاج ، فإقامته فيه تشبه الدفن فى القبر ولكن بلاموت ، وعلى الرغم من بشاعة منزله فهو يرتاده كل يوم ، وأحيانا مع بعض من صحبه ، الذى يفترش له من الحديث مايعوضه عن الأثاث ، ويشتد بهما الجوع ولكن لاطعام ، لذا قال واصفا هذا المكان ومعاناتهـا الدهر على موقفه منـــه :

إلى كم يخاسسنى دائمـــــا زمانى المقبح فى عشرتـــــى

تحيفنى ظالما غاشمـــــــا وكدر بعد الصـفا عيشتـــــى

وكنت تماسكت فيما مضـــى فقد خاننى الدهر فى مسكتى

إلى منزل لايـــــوارى إذا تحصلت فيه سوى سوأتـــــى

مقيمـا أروح إلى منـــــزل كقبرى وماحضرت ميتتـــــى

إذا ما ألـــم صديقـى بـــه على رغبة منه فى زورتـــــى

فرشت له بسط الحديـــــــــث من باب بيتى إلى صفتى

ومعدته فى خلال الكـــــلا م تشكو خواها إلى معدتـــى (٣)

---

(١) ديوان بديع الزمان ١٣

(٢) يتيمة الدهر ٥٦/٣

(٣) نفـــــه ٥٤/٣ - ٥٥ .

ويظفر أبو الشمقمق بعد مزيد من العناء والمشقة بسرير ينام عليه بعد رحلة طويلة مع الخلاء والطل ، ولكن سعادته لاتكتمل لأنه بلا كسوة سوى الحصير البالية ، لذا قال طالبا رؤية موضع نومه هذا ومتندرا عليه من خلال قوله :

لو قد رأيت سريرى كنت ترحمنــى اللـه يعلم مالى فيه تلبيـــــس
والله يعلم مالى فيه شابكــــة إلا الحصيرة والأطمار والديـــس[1]

ومنزل المكدى لاتجد فيه إلا الظلمة الحالكة ، فكل ماديه قبس من ضوء مسرجة ضنت بشعلتها عليه ، حتى عدم ظلها كنحافة جسده التى وصفناها من قبل، لذا قال ابن لنكك عن هذه الصورة :

لنا سراج نوره ظلمـــــــــه ليس لــــه ظـل على الأرض
كأنه شخص الإمام الـــــــذى يبغى الهدى منه أو لو الرفــض[2]

ونتيجة لهذا الفقر، ومدى الظلمة الحالكة فى بيت المكدى، وجدت الحشرات والآفات مرتعا خصبا تتجول فيه دون عائق ، فالمنزل خواء بلا أثاث ولافرش ، لذا شاركت المكدى فى حياته مجموعة من الصحبة الملازمة له مثل البراغيث والفئران وابن عرس ، وطعمت من قوته إن وجد ، أو بالامتصاص من بعض جسده ، عوضا عن طعام مفتقد كحال أبى الشمقمق مع براغيثه التى حالت دون نومه ووصلت ليله بنهاره ، والتى لم تتركه إلا بعد أن امتصت من دمائه ما يكفيها مؤونة غيره ، لذا قال فيهــا :

ياطول يومى وطول ليلتيــــه إن البراغيث قد عبثن بيـــــه
فيهن برغوثة مجوعــــــة قد عقدت بندها بفقحتيــــــه [3]

(١) العقد الفريد ٣٦/٣ / شعراء عباسيون ١٤١ .
تلبيس : ما يكسى به السرير كالملاءة . الديس : هو المعروف فى مصر بالسمار .
شابكة : أى شئ مضموم بعضه الى بعض .
(٢) معجم الأدباء ١٩٤/١٧ .
(٣) الحيوان ٣٩٠/٥ ، شعراء عباسيون ١٥٣ البند : العلم الكبير وهو فارسى معرب .
الفقحة : حلقة الدبر وقيل الدبر بجمعها.

ويحتدم الأمر بينه وبراغيثه ، ولكنه يعلم دائما أنه الخاسر ، لأن خصمه يمتلك من الأسلحة ماتجعله يسلم دون إطالة ، لذا قال مؤكدا هذا الأمر بعد معركة بينه وبرغوث ماضى الشفرتين :

ألا رب برغوث تركت مجـدلا بأبيض ماضى الشفرتين صقيـل (١)

وتتجول الفئران فى منزل المكدى كما يحلو لها ، وربما طافت به جماعات تلو الأخرى فالمكان رحب ، والفوز به شئ يسعد هؤلاء الضيوف ، لذا قال أبو الشمقمق عن جماعته الوافدة عليه من الفئران وابن عرس ؛ والذى شاهد حالها متعجبا وواصفا ماحدث منهم : (٢)

نزل الفأر ببيتـــــى	رفقة من بعد رفقـــــه (٣)
حلقا بعد قطـــــار	نزلوا بالبيت صفقـــــه (٤)
ابن عرس رأس بيتـــى	صاعدا فى رأس نبقـــــه
سيفه سيف حديـــد	شقه من ضـلع سلقـــــه
جاءنا يطرق بالليــــل	فـدق الباب دقـــــه
دخل البيت جهـــارا	لم يدع بالبيت فلقـــــه (٥)
وتترس برغيــــف	وصفق نازويه صفقـــــه (٦)
مقلة أبصرت منهـــا	فى سواد العين زرقـــــه
زرقة مثل ابن عـــرس	أغبش تعلوه بلقـــــه (٧)

---

(١) محاضرات الأدباء ٦٨٧/٤ / شعراء عباسيون ١٤٦ .
(٢) الحيوان ٢٦٧/٥ - ٢٦٨ .
(٣) الرفقة : القوم والجماعة .
(٤) حلقا : بالتحريك جمع حلقة ، وهى كل شئ استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة وكـذلك هى فى الناس .
(٥) الفلقة : الكسرة من الخبز .
(٦) تترس به : جعله كالترس . نـازو : القط بالفارسية .
(٧) أغبـش : لون الرمـاد . البلقة : سـواد وبياض .

وتفتقد هذه الجماعات بعد أن أتت على مافى البيت من طعام ماتقوت به نفسها بعد ذلك ، لذا لم تجد إلا أن تلهو بصاحبه الذى ضن على أضيافه بكسرة من خبز أو فتات من طعام من هنا أخذت برجله ، وسخرت منه ، وأقامت له عرسا مما دعا أبو الشمقمق إلى وصف هذا الحفل النادر حدوثه قائلا بصورة ساخرة تهكمية من فقره شارحا كيف اقتصت الفئران منه :[1]

أخذ الفأر برجلـــــــــــى	جفلوا منها خفافـــــــــى [2]
وسراويلات ســـــــــوء	وتبابين ضعـــــــــــاف
درجوا حولى بزفـــــــــن	وبضرب بالدفـــــــــاف [3]
قلت : ماهذا ؟ فقالـــــوا	أنت من أهل الزفـــــــاف
ساعة ثمت جـــــــازوا	عن هواى فى خـــــــلاف

وتضيق هذه الكوكبة من البيت بعد أن أقفر ولم يعد فيه شئ ، فتعلن عن رحيلها ويدخل معها أبو الشمقمق فى مساجلة فكهة ساخرة ـ تصور مدى فقر المكدى وإفلاسه ـ ليعرف منها سر إزماعها الرحيل ، وإذا بالسبب يكمن فى أن السنور لم يعد يجد طعاما يعيش من خلاله حتى ولو فأرة ، لذا حاول الشاعر أن يثنى ضيوفه عن عزمهم ، ولكن ذهبت توسلاته أدراج الرياح ، فلابُدلهم من الخروج من بيت ليس وراءه إلا الموت والهلاك دون محالة ، لذلك قال أبو الشمقمق واصفا إقفار بيته حتى هجرته السنور والفئران ، ساخرا من موقفه هذا :[4]

ولقد قلت حين أقفر بيتـــــــى	من جراب الدقيق والفخـــــاره
ولقد كان آهلا غير قفــــــــر	مخصبا خيره كثير العمـــــاره

---

(١) المرجع السابق ٥/٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) جفلوا : نحوا ونزعوا . خفاف : جمع خف .

(٣) الزفن : الرقص . الدفاف : جمع دف .

(٤) نفســـــه ٥/٢٦٤ - ٢٦٥ / شعراء عباسيون ١٣٨ - ١٣٩ .

فأرى الفأر قد تجنبن بيتـــــى	عائذات منه بدار الإمــــاره
ودعا بالرحيل ذبان بيتـــــى	بين مقصوصة إلى طيـــاره
وأقام السنور فى البيت حـــولا	مايرى فى البيت فــــاره
ينفض الرأس منه من شدة الجـو	ع وعيش فيه أذى ومــــراره [1]
قلت لما رأيته ناكس الـــــرأ	س كئيبا فى الجوف منه حراره
ويك صبرا فأنت من خير سنـــو	رورأته عيناى قط بحـــــاره
قال : لاصبر لى وكيف مقامــى	وسط بيت قفر كجوف الحماره [2]
قلت : سر راشدا إلى بيت خــان	مخصب رحله كثير التجــاره [3]
وإذا العنكبوت تغزل فـــــى د	نى وحبى والكوز والقرقــاره [4]
وأصاب الحجام كلبى فأمســـى	بين كلب وكلبة عيــــــاره [5]

وبعد فهذا هو وصف المكدى لمكانـــــه ، فإما سماء الله بظلها الواســـع وأرضــــه الممتدة ، وإما منزل ليس فيه شئ ســـوى الجدران وقد خلا من الأثــــاث والفراش والطعـــام والشـــراب ، يرافقــــه فيه مجموعة من الصحبة المتطفلة ، لــذا تحـــدث فى وصفه عن البراغيـــث والفئران ، والسنانير ، ولقد سخـــر من فقره فى صور مساجــــــلات دارت بينه وضيوفه غير المرغـــوب فيهـــم ، والـــذى وصـــل بهـــم الأمـــر إلى أن تركـوا داره القفـــر إلى آخـر يتوفـر فيه الـزاد .

وتحت وطأة هذه الظروف أراد المكدى أن يعوض نفسه بعضا من ويلات هذه الحياة القاسية ، فاعتمد على الحيلة بحثا عن الرزق ، وتلون كما تتلون الحياة ، ونزل إلى عامة الناس يرتزق منهم بحيله وفكاهاته ، واصفا خلال هذه المعانـــاة

(١) ينفض : يحرك رأسه إلى أعلى وإلى أسفل .

(٢) جوف الحمار : مَثل فى الخواء .

(٣) بيت خان : كثير التجارة .

(٤) الدن : الراقود العظيم ، وهو كهيئة الحب ، إلا أنه أطول . الحب : بالضم الجرة الضخمة القرقارة : بالفتح إنـاء .

(٥) الحجام بتقديم الجيم المضمومة على الحاء داء يأخذ الكلب فى رأسه فيكوى منه بين عينيه. العيارة : التى تذهب كأنها منفلتة من صاحبها تتردد .

طوائفه التى تتكون منها طبقته ، وطريقة تكديتهم ووسائلهم فى الحيلة المشوبة بالذكاء .

وصف الحيل والطرائف

انطلق المكدى بذكاء يبحث عن رزقه معتمدا على قدرته الفائقة فى التلون مع كل مكان بما يتناسب مع طبيعته ، متجها إلى أصحاب القلوب العطوفة،وعلى الرغم من أنه واحد من هذا البنيان الكبير لمجتمع غلب عليه الفقر ، إلا أنه لم يكن حسن النية فى استدرار دراهم هذه الطبقة وهو يعلم ماتعانيه ، وربما كان دافعه فى ذلك القاعدة التى تقول بأن الحاجة تفتح أبواب الحيل [(١)] ، ولقد زاد إيمانه بتطبيقها ماهو عليه من ضيق ذات يد ، أو لكونه استند إلى الراحة دون العمل معتمدا على ذكائه ومقدرته على التحايل ، لذا جعل من شخصه شخوصا عدة تظهر وتتلون من مكان إلى آخر بحثا عن الدراهم ، مؤمنا بأن هذا الزمان لاتنفع معه إلا هذه الصورة لذلك اعتنق هذا التصور وصاغه نظما عندما قال :

ويلك هذا الزمان زور	فلا يغرنك الغرور
بزوق ومخرق وكل وأطرق	واسرق وطلبق لمن تزور
لاتلتزم حالة ولكن	در بالليالى كما تدور [(٢)]

ولكون الحياة فرضت عليه هذه الحالة ، رغب فى مجاراتها فذهب على إثر ذلك يبحث عن رزقه المشوب بالحيلة كما فعل الأحنف العكبرى الذى قال :

---

(١) المستطرف ٢/٨٩ .

(٢) ديوان بديع الزمان ٣٩ .

قد قسم الله رزقى فى البلاد فما يكاد يدرك إلا بالتفاريـــق
ولست مكتسبا رزقا بفلسفـــة ولابشعر ولكن بالمخاريـــق
والناس قد علموا أنى أخو حيـل فلست أنفق إلا فى الرساتيق [1]

وحيل هذه الطائفة تميزت باللطف والبراعة مع المكر والخداع وصاحب الحيلة منهم لم يكن يجهد نفسه فى طريقة اكتسابه للرزق ، فله فى كل بقعة ينزلها أسلوبه فى نيل دراهمها ، وربما ورث نقلا ووصفا كيفية تطبيق هذه الحيل وأشكالها المختلفة لجيل يتلوه ، فخالويه المكدى ـ وهو على فراش موته ـ يلقن ابنه طريقة كان يستخدمها عندما يقل المال بين يديه ، وكيف كان يتحايل فى أمر هذا الجمع بأن يغير من ملامحه ويحتال على الناس بهيئة جديدة تخالف شخصيته المعروفـة قائـلا له (أنا لو ذهب مالى لجلست قاصا ، أو طفت فى الآفاق ـ كما كنت ـ مكديا . اللحية وافرة بيضاء، والحلق جهير طل ، والسمت حســن ، والقبول على واقــع . إن سألت عينى الدمع أجابت ، والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير) [2] .

وشيخ آخر من المكدين يضع محصلة حيله بين يدى شاب التقى معه ذم الكدية ولعنها، فأغضب الشيخ الذى هاله أن تسب الكدية على لسان واحد من نشئها، فأراد أن يصحح له مفهومه مستقطبا إياه ، ضاربا له المثل على اتساع رزق هذه الحرفة وإدرارها للمال على قدر تلون صاحبها وقدرته على استخدام عقله، مطبقا مايقول على ماكان يصنعه هو من حيل ، من مثل هذه الحيلة الظريفة التى اختلقها عندما دخل أحد بلدان الجبل وأعوزته الحاجة إلى المال ، فذهب إلى مسجدها الجامع حيث الجمع الكثير من الناس ، وقد غير من ملامحه ، موهما الناس بأنه من أبناء المحاربين فى سبيل الله وأن جل حياته كان من أجل الغزو

---

(١) يتيمة الدهر ١١٨/٣ الرزتاق والرستاق واحد ، فارسى معرب ، ويقال رزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد.
(٢) البخلاء ٤٩.

ونشر دين الله ، وأنه أحد الرجال المشهورين لديهم قائلا:(أما والله لقد رأيتني وقد دخلت بعض بلدان الجبل ، ووقفت فى مسجدها الأعظم ، وعلى فوطة قد ائتزرت بها ، وتعممت بحبل من ليف ، وبيدى عكازة من خشب الدفلى [1] ، وقد اجتمع إلى عالم من الناس كأنى الحجاج بن يوسف على منبره وأنا أقول ياقوم : رجل من أهل الشام ، ثم من بلد يقال لها : المصيصة من أبناء الغزاة والمرابطين فى سبيل الله من أبناء الركاض [2] ، وحرسة الإسلام ، غزوت مع والدى أربع عشرة غزوة ، سبعا فى البحر ، وسبعا فى البر ، وغزوت مع الأرمنّى ، قولوا : رحم الله أبا الحسن ، ومع عمرو بن عبيد الله قولوا : رحم الله أبا حفص ، وغزوت مع البطال بن الحسين والزّنْداق بن مدرك ، وحمدان بن أبى قطيفة ، وآخر من غزوت معه يازمان الخادم ، ودخلت قسطنطينية ، وصليت فى مسجد مسلمة بن عبدالملك، من سمع باسمى فقد سمع ، ومن لم يسمع فأنا أعرفه بنفسى ، أنا ابن الغزيل بن الركان المصيصى المعروف المشهور فى جميع الثغور ، والضارب بالسيف ، والطاعن بالرمح ، سد من أسداد الإسلام ، نازل الملك على باب طرسوس ، فقتل الذرارى ، وسبى النساء ، وأخذ لنا ابنان وحملا إلى بلاد الروم ، فخرجت هاربا على وجهى ومعى كتب من التجار فقطع على الطريق وقد استجرت بالله ثم بكم ، فإن رأيتم أن تردوا ركنا من أركان الإسلام إلي وطنه وبلده !

فوالله ما أتممت الكلام حتى انهالت علّى الدراهم من كل جانب وانصرفت ومعى أكثر من مائة درهم) .

وعلى هذه الصورة انتهت حيلة الشيخ التى قصها على الشاب ، والذى ندم على مقولته السابقة بذم الكدية وأهلها معترفا بقيمتها وفائدتها ، مقبلا رأس الشيخ الذى علمه من الحيل والفنون دروسا لن ينساها بعد ذلك . [3]

---

(١) الدفلى : نبت مُرقتال .

(١) الركاض : العائدون .

(٢) المحاسن والمساوئ ٢/٤١١ - ٤١٢ .

ويتفنن المكدى فى تطوير حيله كلما دعاه ذلك ، فالحيلة السابقة قد نفذها أهل الكدية بأكثر من أسلوب ، إلا أنهم بذلك يزيدون من قاموس حيلهم وطرقهم فى اصطياد الدراهم ، فالمكى وهو واحد من أهل الطائفة ، مهمته الأساسية هى التطواف فى البلاد وعليه سروال واسع وتكة أرمينية مشدودة على العنق ووجهته مسجد البلدة التى يطوف بها ، موهما الناس بأنه تاجر غريب قطع عليه الطريق ولم يعد لديه من المال شئ [1] .

ويشترك رفيقان من أهل الكدية فى نسج خيوط الحيلة الأولى ويطلق عليها فى عرف ومصطلح أهل الطائفة (المفلفل) وكلاهما إذا دخلا مدينة جعلا من مسجدها الجامع قبلتهما بحيث إذا تواجد الناس ، وقف أحدهما فى أول صفوف المسجد والثانى فى آخره ثم يطلب كل واحد منهما أن يروى مافى جعبتهما من قصة كانت السبب فى أن طاف بهذا المكان فيرفض ، ويظلان على هذه الوتيرة حتى تتعلق بهما القلوب ، فإذا تأكدا من ذلك أماطا اللثام عن سرهما الذى يكمن فى أنهما شريكان فى تجارة وأثناء عبورهما بما يحملاه من تجارة من مصر إلى العراق قطع عليهما الطريق ، وأنهما لايبغيان مالا وأن هذا ليس دأبهما فيوهمان الناس أنهما قتلا حياء ، وينالان بذلك دراهمهم [2] .

وعلى هذه الصورة كان المكدى يتقن دوره جيدا ، مطورا الحيلة الواحدة بأكثر من صورة لكى يتزيا بها فى كل مكان يذهب إليه حتى لاينكشف أمره .

ومن الحيل الظريفة لهذه الطبقة أنهم استطاعوا تدريب قرد على الصلاة والبكاء ، مستغلين بذلك سذاجة العامة ، فقد أوهموهم أن قردهم هو ابن أحد الملوك ، ثم عشق إمرأة ساحرة فمسخته قردا ، وطلبت من أجل إرجاعه إلى آدميته مالا كثيرا ، متجهين بحديثهم هذا إلى جمع الناس ، طالبين منهم الإسهام فى جمع

---

(١) المرجع السابق ٢/٤١٣ .

(٢) نفســـــه ٢/٤١٤ .

هذا المال ، حتى يعود هذا النبيل الشريف ، صاحب الأصل العريق إلى أصله مرة أخرى ، ولقد روى تفاصيل هذه الحيلة الطريفة أحد المتأخرين ، والذى يحكى أنه شاهدها رؤيا العين ، ولكم أدهشه ماكان يصنعه القرد من حركات مدروسة متقنة ، لذا بدأ حكايته بوصف ماعليه القرد من فاخر الثياب ، ومايحفه من الخدم والأعوان من كل الجهات ، وذلك عندما قال (رأيت بحران سنة ثلاثة عشر وستمائة رجلا من بنى ساسان ، قد أخذ قردا علّمه السلام على الناس ، والتسبيح والسواك ، والبكاء ثم رأيت لهذا القرد من الناموس مالايقدر عليه أحد ، فإذا كان يوم الجمعة أرسل الرجل عبدا هنديا ، حسن الوجه نظيف الملبوس إلى الجامع فيبسط عند المحراب سجادة حسنة ، فإذا كان فى الساعة الرابعة لبس القرد ملبوسا خاصا من ملابس أولاد الملوك ، وجعل فى وسطه حياصة لها قيمة ، ثم طيبه بأنواع الطيب ، ثم أركبه بغلة بمركوب مذهب محلى ، ثم مشى فى ركابه ثلاثة عبيد هنود بأفخر ملبوس ، الواحد يحمل الوطا ، والآخر يحمل الشرموذة ، والآخر يطرق قدامه وهو يسلم على الناس) [1] .

بهذه المقدمة المحبكة من جميع جنباتها ، والمتمثلة فى اختيار اليوم وهو الجمعة حيث جمع الناس الأكبر ، وكم العبيد المجاور لهذا المشهد الملوكى لقرد يلبس أفخر ثياب ، وتفوح من جسده أفخر أنواع الطيب ، يبدأ المكدى فى إيقاع السذج فى براثن شباكه وحيله ، وهو يعلم ضمنا أن من يرى هذا المشهد التمثيلى منهم لابد أن يدفعه فضوله إلى معرفة مايرى ، لـــذا كان تدريبه لقرده يفوق الوصف ، ولنا أن نلحظ هذه القدرة على الحيلة عبر هذه الحركـــات التى صنعها القرد ، وفى حديث المكدى لاستدرار المال ، وذلك بعد أن أشار إلى قرده معلما عنه بأنه (ابن الملك الفلانى من أكبر ملوك الهند وهو مسحور ، فلايزال حتى

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ٢/١٢٥، كشف الظنون ١/٤٥٥ - ٤٥٦ .

يدخل الجامع ، فيفرش له الوطا فوق السجادة ، ويحط له سبحة ومسواكا ، فيقلع القرد منديله من الحياصة ويضعه بين يديه ، ويستاك بالمسواك ، ويصلى ركعتين تحية المسجد ، ثم يأخذ السبحة ويسبح ، فإذا فعل ذلك نهض العبد الكبير على قدميه ، فسلم على الناس ، وقال يا أصحابنا ؟ من أصبح معافى فإن عليه نعمة لاتحصى ، واعلموا أن هذا القرد الذى ترونه بينكم ، والله لم يكن فى زمانه أحسن شبابا منه ، ولا أطوع لله تعالى منه ، ولكن المؤمن ملقى لقضاء الله ، وكان من القضاء المدبر أن زوجه والده ابنة الملك الفلانى ، فأقام معها مدة ، ثم قالوا لها إنه قد عشق مملوكا له ، فأدركتها الغيرة ، وطلبت دستورا لها فى زيارة أهلها ، فأذن لها فى ذلك وجهزها بما تحتاج إليه ، فلما وصلت عند أهلها سحرته كما ترون ، فلما رأى والده ذلك قال : هذا اختلف به عن الملوك ، فأمر بإخراجه من ذلك الإقليم ، فأخرج وقد سألناها بجميع الملوك ، فادعت أنها خلفت عنده أثاثا قيمته مائة ألف دينار ، وقد تخلف عليه عشرة آلاف ، من يساعده بشئ من ذلك ؟

فارحموا هذا الشاب ، الذى عدم الأهل والملك والوطن ، فأخرج من صورته إلى هذه الصورة ، فعند ذلك يجعل القرد المنديل على وجهه ويبكى ، فترق قلوب الناس لذلك ويرفده كل أحد بما يسره الله ، فما يخرج من الجامع إلا بشئ كثير ، وهو يدور به البلاد على هذه الصفة) [1] .

وهكذا أنعم الله على المكدى بذكاء نادر وجعل من حيله قصصا تتناقل وتتوارث عبر أجياله المختلفة ، ولم تقتصر حيل هذه الطائفة على شخص بعينه كى يستأثر بها بل تعدته إلى شخوص عدة كل له أسلوبه فى التكدية والحيلة ، لذلك تعددت الأنماط التى تندرج تحتها هذه الطائفة مما لفت الأنظار إليها وإلى صفوفها التى تنضوى تحتها ممثلة فى النهاية مايعرف بطائفة الكدية .

---

(١)المرجع السابق ١٢٦/٢ ، كشف الظنون ٤٥٥/١ - ٤٥٦ .

ويعتبر الجاحظ من خلال حديثه عن شخصية خالويه المكدى أول من أشار إلى بعض من طوائف هذه المجموعة الكبيرة ، ثم تبعه البيهقى عندما عرض لصنوف أخرى فى كتابه المحاسن والمساوئ ، على حين جمع كتاب يتيمة الدهر للثعالبى أغلب ما كتب عن الكدية ، وتعد القصيدة الساسانية لأبى دلف الخزرجى خير مثال لتصوير طوائف وحيل هذه الطبقة ، وتعتبر دستورا مفتوحا يصف أهل هذه الطائفة وصفا دقيقا، وليس فيها شئ يدعو للتأمل سوى ألفاظها، حيث جاءت غريبة على مسامع من يجهل مصطلحات أهل هذه الطبقة ، سلسة مفهومة لأهلها، فناظمها أحصى عبر وصفه لأهل الطائفة مايرد على ألسنتهم من مصطلحات خاصة بهم دون غيرهم، على أن أمر هذا التفصيل اللغوى متروك للدراسة الفنية فيما بعد. ومايعوزنا الآن هو محاولة تعرف أصناف المكدين وفعالهم وطوائفهم كما وردت على لسان أحد أقطابهم وهو الخزرجى .

والكدية متعددة الطوائف، إلا أنهم جميعا يشتركون في مهمة واحدة هى كيفية الحصول على المال بكل الوسائل المتاحة وغير المتاحة ، لذا توزعوا فيما بينهم كل حسب مايجيده من تلون وتحايل، واندرجت تحت هذه الطائفة مجموعة من الطبقات هى :

* من جعل من عاهاته أداة للكسب ، مع اتقان تمثيل اصطناع هذه العاهة وأنها ملازمة له على الدوام ومفره الوحيد منها هو الموت ، معتمدا بذلك على الحيلة فى إظهارها من أجل لفت الأنظار إليه ، ولقد تم اختيار هذه العاهـات بصورة تثير فى نفوس سامعيهـا ومشاهديها الشفقـة والرحمة، وصـور هذه الجماعة أبو دلف فى معلقته الساسانية وذلك عندما قال عنها مستخدما لفظ منا على اعتبار أنه واحد من أهل طائفة الكدية :

منا الكاغ والكـــــاغـــ	ـــة والشيشق فى النحـــر (١)
وحاجور وكذابـــــــا	ت أهل الأوجه الصفـــر (٢)
ومن شطب أو ركـــــ	ــب للضربات والعقـــر (٣)
ومن ميسر أو مخـــط	ــر واستنفر للثغـــر (٤)
ومناكل زمكـــــدان	غدا محدودب الظهـــر (٥)
ومناكل مطــــرّاش	من المكلوذة البتـــر (٦)
ومن طفشل أوزنكــــ	ــل أو سطل فى السـر (٧)
ومن دشش أو رشـــــ	ش أو قشش يستـــدرى (٨)
ومن يزنق أو يخـــــ	ــنق أو يذلـق بالدبـــر (٩)
ومطلـــى دم الأخ	مع المصموغ كالبشـــر (١٠)
ومنا سعفة الريـــــع	لضرب الكلب والهـــر (١١)

وصف الشاعر من خلال هذه النماذج مجموعة من أهل الكدية تفنن كل واحد منهم فى أن يجعل من عاهته معبرا يكون بينه ومال الناس الذين يشهدونه ،

---

(١) يتيمة الدهر ٣٥٦/٣ . الكاغ والكاغة : المجنون والمجنونة. الشيشق الحدائد والتعاويذ.
(٢) نفســـه ٣٥٧/٣ الحاجور : الذى يثقب بيضة ويجعلها تسيل فى حجره ويستجدى بهذه العلة الكذابات : العصابات التى توضع على الجبهة .
(٣) نفســـه ٣٥٧/٣ شطب : عقر نفسه . ركب : طلى جسمه بزيت السمسم .
(٤) نفســـه ٣٥٧/٣ ميسر : الذى يكدى على أنه من الثغر . مخطر : بلع لسانه .
(٥) نفســـه ٣٥٩/٣ محدودب الظهر : غير مستقيم
(٦) نفسه ٣٥٩/٣ المطراش : من معه يده يكدى عليها . المكلوذة : اليد المقطوعة .
(٧) نفســـه ٣٥٩/٣ طفشل : علق لسانه داخل فمه . سطل : تعامى وهو بصير . زنكل : احتال فى السلب .
(٨) نفســـه ٣٥٩/٣ . دشش : جعل فى استه شبه حقنة ونام على الطريق . رشش : من يلقى مايبوله على المارة فى الطريق .
(٩) نفســـه ٣٦٠/٣ يزنق : يثقب فى بدنه ثقبا حتى يتورم . يذلق : يمشى عريان الاست .
(١٠) نفسه ٣٦٧/٣ مطلى دم الأخ : من فى أجسادهم بثور يمرضون منها .
(١١) نفسه ٣٦٨/٣

ويمرون عليه فى أماكنه التى اتخذها مصيدة لفرائسه ، فمن خلال ادعاء الجنون يحاول (الكاغ) إقناع الناس بمرضه العقلى ، والذى من الصعب الشفاء منه ويحتاج للشفقة والمعونة ، فينال على إثر ذلك الدراهم والعطايا ، بينما يتعلل (الحاجور) بمرضه المزمن ، الذى جعله يخرج مافى معدته على حجره ، وذلك عبر بيضة صفراء يسيلها عليه ، مدعيا بأنه يبول على نفسه ، ويعقر (المشطب) نفسه بالموسى ويعلن للجميع بأن اللصوص والأكراد قد خرجوا عليه فنالـوا من ماله ، طالبا العون بعد إعلانه السابق وحالته المزرية لها ، ويبلع (الميسرانى) لسانه ويستغل سذاجة العامة ويوهمهم بأن الـــروم قد بترت لسانه ، ويقـــف (الزمكدان) محدودبا من آثار آلام شديدة أحنت ظهره ، وأجهدته وحالت دونه والرزق ، بينما يكدى (المطراش) على يد مقطوعة يظهرها أمام العامة بين ثيابه الممزقة ، ويعلق (الطفشل) لسانه كالميسرانى ولكنه فى هذه المرة يتشبه بالأعراب ويدعى أنه لايجيد الكلام ، ولايمكنه الإفصاح عما يريده فينال عطايا مستمعيه لجهلهم بما يطلبه،ويتعامى (الاسطيل) على الرغم من قوة بصره الحاد ، ويفترش (المدشش) قارعة الطريق وقد عرى جسده ووضع فى استه شبه حشو كحقنة ، ثم يبول أمام العامة فى مبولة ، حتى إذا انتهى من بوله قام برشه على من يمر أمامه لفتا للأنظار ، وطلبا للعون والرحمة،وتدفع (المزنق) الحيلة إلى أن يثقب فى بدنه ثقبا ثم ينفخ فيه حتى يتورم كله ، ثم يضع على رقبته منديلا مفتولا حتى تنتفخ رأسه ويتورم وجهه لكى يزيد من المعاناة النفسية لمشاهديه لضمان القدر الكافى فى المال المستدر ، ويكمل حيلته السابقة من يجعلون من أجسادهم مكانا للبثور التى تخرج بعد نفخهم فيها فيمرضون منها ويكدون ، بينما يأتى رجال (سعفة الريح) بحركات تمثيلية متقنة فيقفون فى الطريق وقد اصطكت أسنانهم واهتزت مفاصلهم من رعدة شديدة غلبت عليهم إثر قتلهم سنــورا أو كلبا أو من لطمته الجـــان.

وهكذا استطاع المكدى أن يصل إلى العامة بسهولة وأدواته ميسرة مؤداها حيلة ظريفة مع أداء معبر جاد ، والنهاية معروفة لكونها اعتمدت على مقدمات

جادة مستغلة سذاجة الإنسان العادى .

* ونوع ثان من المكدين جعل من الشعوذة والتنجيـــم وسيلة لكسب الـــرزق ، وقد وصفهم الخزرجى من خلال قصيدته ، مستخدما أيضا مصطلحاته الخاصة بأهل الطائفة قائلا عنهم :

ومن دروز أوحــــــــــــر	زأو كوز بالدغــــــــــر (١)
ومن دكـــــك أو فكـــــــ	ـــك أو بلفك بالحـــــــر (٢)
ومن يزرع فى الهـــــــادو	رتكسيحا من الهــــــدر (٣)
ومن شقـف بالمـــــــاء	ومن شقف بالجمـــــــر (٤)
ومنا حافـــــر الطـــــرس	بـــلا خرط ولاجهـــــــر (٥)
ومن قرمط أو سرمــــــــ	ـــط أو خطط فى سفـــر (٦)
وحراق وبــــــــــزاق	بنى الشخير والنشـــــر (٧)
ومن كان على رأى ابـــــن	سيريـــــن من العـــــبر (٨)
ومنا قافة الـــــــــــرزق	وأهل الفال والزجـــــــر (٩)
ودكاك السفوفـــــــــات	لريح الجوف والخضـــــر (١٠)

عبر هذه الأبيات سجل الشاعر بنظمه مجموعة جديدة من أصحاب الحيل داخل إطار طائفة الكدية ، وتعتمد هذه المجموعة على الشعوذة والتنجيم فى

---

(١) المرجع السابق ٣٥٦/٣ .
دروز : دار على السكك والدروب وسخر بالنساء . حرز : كتب التعاويذ .
(٢) نفســـه ٣٥٨/٣ . المدكك : من يرقى الناس ويعالجهم بالرقية لإخراج الدود من الأسنان .
(٣) نفســـه ٣٦٠/٣ . الهادور : من ينظرون فى الفال والزجر والنجوم .
(٤) نفســـه ٣٦١/٣ . المشقف : من يكتب الرقاع بماء النوشادر .
(٥) نفســـه ٣٦٣/٣ . حافر الطرس : من يحفر قوالب التعاويذ .
(٦) نفســـه ٣٦٣/٣ . قرمط : كتب التعاويذ .
(٧) نفســـه ٣٦٤/٣ . البزاق : من يرقى المجانين .
(٨) نفســـه ٣٦٤/٣ .
(٩) نفســـه ٣٦٥/٣ . قافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .
(١٠) نفســـه ٣٦٧/٣ . الدكاك : الذى يرقى من القولنج .

الكسب المشوب بالحيلة وخفة اليد ، ولقد اتجهت هذه الطائفة أيضا إلى العامة من أجل نيل عطاياها وكسب اليسير من مالها عن طريق كتابة التعاويذ والأحراز وأعمال التنجيم والخزعبلات ، ومن يكتب هذه التعاويذ يطلق عليه فى مصطلحهم اسم (المحرز) بينما يحتـــال (المدكـــك) بالرقية على من به وجع الأضراس ويوهمـه بأنـــه قد تخلص نهائيا من آلامه المبرحة إثر خـروج دود كان بها ، ولاتقتصر الرقية على وجع بعينه فربما شمل العلاج بها أكثر من مرض، فمثلا يستخدمها (البزاق) فى علاج من به مس جان ، " والدكاك " فى شفاء من بأمعائه تقلصات .

ويقيم (أهل الهادور) أو (قانة الرزق) حلقة يجتمع حولها العامة لكى يخبروهم عبر درايتهم بالفأل والزجر والتنجيم بما حجب عنهم فى عالم الغيب، ومن ناحية أخرى يقف (المشقف) ليرى بخت أحد الناس عن طريق رقعة مكتوبة بماء النوشادر تلقى فى النار فيظهر مافيها بلون الســواد، فيقتنع الرجـل بأن حظه قد خط عليهـا، بينما يقوم فى المقابـــل بعض من المبصرين بتفسير الأحـلام، ويكدون بذلك وينتسبــون إلى (ابـن سيريــن) مفسر الأحــلام، وإلى الأميين من العامة يبيع (حافر الطرس) قوالبه المنقوشة بالتعاويذ والتى يحفظها جيدا، وربما أوهم من أمامه بأنه هو كاتبها على الرغم أن من يكتبها يقــال لــه (القرمــط) .

* ومن الشعوذة إلى الاتجار بالدين والكسب به ، نظم الخزرجى عبر قصيدته الساسانية أنماطا اندرجت تحت طائفة الكدية، وجعلت من الدين ستارها لكى تكدى من خلاله لذا قال عنها وعن أهلها :

ومن قص لإسرائيـــــــــ	ـــل أو شبرا على شبـــــــر (١)
ومن بشرك أو نــــــــو	ذك أو أشرك بالهبــــــــــر (٢)

---

(١) المرجع السابق ٣/٣٥٨ .
القاص : من يروى الأحاديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات .
(٢) نفســــه ٣/٣٥٨ . بشرك : تزيا بزى الرهبان .
نوذك : كدى على أنه من الحجاج . أشرك بالهبر : من قاسم شركاءه مايأخذه .

ومن قدس أو نمـــــــس أو شولس بالشعـــــــر[1]

ومنا كل قنـــــــاء على الإنجيل والذكـــــــر[2]

ومن شدد فى القـــــول ومن رمد فى القصـــــر[3]

ومن قنون أوبنـــــــو ن أو طين بالشعـــــــر[4]

ومنا منفذ الطـــــين وأصحاب اللحى الحمـــــر[5]

ومن كدى على كيســـا ن فى السر وفى الجهـــــر[6]

ومنا النائح المبكـــــى ومنا المنشـد المطـــــرى[7]

ومن ضرب فى حـــــب على وأبى بكـــــــر[8]

ومنا كل ممـــــــرور غـــدا غيظ بنى البظــــر[9]

ومن يروى الأسانيـــــد وحشو كل قمطـــــــر[10]

ومن حنن كفيـــــــه وحف الطست كالحـــــــر[11]

من خلال هذه الأبيات نستطيع تعرف هذه الجماعة التى انتشرت بين الناس باسم رجال الدين وزهاده ، وهم يعلمون أن السواد الأعظم من الناس عاشق للدين ، محب له ولأهله ، لذا يتوقون دائما إلى التقرب من هؤلاء العلماء الأفـذاذ طلبا

---

(١) المرجع السابق ٣٥٨/٣ . قدس : أكل الكبد المطحونة .
نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر .

(٢) نفســـه ٣٥٩/٣ . القناء : الذى يقرأ التوراة والإنجيل .

(٣) نفســـه ٣٦٠/٣ . شدد : قوم معهم دفاتر حديث يروونها علي الناس .

(٤) نفســـه ٣٦١/٣ . قنون : من أسلم بعد نصرانيته .

(٥) نفســـه ٣٦١/٣ . منفذ الطين : من يتشيعون لعلى وأهله .

(٦) نفســـه ٣٦١/٣ . كيسان : نسبة إلى فرقة الكيسانية .

(٧) نفســـه ٣٦٢/٣ . النائح المبكى : قوم ينوحون على الحسين بن على .

(٨) نفســـه ٣٦٢/٣ ضرب : قوم من أهل الطائفة يطوفون الأسواق يروون فضائل أبى بكر وعمر .

(٩) نفســـه ٣٦٢/٣ الممرور : من يغلب عليهم المرار ، وينسبهم العامة إلى الجنون.

(١٠) نفســـه ٣٦٢/٣ يروى الأسانيد : قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .

(١١) نفســـه ٣٦٤/٣ . حنن : خضب كفيه بالحناء .

للعلم ، ورغبة فى القرب من الله ، ولكن مجالس الدين والزهد فى هذه المرة يغلفها الدهاء والحيلة ، والهدف منها الكسب ونيل الدراهم ، فمن هذه المجموعة من يجلس ليروى الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحكايات القصار التى يقال لها (الشبريات) عن الأنبياء مستغلا بذلك حب العامة لهذا الصنف من الروايات . بينما يجعل (المشرك) من زى الرهبان طريقه إلى التكدية ، وإذا ارتدى لباس الشعر سمى (المشولس) ، ويستغل (القناء) تعاطف الناس مع من يدخل فى دينهم ، ليعلن أنه ترك ديانة النصرانية أو اليهودية وسط جمع حافل من الجمهور ودخل فى دين الإسلام ، فيلقى بذلك دراهمهم عونا ومساعدة على حياة جديدة بعد أن نبذ الأهل والملة ودخل فى طور جديد يستوجب العون والعطاء.

ويصنع نفس الحيلة السابقة (المقنون) ولكنه يجعلها أكثر إدرارا للمال حيث يعلن أمام الجمهور بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد زاره فى منامه ، وطلب منه ترك دين أجداده ، فما كان منه إلا أن أسرع بالدخول فى ملة المسلمين، مما يزيد من تعاطف الناس معه، وإغداقهم عليه بالكثير من الهبات .

وتحت جناح الفرق الإسلامية يتستر جمع من أهل هذه الطائفة ، حيث يكدى بعضهم على (الكيسانية) بالمذهب ، بينما من أجل درهم الناصبى والشيعى تقف (جماعة النائح المبكى) فى الأسواق تروى فضائل أبى بكر وعلى فيحصلون على مال كل فريق يحب الأول أو الثانى ، ويشترك معهما (الممرور) فى ذلك مع اختلاف فى طريقة الأداء واللباس ، فلباسه المخرق والممزق ، وروايته عن الرسول عليه الصلاة والسلام وينسبه الناس إلى الجنون ، وجل ماله من الشيعة .

* وعن طريق الاستجداء المشوب بالحيلة ، نتطرق إلى مجموعة ثالثة من أهل الكدية ، والتى تحدث عنها الخزرجى فى قصيدته الساسانية واصفا حيلهم وطريقة نيلهم الدراهم قائلا عنهم مستخدما أيضا مصطلحاتـه الخاصة بهذه الطائفـة :

ومن درع أو قشـــــــــــع أو دمع فى القــــــــر (١)

ومن رعس أو كهـــــــــــس أو غلس فى الفجـــر (٢)

ومنا العشهريـــــــــــو ن بنو الحملة والكـــــــــر (٣)

ومنا المصطهانيـــــــو ن من ميزق بالأســــــــر (٤)

ومن زقى الشغاثـــــــات غداءات وبالعصـــــــــر (٥)

ومنا كل مستعـــــــــش من النعارة والكـــــــدر (٦)

ومن يكحل من مستعــــــــرض دمعته تجـــــــرى (٧)

وفى الموقف منا كـــــــل جبار أخى الصبـــــر (٨)

وجـــــرار عيـــــالات عليهـــم أثـــر الضـــــر (٩)

وسمقون عليه الســـــمل الكحل وذو الفــــــزر (١٠)

من كدة بهلــــــــــول تخطى ثم كالحجـــــــر (١١)

وأصحاب التجافيـــــف من الشامـولـة الصبـــر (١٢)

خرجت هذه الطائفة عبر الأبيات السابقة تستجدى من الناس ، وهذا الاستجداء أخذ أشكالا وأماكن متعددة ، ويبدأ عملها مع خروج (المغلس) إلى

---

(١) المرجع السابق ٣٥٧/٣ . درع : من يلحس الهريسة . قشع : من يمشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع . دمع : من يبكى عند الأسواق حتى يعطى .

(٢) نفســـه ٣٥٧/٣ . المرعس : من يطوف على حوانيت الباعة .
المغلس : من يخرج إلى الكدية بغلس ، أى وقت الفجر .

(٣) نفســـه ٣٥٨/٣ .

(٤) نفسه ٣٥٨/٣ . ميزق : كدى .

(٥) نفسه ٣٥٩/٣ . زقى : صلى . الشغاثات : المساجد

(٦) نفسه ٣٦٠/٣ .

(٧) نفسه ٣٦٢/٣ .

(٨) نفسه ٣٦٢/٣ .

(٩) نفسه ٣٦٣/٣ .

(١٠) نفســـه ٣٦٥/٣ السمقون : الصبى الصغير .

(١١) نفسه ٣٧٠/٣ . الكدة : المرأة التى تسأل الناس .

(١٢) نفسه ٣٧٠/٣ . الشامولة : الصبر .

كديته عند بزوغ فجر يوم جديد ، ثم يتوزع أهلها على أماكن متفرقة لنيل الرزق المغلف بالحيلة ، (فالمدمع) يتخذ من الأسواق مكان استجدائه وماعليه إلا أن يبكى بشدة مستغلا عوامل الطبيعة حيث يتعلل بالبرد القارص ويظل على حالته هذه حتى يعطى . بينما يمر (المرعس) على حوانيت الباعة لينال هبة أصحابها ، ويمتطى (العشيريون) دوابهم يكدون عليها لاتساع دائرة نفوذهم .

ويطوف (المصطهانيون) البلاد طالبين العون من أهلها لفك أناس لهم بالأسر ويدور (المستعشى) على الدور والأبواب رافعا صوته بالنداء، وطالبا من ساكنيها الإغداق بالعطية على غريب جائع دفعته حالته السيئة إلى صنيعه هذا ، فينال بذلك من كل دار كسرة .

ويتصدر (المستعرض) للناس فى الطرقات ، حتى إذا تمكن من ضحيته عرض عليه قصة مختلقة مؤداها تصوير ماهو عليه من بؤس .

ويتقاسم دراهم زوار بيت الله نفر من هذه الكوكبة المستجدية ، فمن داخل المسجد يقف (الجبار) الذى اعتاد أن لايبرح مكانه حتى يأخذ مايريد ، وعندما يفرغ الناس من صلاتهم يستقبلهـم خارج المسجد (المزقى) و (أصحاب التجافيف) بثيابهم الممزقة وإلى جوارهم (الكدة) المستجدية يصحبها زوجها ، وهؤلاء جميعا امتدت أيديهم وكلهم رغبة فى ألا تعود إلا وقد امتلأت جيوبهم بالدراهم والعطايا.

وعلى طريقة الاستجداء المألوف بيننا يخرج (جرار العيالات) وبجانبه مجموعـــة من الصبية يكدى بهم ، ولا أحد يعرف إن كانوا من نسله أم لا ، وإن كان المرجـــع أنهم مستأجـرون لسبك هذه الحيلة على الناس لاستدرار العطف عليهـــــم

وإذا كان المكدى كفيفا ومستجديا ، كان نصيره على السير صبيا يطلق عليه فى عرفهم اسم (سمقون) .

* وإذا كانت الصور السابقة لطوائف الكدية قد عبرت عن مجموعات لجأت إلى الحيلة من أجل الكسب ، فإن البقية المندرجة تحتها قد اتخذت من الحرف العادية مصدر رزقها ، وهي حرف نستخدم بعضا منها الآن في حياتنا العادية ، وهذه الحرف وأصحابها قال عنها أبو دلف في قصيدته الساسانية ، واصفا حالهم وناظما ومعددا إياها :

ومن رش وذو المكوى	ومن درمك بالعطر [(1)]
ومن ساق الولا بالما	ء أو قوس أبي حجر [(2)]
ومن ينفذ سبحات	وحلوى وأبا شكر [(3)]
وبركوش وبركك	ومعطي هالك الجزر [(4)]
وشكاك وحكاك	ومعطي بلع الأجر [(5)]
ومناكل مراس	جسور جاهل هزر [(6)]
ومنا كل نطاس	على البزرك مستجري [(7)]
ومنا كل سباع	عظيم الليث والببر [(8)]
ومن قرد أو دب	ب من كل فتى غمر [(9)]
وسمان وسنان	ومن قتتت كالكبر [(10)]

(١) المرجع السابق ٣٥٧/٣ رش : كدى بعلة ماء الورد . ذو المكوى : الذي يبخر الناس . درمك : باع العطر على الطريق .
(٢) نفسه ٣٥٩/٣ .
(٣) نفسه ٣٦٣/٣ . أبو شكر : الملح .
(٤) نفسه ٣٦٣/٣ . البركوش : المدعى الصمم . المبركك : الذى يقلع الأضراس . الجزر : البصر .
(٥) نفسه ٣٦٥/٣ . بلع الأجر : السبح التى تحمل من الجبل .
(٦) نفسه ٣٦٦/٣ . المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .
(٧) نفسه ٣/٦٦/٣ . النطاس : القوى القلب . البزرك : المواضع .
(٨) نفسه ٣٦٦/٣ . السباع : من يكدى على السباع .
(٩) نفسه ٣٦٦/٣. قرد : من يكدى على القردة .
(١٠) نفسه ٣٦٧/٣ . السمان : الذى يعطى النساء دواء السمنة . السنان : الذى يعطى دواء الاسنان . قتت : أكل القت بين أيدى الناس .

تضم هذه الأبيات التى نظمها أبو دلف مجموعة من أصحاب الحرف المختلفة ، وهى حرف تعتمد على العمل من أجل كسب القوت، على عكس الكثيرين من أهل طائفة الكدية ، الذين تعودوا الكسب السهل الذى لامشقة فيه سوى بعض الذكاء الذهنى ، وعلى الرغم من أن هذه المهن لاتدر إلا النزر اليسير من المال ، ولاتعتمد على الحيلة والذكاء، إلا أن أبا دلف قد عدّها ضمن طوائف أهل الكدية ، مع أن سلوك أهلها وطريقتهم لاتناسب الشكل العام لما رسمه أهل طائفة الكدية لأنفسهم ، فالحيلة والذكاء مقياس عبور الشخصية إلى دائرة الكدي، ومع ذلك فإننى أرى أنه ربما أدرج هؤلاء الناس تحت اسم الكدية من منطلق أنها تجمع كل الطبقة المعدمة الفقيرة .

وأصحاب هذه الحرف نشاهدهم الآن فى حياتنا فمازال يعيش بيننا (المدرمك) الذى يبيع العطر، (وذو المكوى) الذى يبخر الناس فى الدور والمحال نظير القليل من المال، (والمرش) الذى يرش ماء ورده على الناس ، وكذلك (الساق) الذى يحمل دلويه بعصاه الخشبية متجها بها إلى الدور الفقيرة، (ونفذ السبحات) الذى يفترش الأماكن العامة وبجوار المساجد ليبيع السبح ، وفى دور أهل القرى لاتجد منازعا منذ فترة طويلة (للمبركك) الذى يقلع الأضراس ويداوى علل أهل الريف، و(الشكاك) الذى يبيع سم الفئران و (السمان) الذى يبيع دواء السمنة للنساء المكتنزات، و(السنان) الذى يعطى دواء الأسنان .

وسواء فى المدينة أو القرية غالبا مانشهد (الحواء) وبجانبه سلاله المملوءة بالحيات ، بينما فى الميادين العامة يقف (القراد) ومعه قرده المدرب على الحركات البهلوانية وكذلك (مرقص الدببة) .

وهكذا استطاع المكدى أن يصف كل جزئية فى حياته عبر قصيدته الوصفية ، وأن يجسد حياته الخاصة من الداخل بصورة اقتربت كثيرا من عالم الواقع، لذا جاء وصفه أقرب إلي الصدق المعبر عن طبقة فقيرة معدمة .

ومن الملاحظ أنه اقتصر فى وصفه على حياته فقط دون أى شئ آخر، فقد

شغلته همومه وأحزانه وسعيه المستمر وراء مسكن يأويه وطعام يقتاته ولباس يستره ، دون وصف مايحيط حوله من رياض وطبيعة أو غير ذلك من أشكال الوصف المختلفة لذلك نستطيع أن نقول عن وصفه بأنه ذاتي خالص .

ولأنه عاش حياة فقيرة بائسة بدأ يتحايل من أجل الرزق ، وأثناء حيله وصف طوائفــه وكيفية حيلــه وأسلوبــه من أجل نيل الدراهم ، ولقد ورث حيله لجيل يخلفه حتى يضمن بقاء هــذه الحــرفة بصورة مستمرة ، ولقــد دفعته رغبته فى التغيير إلى التجــوال أملا فى حياة جديدة ، ربمــا يتنسم من خلالها بعضا مما حرم منه ، لذا ضمن أدبه حديثا عن تجوالاته ورحــلاته ، وهذا ما سنتناوله فى الموضوع التالى .

الفصل الثاني

الرحلة والتجوال

لم تكن الكدية كغيرها من الحرف تعتمد على الاستقرار ، بل كانت تفرض على أصحابها السفر والتجوال بحثا عن الرزق ولقد قامت فلسفة الرزق عندهم على مجموعة من الأسس جرت بعدهم مجرى الأمثال كقولهم بأن الحياء يمنع الرزق، وأن الحركة بركة[1]، وأن الكلب الذى يطوف خير من الأسد الجسور الرابض بلا حراك[2]، وأن كثير التجوال والسفر ينال فى عرفهم شرف الانتساب إلى الخضر عليه السلام[3]. كقول أبى دلف عن نفسه :

ألا أنى حلبت الدهـــــــــــر من شطر إلى شطـــــــــــر
وجبت الأرض حتـــــى صـــرت فى التطواف كالخضـــــــــر [4]

والمكدى يعلم بفطرته ، وبما تقتضيه مهام مهنته أن رزقه قد قسمه الله فيما ملكه من سلطان ، لذا وجب عليه أن يسعى من أجل البحث عنه واقتناصه من بين أنياب زمان وقف ضده بالمرصاد، وأنه لن يناله إلا بالحيلة والعناء ، لذا خرج الأحنف يبحث عن رزقه قائلا :

قد قسم الله رزقى فى البلاد فما يكاد يدرك إلا بالتفاريـــق
ولست مكتسبا رزقا بفلسفـــة ولابشعر ولكن بالمخاريـــق [5]

والمكدى يعلم أيضا أن الغربة مكتوبة عليه ومقدرة لامحال ، وأنه لايختلف كثيرا من حيث انتشاره وغربته عن كثبان الرمل التى تصنع بها الرياح ماتشاء ، لذا قال أبو دلف مصورا هذا المعنى فى التعبير عن طائفته وغربتها :

على أنى من القوم الـــــــبهاليـــل بـــنى الغـــــــر

---

(١) التمثيل والمحاضرة ١٩٩ .
(٢) محاضرات الأدباء ٢/٥٤٤ .
(٣) الكنايات ٤٣ .
(٤) يتيمة الدهر ٣/٣٧٢ .
(٥) نفســــه ٣/١١٨ .

بني ساسان والحامي الـــــ ـــحمى في سالف العصـــر
تغربنا إلى أنــــــا تناهينـــا إلى شهـــــــر
فظل البين يرمينـــــا نوى بطنا إلى ظـهـــــر
كما قد تفعل الريـــــــ ـــح بكثب الرمل في البـــر [1]

وإذا كانت الكدية قد فرضت على أهلها الانتشار والتجوال ، فإن منهم من صار على هذه الفريضة ، بل اشتهر من خلالها وأصبح علما عليها ، كالأحنف العكبري[2]، ومسعر بن مهلهل الخزرجي المشهور بأبي دلف ، والذى كان أكثر شهرة من سابقه من حيث تجوالاته ورحلاته ، حتى أن دائرة المعارف الإسلامية قدمته لقرائها على أنه رحالة وعالم بالمعادن ، بالإضافة إلى قرضه الشعر ، وأشارت في تضاعيف حديثها عنه إلى رحلاته في بخارى وفارس ، وتحدثت عن رسالتيه الجغرافيتين ومالهما من قيمة كبيرة ، والتى وصف في الأولى منهما رحلته مع سفيرى الملك التركى قالين بن شخير حيال عودتهما من بخارى إلى سنداپل ، بينما تعتبر رسالته الثانية معلما بارزا ودليلا للمسافرين ، نظرا لما أورده فيها من وصف للبلدان التى عبرها[3].

ولقد صدر هذه الرسالة بافتتاحية ضمنها فحوى ماسيصفه ، وملاحظاته على رحلته مابين الصين والهند ومجموعة البلدان التى مر بها ، والمعادن المختلفة التى وجدها ، وأعاجيب هذه البلاد وسلوك أهلها وطبائعهم ثم وضع هذه الأشياء بين يدى المعتبرين ليتعرف من لم تسمح له ظروفه بالتجوال والسفر على هذه البلاد وكأنها أمامه رأى العين ، لذلك قال مستفتحا [4] " أما بعد حمد الله والثناء على أولى مقاماته ، في أرضه وسمائه فإني حررت لكما ، يامن أنا عبدكما ، أدام الله لكما العز والتأييد والقدرة والتمكين جملة من سفرى كان من بخارى إلى الصين

(١) المرجع السابق ٣/ ٣٥٥ .
(٢) الحضارة الإسلامية ٤٥٩/١ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤٧٤/١ - ٤٧٥ .
(٤) الرسالة الثانية لأبى دلف مسعر بن مهلهل ص ١ .

على خط الوتر ، ورجوعى منها على الهند وهو سمت قوسه .

وذكرت بعض أعاجيب مادخلته من بلدانها ، وسلكته من قبائلها ولم استقص المقالة حذرا من الإطالة ، ورأيت الآن تجريد رسالة شافية تجمع عامة ما شاهدته وتحيط بأكثر ما عاينته ، لينفع به المعتبرون ، ويتدرب به أولو العزة والطمأنينة ويثقف به رأى من عجز عن مساحة الأرض فأبدأ بذكر المعادن الطبيعية، والعجائب المعدنية ، إذ هى أعم نفعا ، وأحرى فى ذلك الإيجاز ، والله ولى التوفيق وهو حسبى ونعم المعين).

ولقد شهد مؤرخو الجغرافيا ، ومن يكتبون عن الرحالة بقدرة هذا الرجل على الملاحظة والدقة فى الوصف ، فإلى جانب تعليقه على البلدان التى زارها وكيف أفاد منها هؤلاء العلماء ، هداهم بفطنته إلى أن الخزف الصينى كان يقلد فى بعض البلاد وعلى الأخص إيران ، وأنه على الرغم من تقليده كان يفضل فى أسواق التجارة ولقد نشر هذا الوصف أكثر من مستشرق [1] .

ولقد كان للسفر والتجوال الأثر المباشر فى ارتفاع صيت بعض من أهل الكدية ، وبخاصة عند أصحاب البلاط وذوى النفوذ ، فاتساع دائرة انتشارهم قربتهم من هذه الأماكن ، فالخزرجى كان من أقرب المقربين إلى الوزير الصاحب بن عباد،[2] ونال ابن الحجاج حظوة رؤساء عصره[3]، وبرع الهمذانى على مدارسنى حياته القصيرة في أن يتصل بمعظم الوزراء والأمراء بالمشرق ، حيث عمر أربعين عاما ، أمضى شطرها نائيا عن بلده وعشيرته ، لذلك لم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها ، وجنى ثمرها ، ولا ملك و لا أمير ولا وزير إلا واستمطر بنوئه ، وسرى فى ضوئه ، فحصلت له نعمة حسنة ، وثروة جميلة)[4].

---

(١) الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ٣٣ - ٣٤ .

(٢) يتيمة الدهر ١٨٩/٣ .

(٣) نفسه ٣٠/٣ .

(٤) معجم الأدباء ١٦٦/٢ - ١٦٧ .

وعلى نفس الدرجة التى نال بها المكدى شهرته وحظوته ، اتسعت خطوته بحثا عن الرزق ، وامتدت تجوالاته لتشمل كل مكان ، لكونه اعتبر بلاد العالم جميعها مصدر رزقه وكثيرا ما افتخر بهذا ، واعتبره تفردا على سائر جنس البشر، فهو كفرد استطاع أن يطأ بأقدامه بلادا عدة ، بينما غيره يقبع فى مكانه بلا حراك ، لذلك قال الأحنف مثنيا على نفسه وأهل طائفته ، التى أصلها المجد ، وموطنها معظم بقاع الأرض :

على أنى بحمد اللـــــــ	ـــــه فى بيت من المجـــد
بإخوانى بنى ساســـــا	ن أهل الجد والحـــــد
لهم أرض خراســـــان	فقاشـــان إلى الهنـــد
إلى الروم إلى الزنـــج	إلى البلغار والسنـــد
إذا ما أعوز الطـــرق	على الطـــراق والجنـــد
حذرا من أعاديهـــم	من الأعـــراب والكـــرد
قطعنا ذلك النهـــج	بـــلا سيـــف ولا غمـــد
ومن خاف أعاديـــه	بنا فى الروح يستعـــدى[1]

إن الشاعر فى بيته الأخير يتيه بطائفته وانتشارها، حتى أن صيتها وصل من الدرجة إلى أن من يقع من ذوى النفوذ والسلطة فى يد قطاع الطرق ، فلا يخاف ولاينالـه السوء إذا انتسب إلى طائفة الكدية أو إلى أحد أعلامها [2] .

وتتسع دائرة التطوف والانتشار أكثر من ذلك عند أبى دلف ، فإذا كان الأحنف قد حد نفسه وطائفته بأماكن بعينها ، فإن أبا دلف جعل من الكون كله بره وبحره إسلامه وكفره مرتع المكدى ومكان رزقه ، وذلك عندما قال عن طائفته وانتشارها :

فنحن الناس كل النـــا	س فى البر وفى البحـــر
أخذنا جزية الخلـــق	من الصين إلى مصـــر

---

(١) يتيمة الدهر ٣/١١٧ / ١١٨ .

(٢) الروزنامجه ص ٣٢ .

إلى طنجة بـــل فى كـــــل أرض خيلنا تســرى
إذا ضاق بنـا قُطـــر نزل عنـه إلى قطـــر
لنا الدنيـا بمـا فيهـا مــن الإسـلام والكفـر
فنصطـاف على الثلـج ونشتـو بلد التمـــر [1]

ولقد ساعد هذا الانتشار المفهوم من الأبيات على ازدياد خبرة المكدى بالحياة ومقدرته على معرفة طبائع البشر وأحوالهم، وهذا أمر منطقى بالنسبة لرجل هذا حاله ، حيث اعتمد على التطواف والسعى وراء الرزق فخالويه المكدى أحد النماذج المشهورة للكدية فى بطون كتب الأدب ، يعطى مثالا صادقا لحياة شخصية مكدية عمرت فى الحياة كثيرا فطافت وجالت وعرفت ماجهله غيرها ، وأثمرت معرفته عن علمه بخدع الكهان ، وتدسيس العراف ، ومايقوله أصحاب الأكتاف ، إلى جانب درايته بالتنجيم والزجر ، وقدرته على فهم الإكسير ، ولقد عرض خبرته الطويلة هذه على ابنه شارحا له خلاصة ماخرج به من حياته قائلا (لقد بلغت فى البر منقطع العمران ، وفى البحر أقصى مبلغ السفن ... إنى قـد بت فى القفر مع الغول، وتزوجت السعلاة ، وجاوبت الهاتـف، ورغت عن الجن إلى الجن، واصطدت الشق[2]، وجاورت النسناس، وصحبنى الرئى[3]، وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف، وإلى مايذهب الخطاط والعياف، ومايقول أصحاب الأكتاف[4]، وعرفت التنجيم والزجر، والطرق والفكر[5] ... قـد عرفـت الأس[6] حق معرفته، وفهمت سر الإكسير على حقيقته)[7] .

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٣٥٥ .

(٢) الشِّقّ : جنس من أجناس الجن .

(٣) الرئى : جنى يرى فيحب .

(٤) أصحاب الأكتاف : يريد به الزاجر .

(٥) الطرق بالحصى والفكر : الحدس والفراسة .

(٦) الأس والإكسير مصطلحان علميان فى الكيمياء الخاصة بالذهب وصناعته .

(٧) البخلاء ٤٧ ، ٤٨ / معجم الأدباء ١١/ ٤٣ - ٤٥ .

ولم تقف معرفة خالويه المكدى عند هذا الحد ، بل من خلال تجواله صنع الشئ ونقيضه ، فقد لابس السلاطين والملوك ، وخدم الخلفاء ، واختلط بالفاسق والجليل، ودخل السجن، وعمر مجالس يذكر فيها الله ، لذا قال : (إنى قد لابست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين ، وخالطت النساك والفتاك ، وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره ، وصادفت دهرا كثيرا الأعاجيب)[1] .

والمكدى من خلال تطوافه ينعم بخيرات البلاد التى ينزل بها ، وهو بهذه الصورة يشبه النحلة التى تأخذ من كل زهرة أحلى مافيها ، ولقد استطاع من خلال رحلاته أن يعرف مواسم خيرات هذه البلاد لذا ينزلها فى حينها ، ولقد وضع هذه الصورة أحدهم عندما تحدث عن الكدية ، ومقدار ماتجنيه على صاحبها من خير ، وكيف أنه يفوز باللذات ، وأن البؤس وهو على هذه الحالة لايعرف له طريقا ، فلديه ثمرات وخيرات بلاد كثيرة ، وماعليه إلا أن يحل بها لينعم بما فيها ، ولقد كشف هذا الجانب من خلال محاورة دارت بينه وأحد الشباب ، الذى اعتبر حرفة الكدية من المهن التى تضع من قدر الرجال ، فانبرى إليه موضحـــا سوء فهمه قائلا (ياهذا أقلل من الكلام فقد أكثرت ! مثلك لايفلـــح ، لأنك محروم ولم تستحكم بعد ، وإن للكدية رجالا فما لك ولهذا الكلام ! ... إن الكدية صناعة شريفة ، وهى محببة لذيذة صاحبها فى نعيم لاينفذ ، فهو على بريد الدنيا ومساحة الأرض ، وخليفة ذى القرنين، إذا بلغ المشرق والمغرب حيثما حل لايخاف البؤس ، يسير حيث يشاء ، يأخذ أطايب كل بلدة ، فهو أيام النرسيان[2] والهيرون بالكوفة ، ووقت الشبوط [3] وقصب السكر بالبصرة ، ووقت البرنى، والأزاد [4] والرازقى [5] والرمان المرمر ببغداد ، وأيام التين والجوز الرطب

(١) المرجع السابق ٤٨ / معجم الأدباء ١١/٤٦ - ٤٧ .

(٢) النرسيان والهيرون : من أنواع التمر .

(٣) الشبوط : سمك دقيق الذنب ، عريض الوسط ، لين الملمس ، صغير الرأس .

(٤) البرنى والأزاد : ضرب من التمر .

(٥) الرازقى : نوع من العنب .

بحلوان ، ووقت اللوز الرطب والشنجار[1] والطّبرزّذ بالجبل [2] ، يأكل طيبات كل أرض)[3] .

وإذا كان التجوال قد أفاد المكدى من الناحية الجسدية ، حيث نال برحلاته أطايب البلاد المختلفة ، فقد أفاده أيضا من الناحية المعرفية لكونه عرف أخبار هذه البلاد ، وأشهر مايميزها من ثياب وفرش ومتاع وطعام ، وتعد هذه المساجلة التى تمت بين أبى على الهائم ، وأبى دلف الخزرجى فى مجلس أنس عضد الدولة دليلا على مقدار مايمتلكه المكدى من ثروة معرفية ، ورثها بتجوالاته ورحلاته ، مكتسبا بذلك بعدا معرفيا ، ولقد بدأ أبو على هذه المساجلة قائلا لأبى دلف من خلال حوار أهم مايميزه معرفة المكدى لخصائص بلدان الشرق والغرب (صب الله عليك : طواعين الشام ، وحُمى خيبر ، وطحـــال البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وسنافر دهستـــان .

وضربك : بالعرق المدنى ، والنار الفارسية ، والقروح البلخية .

فقال له أبو دلف :

يامسكين ! أتقرأ (تبت) على أبى لهب ، وتنقل التمر إلى هجر ، وتلبس السواد على الشرط ؟!

بل صب الله عليك :

ثعابين مصر ، وأفاعى سجستان ، وعقارب شهرزور ، وجرارات الأهواز)[4]

بهذه المقدمة الساخرة نال أبو دلف من مساجله، حيث أعلمه أنه لن يستطيع نزاله لكونه على علم بأشياء كثيرة يجهلها هو، فقد استعرض له بعضا من آفات البلاد المختلفة مابين مصر وسجستان وشهرزور، والأهواز، أعقبها بعد ذلك بذكر مايتمناه من حسنات البلدان التى نزلها ، سواء من حيث فرشها ولباسها وطعامها

---

(١) الشنجار : نبت يستعمل للصبغ .

(٢) الطبرزذ : السكر .

(٣) المحاسن والمساوئ ٢/ ٤١٠ - ٤١١ .

(٤) لطائف المعارف ٢٣٤ .

ورزقها وممتلكاتها ، ولقد جمع هذا الكم عبر استكماله لكلامه السابق عندما قال له متمنيا (وصب على: برود اليمن، وقصب مصر، ودبابيج الـروم، وخـزوز السُّـوس(١)، وحريـر الصـين، وأكسية فارس، وحلل أصبهان، وسقـلاطـون بغـداد(٢)، وعمائـم الأبلـة(٣)، وتوزى تـوج(٤) ومنير الـرى(٥)، وحفـى نيسابـور(٦)، وملحـم مـرو(٧) وسنجـاب خيرخيـز(٨)، وسمور بلغار(٩)، وثعالب الخزر(١٠)، وفنـك كاشغـر(١١)، وقماقـم التغـزغـز(١٢)، وحـواصـل هـراة، وتكك(١٣) أرمينيـة وجوارب قزوين)(١٤).

ثم استعرض بعد ذلك مايتمناه من فراش كل حسب ماتشتهر به بلده، وذلك عندما قال مستكمـلا حديثه السابـق (وأفرشنى بسط أرمينية، وزلالى

(١) خزوز : جمع خز ، وهو مانسج من صوف وحرير . والسوس : من كور الأهواز .
(٢) السقلاطونيات : ثياب من الحرير موشاه بالذهب وعليها صور منقوشة .
(٣) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة .
(٤) التوزى : نسبة إلى توز ، ويقال لها توج ، وهى مدينة بفارس تعمل فيها ثياب كتـان تنسب إليها ، وهى ثياب رقيقة ، مهلهلة النسج كأنها المنخل ، إلا أن ألوانها حسنة .
(٥) المنير: الثياب الحسنة .
(٦) الحفى: ثياب بيض رقيقة تصنع فى نيسابور .
(٧) الملحم: ضرب من الثياب .
(٨) السنجاب: حيوان يتخذ منه الفراء .
(٩) السمور: دابة يتخذ من جلدها الفراء الثمين .
(١٠) الخزر: قبائل تقطن سواحل بحر قزوين الذى يقال له بحر الخزر، وبحر طبرستان وبحر جرجـان .
(١١) الفنك : ثعلب صغير ناعم الشعر ، أغبر اللون ، كبير الأذنين ، حسن الصورة .
كاشغر : مدينة يسافر إليها من سمرقند ، وهى فى وسط بلاد الترك .
(١٢) القماقم : دويبة .
(١٣) التكك : جمع التكة وهى رباط السراويل .
(١٤) المرجع السابق ٢٣٥ ، ٢٣٦ . قاليقلا : موضع بارمينية .

قاليقــلا[١]، ومطارح ميسان[٢]، وحصر بغداد[٣].

ثم انتقل إلى محاسن أخرى، حيث استعرض مايتمناه من خدم بلدان عدة سواء كانوا من الخصيان أو الغلمان أو الوصائف قائلا : (وأخدمنى : خصيــان الـروم، وغلمان الترك، وسرارى بخارى، ووصائف سمرقند) [٤] .

ثم قص بعد ذلك مايتمناه من أدوات يستخدمها فى التجوال والرحلة سواء من النوق أو الحمير أو البغال، مع اقترانها أيضا بأماكنها التى اشتهرت قائلا وحملنى (على : عتاق البادية [٥]، ونجائب الحجاز، وبرازين طخارستان [٦]، وحمير مصر، وبغال برذعة [٧]).

ثم انتقل بحديثه مما يمتطى إلى أطايب البلدان من التفاح والموز والجوز والتين والعنب إلى غير ذلك، متمنيا أيضا أن يعطيه الله رزقا من هــذه الأشياء: (ورزقنى : تفاح الشام، ورطب العراق، وموز اليمن، وجوز الهند، وباقلاء الكوفة[٨]، وسكر الأهواز ، وعسل أصبهــان، وفانيــد ماسكـــان [٩]، وتمر

---

(١) زلالى : جمع زلية : وهى البساط .

قاليقلا : موضوع بارمينية .

(٢) المطارح : مايطرح على الأرض من البسط .

وميسان : كورة واسعة كثيرة القرى بيــن البصرة وواسط .

(٣) المرجع السابق ٢٣٦ .

(٤) نفسه ٢٣٧ .

(٥) عتاق : نجيبة .

(٦) طخارى : نسبة إلى طخارستان وهى ولاية من نواحى خراسان .

(٧) برذعى : نسبة إلي (برذعة) وهى بلد بأقصى أذربيجان .

(٨) الباقلاء : فــول .

(٩) الفانيد : ضرب من الحلوى   ماسكان: بلد مجاور لمكران وراء سجستان .

كرمان [١]، ودبس أرجان[٢]، وتين حلوان[٣]، وعنب بغداد، وعناب جرجان[٤]، وإجاص بست [٥]، ورمان الري، وكمثرى نهاوند [٦]، وسفرجل نيسابور، ومشمش طوس، وملبن مرو[٧]، وبطيخ خوارزم)[٨].

ثم انتقل بعد ذلك من حديثه عن المأكول والملبوس والمتطى إلى استعراض أمنياته حول مايهواه من كل عطر مشموم ذكى، وزهر نفاذ، منهيا بذلك مساجلته (وأشممنى : مسك تبت، وعود الهند، وعنبر الشجر، وكافور فنصور[٩]، وأترج طبرستان [١٠] ونارنج البصرة، ونرجس جرجان، ونيلوفر السيروان[١١]، وورد جور، ومنثور بغداد وزعفران قم، وشاهسفرم سمرقند) [١٢].

وهكذا عبرت هذه المساجلة عن عمق ما اكتسبه المكدى من معلومات ومعارف نتيجة لتجوالاته ورحلاته، مما جعله دائرة معارف واسعة فى محاسن البلدان وأهم خصائصها، ومعالمها، ولقد أثار بمساجلته هذه عضد الدولة، لكونه

---

(١) كرمان : ولاية بناحية كبيرة، ذات قرى ومدن واسعة بين فارس ومكران، وسجستان وخراسان.

(٢) الدبس : عسل التمر. وأرجان : مدينة كبيرة بفارس.

(٣) حلوان : مدينة بالعراق.

(٤) العناب : شجر حبه كحب الزيتون أحمر حلو.

(٥) الأجاص : كمثرى.

(٦) نهاوند : مدينة عظيمة فى قبلة همذان.

(٧) الملبن : من الفراكة والحلوى.

(٨) المرجع السابق ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٩) فنصور : بلد بالقرب من الصين.

(١٠) الأترج : جنس من الليمون.

(١١) نيلوفر : نبات معروف فى مصر. السيروان : بلد بالجبل.

(١٢) نفسه ٢٣٨ - ٢٣٩.

رأى فى جليسه المكدى حسن المحاضرة ، وقدرة فائقة على معرفة خصائص بلدان المشرق والمغرب وأنه نعم الجليس المنادم للملوك [1] .

والمكدى فى نهاية أمره وبعد رحلة تطواف شملت شرق البلاد وغربها كما رأينا لاينسى بلادا بعينها ، زارها وطاف بها ، وشهد من كرمها ماحرك فؤاده بعد رحيله منها ، فنظم فيها مايشبه الحسرة على فراقها ، كقول ابن لنكك فى البصرة وهوائها ومدى عشقه لها ، بعد أن نعم بما فيها من هواء ، وعيش ظريف :

نحن بالبصرة فى لـــــــو ... ن من العيش ظريـــــف
نحن ماهبـــت شمـــــال ... بين جنـــات وريـــف
فإذا هبـــت جنـــوب ... فكأنـــا فى كنيـــف [2]

واستأثرت البصرة أيضا بأبى الشمقمق لكونه وجد فيها العطاء والاستقرار وديار الأهل ، لذا قال :

أنـــا بالأهواز محـــــزو ... ن وبالبصـــــــرة دارى
فى بنى سعد وسعـــــد ... حيـــث أهلـــى وقرارى [3]

ويطرب أبو الرقعمق من مصر وخيرها وعشق أهلها له ، لذا قال عنها وعن حسن ذكره عند أهلها :

فما أصنع فى مصـــــر ... إذا لم أحظ فى مصـــر ؟
وفى الآفاق أقـــــوام ... يميلون إلى شعـــــرى
ونبـــئت بـــأن القـــو ... م لايخلون من ذكـــرى [4]

وتظل تعلق بذهنه مصر ، وكيف لا وهى وإن بعدت موطن الأشجان والذكريات السعيدة لذا قال عنها أيضا :

---

(١) المرجع السابق ٢٣٨ .
(٢) نفسه ١٦٩ .
(٣) الحيوان ٥٣٦/٣ .
(٤) يتيمة الدهر ٣١٧/١.

لاتكذبن فما مصر وإن بعـــدت إلا مواطن أطرابى وأشجانى[1]

ويبكى بديع الزمان على جرجان ، وما فيها من حسن جمال وعطاء ، حتى أنها أضحت فى ذهنه صورة لجنة الخلد ، فهى موطن العيش الرغد ، والعطايا السخية ويتمنى فى نهاية أبياته أن تظل على صورتها هذه حتى تصبح ملاذ كل طارق يستجدى وذلك عندما قال عنها :

كم حسرات لى وكم وجـــــد ليست على غور ولانجـــد
لاهل على جرجان من بلـــــدة سكنت منها جنة الخلـــد
أرض من المسك ووشى من الـــ ـــطل على فرش من الرند
وسادة عاشرتهم لـــــــم أزل فى ظل عيش بهم رغـــد
كنت بهم طول مقامى بهــــا ومنهم فى زمن الــــورد
لازلت ياجرجان معمـــــــورة للرجل الآمل يستجـــدى[2]

ومما سبق نستطيع بعد رحلتنا مع المكدى فى مشارق الأرض ومغاربها ، أن نتبين أن الكدية كحرفة فرضت على المشتغل بها هذا النوع من التطواف بحثا عن الرزق ، ولقد أفاده هذا من جانبين ، أحدهما يتعلق برزقه وطعامه ولباسه ، فنعم بأطايب البلاد التى طاف بها لعلمه بخيراتها ومواسم جنى أحلى مافيها ، بينما جاء الثانى ليحمل الزاد المعرفى له ، حيث كون موروثا معرفياً عن البلدان التى عبرها وطاف فيها جعلته مرجعا لكل من سأل عن حالها وأهلها ، ويعتبر المكدى المتجول أحسن حالا من باقى أهل طائفته الذين وصفوا بؤسهم وضيقهم ، وأوردهم الخزرجى فى قصيدته الساسانية ، لكونه ارتزق وطعم من البلاد التى طاف بها ، ولقد تبلورت محصلة هذه التجوالات فى حكمه التى نظمها معبرا بها عن خلاصة تجاربه فى الحياة .

---

(١) المرجع السابق ٣٣٣/١ .

(٢) ديوان بديع الزمان ٢٣ .

الفصل الثالث

الاستجداء والطلب

أورد أبو دلف الخزرجي عبر قصيدته الشهيرة التى ضمنها صنوف أهل طائفته أكثر من نموذج للمكدى المستجدى ، (كالمستعشى) الذى يدور على الأبواب بين العشاءين طالبا من الناس كسـرة من خبز أو الفتـات من طعام للعشاء [1] ، بينما يستجدى (جرار العيالات) وبصحبته مجموعة من الصبيان يستدر بهم عطف مشاهديه [2] ، ولم ينس دور المرأة فى الاستجداء فذكر منهن (العلاقة) التى تتزوج بأحسن من يكدى من الرجال ، وعليها أن تشاركه نيل قوته بالاحتيال ، حيث تدعى قطع يدها وتستجدى بذلك [3] ، بينما تقف (الكدة) مع زوجها أمام الجامع لتسأل الناس [4] .

وصورة المكدى المستجدى عند أبى دلف تنحصر كما رأينا فى دائرة واحدة قوامها السؤال فقط ، بينما وردت نماذج أخرى لصور متعددة للاستجداء داخل بطون كتب الأدب، اختلفت عما سبق من حيث شخصية السائل ونوع الاستجداء .

والاستجداء كحرفة له أصوله وقواعده ، وتبدأ منذ خروج المكدى واستقباله الحياة وتنتهى عندما يلفظ آخر أنفاسه ، فقد سئل أحدهم عن كيفية تعلمه الكدية والسؤال فأجاب (يوم ولدت منعت الثدى ، فصحت وبكيت ، فأعطيت الثدى فسكت) [5] فالعطاء والمنع هنا هما الدرس الأول الذى يأخذه المستجدى من الحياة ، حيث الاستجابة لطلبه يعنى الصمت والعزوف عن البكاء ، بينما المنع قد أثار غضبه على الرغم من حداثته .

ويأتى درسه الثانى ليعلمه كيف يسعى لكسب رزقه منذ اللحظات الأولى من بداية يوم جديد ، لذلك كان يستبشر الواحد منهم بميلاد طفله فى هذا

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٣٦٠ .
(٢) نفسه ٣/٣٦٣ .
(٣) نفسه ٣/٣٦٩
(٤) نفسه ٣/ ٣٧٠ .
(٥) محاضرات الأدباء ٢/ ٥٤٤

الميعاد [1] . ربما لكونه استشعر بأن هذا المولود قد أصاب دون قصد منه اختيار الميعـــاد المناسب لمهام المهنة التى سيزاولها فيما بعد ، حيث ينتشر أهل حرفته فى هذا الوقت للسؤال ، وعليه من خلال هذا الانتشار أن يتفنن فى كسب رزقه بطريقة بليغة واعية ، حيث لابد أن يعى أن لطيف الاستمناح هو سبب النجاح[2] ، وأن السؤال الملحف يعقبه المنع [3] ، وفى نهاية أمره إذا استطاع فهم كل هذه الأمور مجتمعة ، وصل فى عرف أهل طائفته إلى درجة من العلو والمكانة ، وأطلق عليه (شحاذ أخاذ ، وفى الصنعة نفاذ ، وهو فيها أستاذ) [4] .

والشحاذ الماهر الحاذق فى مهنته له طريقته فى الاستجداء ، فالاستجداء لايعنى لبس المرقع من الثياب أو مد اليد فقط ، ولكنه فن فى اصطياد الدراهم ، فأحيانا يكون التلميح بالكناية أكثر وقعا وعطاء من التصريح بالسؤال ، كقول هذه العجوز المستجدية التى دخلت على أحد السادة (أشكو إليك قلة الجرذان) ففهم ما وراء جملتها وأجزل لها العطاء قائلا(ما أحسن هذه الكناية ! املأوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا)،[5]ويسأل أحدهم عن كثرة ملبوسه لجبة خز بليت فيجيب معبرا عن سوء حاله (رب مملول لايستطاع فراقه)،[6]ويطوف أحدهم فى قرية سائلا فيسأله أحد رجالها عن السبب فى صنيعه ، فيرد مستعينا بموروث دينى موضحا له أنه يشبه على صورته هذه ماكان يصنعه موسى والخضر، ملمحا بذلك عن حاجتـــه للطعام كما صنعا هما من قبل [7] .

---

(1) الكنايات ٤٣ .

(2) ثمرات الأوراق ١٠٣ .

(3) البصائر والذخائر ٢١٠/١ ، زهر الآداب ٨٨٩/٣ .

(4) يتيمة الدهر ٢٩١/٤ .

(5) عيون الأخبار المجلد الثالث ١٢٩ ، الكامل ١١٦/٢ ، الكنايات ٣٦، العقد الفريد ٢٥٦/١ ، أخبار الظراف والمتماجنين ٧٠ .

(6) محاضرات الأدباء ٣٦٧/٤ .

(7) الكنايات ٤٣، أخبار الظراف والمتماجنين ٦٦، الأذكياء ١٤٧ - ١٤٨ .

وللمستجدى الحاذق أيضا أسلوبه فى حث مشاهديه على العطاء ، حيث يستخدم كلمات معينة تكون معبره للوصول إلى مايريد ، وغالبا مايصيغ جمله بطريقة يستدر بها العطف ، ويحفز الهمم على إخراج المال دون شعور بأدنى أسى لفقده ، كقول هذا الأعرابى ، الذى وقف وسط جمع من الناس طالبا ومناديا (أين الوجوه الصباح ، والعقول الصحاح ، والألسن الفصاح ، والأنساب الصراح ، والمكارم الرباح ، والصدور الفساح ، تعيذنى من مقامى هذا) [1] .

إن المستجدى هنا عبر هذه الجمل القصيرة استطاع أن يحدد من هو المنوط بالعطاء من جمع الناس ككل ، فهو يخص من بينهم أصحاب الوجوه الصبوحة غير العابسة التى تعودت أن تستقبل السائل بالإشراق والبسمة ، وكذلك أهل العقول الناضجة الواعية التى تتفهم سر استجدائه ، وأيضا أصحاب الفصاحة والبيان لتدرك عمق كلماته ، وذوى الأنساب الصريحة العريقة ، التى تجرى فى عروقها الكرم فتجود بما عندها دون تقتير ، ثم فى النهاية أصحاب الصدور الفسيحة التى تستطيع سماع شكواه دون ضجر . ولعله من خلال هذه الكلمات قد استطاع أن يجمع خلالا عدة من أحسن ماترغب فيه العرب ، ملقيا إياها على مسامع مشاهديه ، وهو يعلم أن كل سامع سيطرب لها بل سيغدق عليه العطايا ، لأنه يجب أن يعلم غيره أنه المنوط بها .

ومن الأساليب الدافعة أيضا على العطاء ، أن يستخدم المكدى المستجدى الكلمات التى تقطع على سائله طريق الرفض ، حيث يركز على تعظيمه ، وحثه على العطاء حتى ولو لم يرغب فيه ، من مثل قوله (أيدينا ممدودة إليك بالرغبة ، وأعناقنا خاضعة لك بالذلة ، وأبصارنا شاخصة إليك بالشكر ، فافعل فى أمورنا حسب أملنا فيك، والسـلام)[2]، أو مثل (لم أصن وجهى عن الطلـب إليـك،

---

(١) البيان والتبيين ٢٣٢/٣، المحاسن والمساوئ ٤٢٣/٢ .

(٢) عيون الأخبار المجلد الثالث ١٣٦ .

فصن وجهك عن ردي، وضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك)[1]، أو كقول بعضهم متلطفا (إني امتطيت إليك الرجاء، وسرت على الأمل، ووفدت بالشكر، وتوسلت بحسن الظن فحقق الأمل وأحسن المنزلة، وأكرم القصد، وأتم الود، وعجل المراد)[2] .

وربما التخويف من عثرات زمان جائر ، ومستقبل مظلم ينال من المستمع كما نال من سائله ، من الأشياء التي يستغلها المكدي المستجدي لكونها تيسر له جمع الدراهم وتحث على العطاء ، لأن الإنسان غالبا مايخشى من الغد لأنه يجهله ، لذا يعطي إذا أحس أنه ربما يقع تحت إمرة زمان متقلب ، أحيانا يكون معه وفي أخرى عليه ، لذا نادت هذه السائلة في جمع من الناس مخوفة إياهم بطلبها قائلة (وقاكم الله هول المطلع ، وضيق المضجع ، وبعد المنتجع) [3] وأحيانا يجعل المستجدي من الدين معبره لاستدرار عطف مشاهديه كقول هذا الرجل (أنا جاركم في بلاد الله ، وأخوكم في كتاب الله ، وطالب من فضل الله ، فهل أخ يواسيني في ذات ، الله عز وجل ؟) [4] .

وعلى هذه الوتيرة يستطيع المستجدي الحاذق أن ينال عطايا غيره دون جهد منه ، وإنما كل مايصنعه هو التفنن في إحراز أكبر قدر ممكن من المال من خلال كلمات تنال من سامعها فيعطي دون تفكير .

ولكن ليست كل حالات الاستجداء هي لمجرد أن صاحبها يعمل بها كحرفة، فلدى المستجدي من الدوافع مايخول له مد اليد وطلب العون ، حيث ينقسم الاستجداء إلى قسمين : الأول تسول لمجرد الكسب بلا جهد ولاعرق ، ويعتمد

---

(١) المرجع السابق ١٢٧ ، بهجة المجالس القسم الأول ١٧٢، المخلاة ٥٢ .

(٢) العقد الفريد ٤٣١/٣ .

(٣) البصائر والذخائر ٢٤٠/١ .

(٤) نفسه ١٧١/١ ، العقد الفريد ٤٣٦/٣ ، المستطرف ٤٩/٢ .

على الحيلة بإظهار آثار على الجسد كبتر اليد ، أو القدم ، أو بثور على بعض منه، أو ورم الوجه ، إلى غير ذلك من الحيل التى يشفق على صاحبها كل من يراه للوهلة الأولى ، وهذا النوع هو الأغلب الأعم الذى يمارسه معظم أهل الطائفة، بينما الثانى له أسبابه ودوافعه ، وهو ينقسم إلى شقين أحدهما عام يشترك فيـه جمع من الناس ، والآخر خاص للمستجدى فيه أسباب شخصية تخصه هو دون غيره ، أما بالنسبة للاستجداء العام فالمقصود منه أن يقف الرجل متحدثا عن سبب تسوله لكى ينال عطايا الناس ليوزعها على قبيلته وأهله وهذا النوع ينطبق على استجداء الأعراب ، فالأعرابى المستجدى تدفعه ظروف بيئته أن يخاطب العامة طالبا منهم الاقتصاص من طبيعة قاسية ، قوامها القحط ، والجدب ، والحرارة القاتلة ، وقلة الزرع والضرع ، لذا لايجد مفرا من أن يخرج وهو محمل بكل هذه الأعباء لكى يستصرخ الناس طالبا العون له وأهله لكونهم يعانون مثله ، وهذا ما أشار إليه هذا الأعرابى عندما تحدث عن سوء حال ليس له فيه ذنب قائلا (سنة جردت ، وحـــال جهـــدت ، وأيد خمدت ، فرحـــم الله من رحم ، وأقرض من لايظلـم!)[1].

وإذا كانت سنة واحدة قد أحدثت كل هذا الضيق والعناء ، فإن منهم من يستجدى لتعاقب سنوات الجدب والفقر ، كهذا الذى أهلكته وقومه ثلاث سنوات مجدبة دفعته إلى أن يخاطب أهل الخير قائلا (تتابعت علينا سنون ثلاث غيرت النِّعم ، وأهلكت النَّعم ، فأكلنا مابقى من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمنى بالغيث قلوبنا حتى عاد مخنا عظاما ، وعاد إشراقنا ظلاما ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، وينكبنا السهل ، وهذه آثار مصائبنا ، لائحة فى سماتنا ، فرحم الله متصدقا من كثير ، ومواسيا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود والله يجزى المتصدقين)[2] .

---

(١) المحاسن والمساوئ ٤٢٣/٢ .

(٢) العقد الفريد ٤٣٣/٣ - ٤٣٤ .

ومنهم من ينتقل بحديثه من إظهار أثر القحط عليه وقومه ، إلى ذكر الأسباب الحقيقية من وراء جدب وإقفار المكان ، مسهبا فيها وعارضا إياها بصورة تفصيلية ، كقول هذا الأعرابى الذى أرجع تسوله إلى سماء ضنت بمائها ، وأرض قل خيرها (ياقوم تتابعت علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رجع ، ولا للأرض فيها صدع ، فنضب العد ، ونشف الوشل ، وأمحل الخصب ، وكلح الجدب ، وشف المال وكسف البال ، وشطف المعاش ، وذهبت الرياش ، وطرحتنى الأيام إليكم غريب الدار ، نائى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ، فرحم الله امرأ رحم اغترابى ، وجعل المعروف جوابى) [(١)] .

وتتكرر صورة الأعرابى المستجدى ، الذى أعوزته الطبيعة فضنت عليه ، وباعدت بينه وأهله فى أكثر من نموذج ، ويظل إجداب البلاد القاسم المشترك عند كل أعرابى يخرج أمام جمع من الناس طالبا العون والانتصاف لأهله وله من سنوات أهم مايميزها القحط والجدب ،[(٢)] لنتخلص بذلك من الشق الأول الخاص بالاستجداء العـــام .

أما بالنسبة للشق الثانى من الاستجداء ، فهو المبنى على دوافع شخصية لاتتعلق بالمجموع العام ، حيث تدفع المكدى إلى الطلب أشياء خاصة به تعوزه ولاتعوز غيره ، كطلب هذا الرجل الذى نادى راغبا فى صدقة تعينه على كبر سنه، ونحافة بدنه وتقطع ثوبه قائلا (ياقوم تصدقوا على شيخ معيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهره ، وسمع شكواه خالقه ، بدنه مطلوب ، وثوبه مسلوب) [(٣)] ، بينما تدفع الأولاد ذويهم إلى الطلب لصعوبة تحقيق رغباتهم ، كهذا الذى وقف يسأل باحثا عن كريم قائلا :

---

(١) المرجع السابق ٤٢٨/٣ .

(٢) انظر فى هذا النموذج: عيون الأخبار المجلد الثالث ١٣٢، العقد الفريد ٤٢٩/٣، بهجة المجالس القسم الأول ١٠٥ .

(٣) العقد الفريد ٤٣٤/٣ .

ألا فتى أروع ذو جمـــــال　　من عرب الناس أو الموالــــى
يعنني اليوم على عيالـــى　　قد كثروا همى وقل مالـــى
وساقهم جدب وسوء حالــى　　وقد مللت كثرة الســـؤال [1]

ويركز المكدى المستجدى على أصحاب العطاء السخى من المقتدرين ، ليشاطروه عبء هذا الكم من البنين والبنات ، كهذا الذى نظم قائلا :

هل من فتى مقتدر معـــين　　على فقير بائس مسكـــين
أبى بنات وأبى بنــــين　　جزاه ربى الذى يعطينـــى
أفضـــل مايجزى به ذو الدين[2]

بينما يقف الفقر حائلا دون تحقيق المراد فى أغلب الأحايين ، لذا يضجر به صاحبه فيخرج مستجديا من الناس ، كهذا الذى وقف لاعنا الفقر الذى نال منه ، فهتك ستره ، ويتم ولده ، وذلك عندما قـــال (أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويبرز الكعاب ، وقد حملتنا سنو المصائب ونكبات الدهور على مركبها الوعر ، فواسـوا أبا أيتـام ، ونضـو زمـان ، وطريـد فاقـة ، وطريـح هلكة ، رحمكم الله) [3] .

والجوع أيضا من الأسباب الشخصية التى تدفع صاحبها إلى مد اليد ، فعندما تشتد قرقرة البطن ، لابد أن يجد طريقا لإسكاتها ، وما أسهل من أن يرتجل مجموعة من الكلمات ليستدر بها عطف غيره كقول هذا الرجل فى مسألته: (لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ، ولقد مشيت حتى انتعلت الدم ، وحتى سقط من رجلى بخص لحـم [4] ، وحتى تمنيت أن وجهى حذاء لقدمى ، فهـل من أخ يرحمنـا) ؟[5] .

---

(١) البيان والتبيين ٣/٢٢٤ .
(٢) العقد الفريد ٣/٤٣٥ .
(٣) نفسه ٣/٤٣٤ .
(٤) البخص : لحم القدم .
(٥) عيون الأخبار المجلد الثالث ١٣٢ .

وهكذا تقف دوافع شخصية عدة وراء استجداء أصحابها ، ككبر السن الحائل دون الكسب ، أو كثرة الولد مع قلة المال ، أو إطباق فقر مصحوب بجوع قاتل دافع لمداليد، ولكن إذا كانت النماذج السابقة قد أطلقت الاستجداء رغبة فى الانتصاف من حالها بالدراهم أو سد الرمق ، فإن من المستجدين من طلب أثناء تسوله شيئا بعينه ولعله بذلك يركز على أهم مايعوزه ، لذا خصصه دون إطلاق كأبى فرعون الساسى الذى خرج يستجدى بجراب خال ، مناشدا عشيرته ملمحا بارتفاع سعر الدقيق عله يصيب منه شيئا قائلا :

يا أخوتى يامعشر الموالـــــى   أنا ابنكم وأنتم أخوالـــــى

هذا زبيلى وجرابى خالـــــى   والماء عال والدقيق غالـــــى

وقــد مللنا كثرة العيــــال [1]

ويبيع ابن الحجاج ثيابه بواسط ، فيتجول فى ربوعها بخرج خال أيضا ، منددا بسوء حال حوله إلى ميت فى صورة حى ، مركزا على مظهره العام ، عله يلفت الأنظار إلى هندامه الممزق ، والذى من اليسيـــر تعويضه من ذوى الجود والكـــرم ، مخاطبها إياهم مناديا :

ياسادتى قول ميـــــــت   فى مثل صورة حـــــــى

لم يبق فى الخرج شـــــئ   أتــــأذنـــون بشـــــئ [2]

ويشتكى آخر من سفر طويل يعوزه فيه ماينتعله ، لذا وقف أمام جمع من الناس طالبا خفين ليكونا عونه على طريقه مستفسرا وقائــلا :

هل من فتى عنده خفان يحملنـى   عليهما إننى شيخ على سفـــــر

أشكو إلى الله أهوالا أمارسهـــا   من الصداع وأنى سئ البصـــر

إذا سرى القوم لم أبصر طريقهـــم   إن لم يكن عندهم ضوء من القمر [3]

---

(١) الورقــة ٥٨ .

(٢) يتيمة الدهر ٥٧/٣ .

(٣) البيان والتبيين ٢٢٤/٣ - ٢٢٥ .

ويستغل آخر حب العامة لرسول الله (ص) فينتسب إلى مدينته ، ويطلب نفس المطلب السابق ، واثقا من سرعة الاستجابة قائلا (إنى رجل من مدينة الرسول عليه وعلى آله السلام، مشيت حتى انتعلت الدم، فرحم الله من حملنى على نعلين، فكأنما حملنى على ناقتين، فلا قليل من الأجر، ولاغنى عن الله جل وعز) [١] .

والمكدى المستجدى عبر كل هذه التسولات له أماكن بعينها يرتادها ليرتزق منها ولابد أن يتوافر له فيها أكبر تجمع عددى من الأنام ،حتى يضمن الحصول على قدر لابأس به من العطاء والعون .

وإذا كانت النماذج السابقة قد اتجهت إلى جمع الناس فى الأسواق والمنتديات عبر استجداء أصحابها ، فإن بعضا من أهل الطائفة يسلك تجمعا آخر يرتاده هو المساجد، لكونها الملتقى الشرعى الدينى للأغلب الأعم من الناس ، سواء من أهل البلدة أو زوارها ، والمستجدى فى هذا المكان لايختلف عن أهل طائفته من حيث الدافع إلى مداليد أو طريقته ، لذا نجده يردد ماقيل دون أدنى اختلاف يذكر اللهم إلا اليسير [٢].

والمستجدى من المساجد يعنيه الأكبر منها ، واليوم المنوط بالتسول وغالبا مايتخير يوم الجمعة لما يميزه من تجمع إسلامى كبير ، وله فى هذا اليوم أسلوبه المائل للإطناب فى شرح سوء حاله ، وضيق مافى يده وأهله ، علّه بذلك يلفت نظر هذه الجموع المتوافدة على بيت الله ، كهذا الذى وقف فى المسجد الحرام مخاطبا جمع الناس قائلا [٣] (يامسلمون ، إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إنى امرؤ من أهل هذا الملطاط الشرقى[٤] المواصى[٥] أسياف تهامة[٦] ، عكفت[٧] على

---

(١) المحاسن والمساوئ ٢/٤٢٤ .

(٢) انظر فى ذلك البيان والتبيين ٢/٤٦ ، الأمالى ٢/١٩٤ .

(٣) الأمالى ١/١١٣ - ١١٤ .

(٤) الملطاط : أشد انخفاضا من الغائط وأوسع منه ، ويقال هو كل شفير نهر أو واد .

(٥) المواصى والمواصل واحد ، يقال : تواصى النبت إذا اتصل بعضه ببعض .

(٦) أسياف : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .

(٧) عكفت : أقامت .

سنون محش [1] ، فاجتبت الذرى [2] ، وهشمت العرى [3] ، وجمشت [4] النجم[5]، وأعجت البهم [6] ، وهمت الشحم [7] ، والتحبت اللحم [8] وأحجنت العظم [9] . وغادرت التراب مورا [10]، والماء غورا [11]، والناس أوزاعا [12]، والنبط قعاعا [13] ، والضهل جزاعا[14]، والمقام جعجاعا [15]، يصبحنا الهاوى[16]، ويطرقنا العاوى [17] ، فخرجت لا أتلفع بوصيدة [18] ولا أتقوت هبيدة[19]، فالبخصات وقعة[20]، والركبات زلعة [21] ، والأطراف قفعة[22]، والجسم مبسلهم [23]، والنظر مدرهم[24]، أعشو فأغطش[25]، وأضحى فأخفش، أسهل طالعا [26]، وأحزن راكعا [27]، فهل من آمر بمير ، أو داع بخير، وقاكم الله سطوة القادر، وملكة القاهر، وسوء الموارد، وفضوح المصادر).

إن السؤال هنا فى هذه الصورة جاء طويلا مسهبا غريبا فى ألفاظه على مسامع من يجهل كنهها ، ولعل المستجدى قد قصد هذه الغرابة ليعلم سامعيه

(1) محش : هى التى تمحش الكلأ ، أى تحرقه .
(2) اجتبت : افتعلت من الجب ، واجتبت الذرى : قطعته .
(3) هشمت : كسرت ، والعرى : جمع عروة والعروة القطعة من الشجر لايزال باقيا على الجدب ترعاه أموالهم .
(4) جمشت : احتلقت . (5) النجم : مالجم ولم يستقل على ساق .
(6) أعجت : أى جعلتها عجاجا . (7) همت : أذابت .
(8) التحبت اللحم : عرقته عن العظم . (9) أحجنت العظم : عوجته فصيرته كالمحجن .
(10) المور : الطريق . (11) الغور : الغائر .
(12) أوزاع : فرق .
(13) النبط : الماء الذى يستخرج من البئر أول ماتحفر . والقعاع : الماء الملح المر .
(14) الضهل : القليل من الماء . والجزاع : أشد المياه مرارة .
(15) الجعجاع : المكان الذى لايطمئن من قعد عليه .
(16) الهاوى : الجراد . (17) العاوى : الذئب .
(18) التلفع : الاشتمال . والوصيدة : كل نسيجة .
(19) الهبيد : حب الحنظل يعالج حتى يطيب فيختبر .
(20) البخصات : واحدها بخصة ، وهى لحم باطن القدم . الوقعة : اشتداد الألم فى باطن القدم . (21) زلعة : متشققة .
(22) قفع : متيبس . (23) المسلهم : الضامر المتغير .
(24) المدرهم : الضعيف البصر ، الذى قد ضعف بصره من جوع أو مرض .
(25) الغطش : ضعف فى البصر . (26) طلعت : غمزت . (27) أحزن : أركع .

ماعليه من فصاحة وبيان ، ولقد جمع عبر استجدائه كل ماذكره غيره من أسباب للشكوى وطلب العون ، ولقد جاء استجداؤه غريبا عن سابقه من حيث انتسابه على غير عادة إلى مكان بعينه ، ثم ذكره ما أصابه بعد أن تعاقبت عليه سنون القحط فغيرت من معالم كل شئ ، المأكل والمشرب ، ولقد أفاض فى الحديث عما حل بجسده من ضعف ناتج من قلة الطعام لدرجة أن باطن قدمه تشققت من كثرة البحث عنه ، وتيبست أطرافه من برودة الأماكن التى يرتادها طلبا للعون ، وضعف بصره لندرة القوت ، وصار وهو على حالته هذه كالخفاش ، ولقد أجهد حتى صعب عليه الصعود ، لذا كان من المنطقى بعد هذه الأشياء أن تمد يده طلبا للعون من أصحاب الكرم والجود .

والعطاء فى النهاية والبداية هو منتهى مايريده المكدى المستجدى ، من العامة أو الخاصة ، فكل ماتعلمه من دروس سابقة ليزاول هذه الحرفة ، هو خط مرسوم للوصول إلى مايريد ، لذا عندما يبلغ مراده تنتفخ أوداجه ، وتقر بلابله ، وينشرح صدره ، ويلهج لسانه بآيات الشكر والعرفان للمغدق عليه بالنعمة والعطية، وكلما زاد العطاء كثر الثناء على صاحبه ، كهذا الذى أثنى على صاحب نعمته ، طالبا من الله أن يهبه من طول العمر الكثير ، وأن يجزيه الجزاء الحسن ، قائلا (جعل الله للخير عليك دليلا وجعل عندك رفدا جزيلا ، وأبقاك بقاء طويلا وأبلاك بلاء جميلا) (١) .

ويدعو آخر لمن أطعمه بأن يحفظه الله من كل سوء ، وأن يفرج عنه كل كرب ، ويغفر كل ذنب (٢) ، بينما يرى آخر أن كبر حجم عطيته جزء من قدر وكبر صاحبها (٣) ، ويدعوا رابع لمعطيه بأن يجعله الله ملاذا للسائلين ، ودليلا على

---

(١) البيان والتبيين ٣/٢٢٤ .

(٢) العقد الفريد ٣/٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٣) الأمالى ٢/٤٧ .

الخير ، وسبيلا للمعروف (١) ، والمكدى المستجدى لايصادف هذا الكريم المشكور على عطيته فى أغلب الأحيان ، بل فى كثير من بحثه تنغلق أمامه الطرق ، ولايجد من يغدق عليه ببعض من دراهمه ، أو بلباس يستر عورته ، لذا يتجه بسؤاله إلى الاستجداء المباشر من الله ، وهذا النوع من الطلب يرفع فيه المكدى الحجاب بينه وربه ، بل وتصل جرأته فى الخطاب إلى حد غير معقول ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى شدة الحاجة ، حيث المكدى المستجدى واحد من عباد الله ، وقدرات وليس فى جوفه مايقيم صلبه ، ولا فى بيته مايسد عوز أولاده ، على حين يرى غيره وقد تنعم ، لذا يبث إلى ربه مايريد ، كهذا الذى رفع صوته طالبا منه ستر عورتــه قائــلا :

أيا رب رب الناس والمن والهــدى ... أمالى فى هذا الأنام قسيــم !

أما تستحى منى وقد قمت عاريا ... أناجيك ياربى وأنت كريـــم

أترزق أبناء العلوج وقد عصــوا ... وتترك قرما من قروم تميـــم (٢)

يقف آخر وقد اشتد عليه ألم الجوع وبجانبه زوجته ، مناديا ربه ، معلما إياه سوء حال لايحتاج لدليل ، طالبا منه الحل قائلا :

يارب إنى سائل كما تـــــرى ... مشتمل شميلتى كما تـــرى

وشيختى جالسة فيما تـــــرى ... والبطن منى جائع كما تـــرى

فما ترى ياربنا فيما ترى (٣)

وبعد فنستطيع بعد هذا العرض أن نخلص إلى نتيجة مؤداها ، أن الاستجداء ليس حرفة يزاولها كل من كان له يد يبسطها أمام المارة طالبا العطاء ، وإنما مهنة لها قواعدها وأصولها التى يعلمها أهلها ويطبقونها ، ولها درجات ومراتب تصل إلى مرتبة الأستاذية فى التسول وأن الاستجداء ينقسم إلى قسمين:

---

(١) العقد الفريد ٣/٤٣٤ .

(٢) المحاسن والمساوئ ٢/٤١٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٥١١ ، المخلاة ٧٧ .

(٣) نفسه ٢/٤١٩ ، الأصمعى ٢٧٥ .

الأول : يزاوله معظم أهل الطائفة ، والثاني:استجداء مدفوع بسبب ، وهذا ينقسم بدوره إلى شقين : الأول منهما يشترك فيه جمع من الناس ، من حيث شعورهم المشترك بالحاجة إلى الطلب ، كاستجداء الأعراب الذين دفعتهم ظروف بيئتهم إلى حث الآخرين من أجل إسهامهم فى إخراجهم من ضيق طبيعة قاتلة ، بينما الشق الثانى استجداء شخصى ، للمستجدى فيه أسبابه ، والتى تدور حول ندرة طعامه، أو ضيق ذات يده ، أو كثرة مالديه من ولد ، أو ضعف جسده ، أو مايعانيه من فقر مطبق .

والاستجداء له أماكنه التى يميزها غالبا جمع الناس ، حيث فرصة العطاء أكبر ، ومنها الأسواق والمنتديات الكبيرة ، والمساجد جميعها وبخاصة أشهرها ، والمكدى المستجدى يسعى دائما من أجل نيل عطايا غيره ، وعندما يجدها بين يديه ، ينطلق لسانه بالشكر للمغدق عليه ، ثم هو فى النهاية عندما لايظفر بما يكون سنده من دهر جائر ، يتجه بطلبه إلى الله حيث هو آخر مكان يلجأ إليه بعد أن تنفذ حيله .

الفصل الرابع

المديح

المديح طريقة أخرى من طرق الاكتساب ونيل القوت عند أهل الكدية ، وهو مكمل لدائرة الكسب بالنسبة لهم ، فمثلث الارتزاق عندهم يبدأ من الرحلة والتجوال التى فرضت على المكدى البحث عن المال من مظانة المختلفة عن طريق سعى لا يفتر ، ثم الاستجداء والطلب الذى تفنن فيه بكل مالديه من قدرة من أجل استدرار عطف الآخرين ، ومحاولته حث مشاهديه على الإكثار من عطيته ، والعطف على دواعى سؤله ، بينما يصل إلى قمة مثلثه الارتزاقى عبر المديح .

فالكدية مراتب ودرجـــات (تبـــدأ من الســـؤال وتكفـف الناس ، وتصل إلى المدائـــح)[1] ، حيث تنطلق فى بدايتها بين أوساط العامة بحثا عن رزق أصحابها، بما يمتلكون من حيل، حرف تدر النزر القليل أو الكثير من المال ، وتنتهى على بلاط وقصور الخلفاء والوزراء والأمراء والقادة ، أو قل علية القوم فى أى مكان وجدوا، حيث الشرف والمجد والقوة والمال وغير ذلك من الصفات المتوافرة فى ممدوح من النادر وجوده بين السواد الأعظم من الناس .

وطائفة الكدية غنية بأهلها وحرفهم المختلفة ، فقيرة من حيث نصيبها من عدد الشعراء المادحين، لأن هذه المرتبة تحتاج إلى تميز اجتماعى، بجانب الإجادة فى قرض الشعر ، تمهد لناظمها فرصة الوصول إلى بلاط وقصور أهل الطبقات الغنية ، لذلك نلحظ أن هذا اللون قد اقتصر على عدد محدود منهم ، كأبى الرقعمق الذى وصفه صاحب اليتيمة بأنه أحد المداح المجيدين[2] ، وابن الحجاج

(١) الذين أدركتهم حرفة الأدب ٥٠ .

(٢) يتيمة الدهر ٣١٠/١ .

الذى عدّ من شعراء المديح ، وقصد بنظمه أهم معاصريه ومدحهم كعز الدين بختيار[1]، بينما يتربع على عرش هذه المجموعة بديع الزمان لكونه خصص الجانب الأكبر من ديوانه للمديح ، مما يكشف لنا عن دلالة مؤداها طغيان هذا الغرض الشعرى عنده على الموضوعات الأخرى ، مما حوله إلى حرفة وصنعة أكثر منه فنا وإجادة ، الأمر الذى لفت أنظار الباحثين كالدكتور الشكعة ، الذى أرجع تفسير الظاهرة إلى أن البديع رجل متكسب ومداح مكتد [2]، وأرى تاكيدا لما سبق أن من جعل هذه المهنة حرفته فلابد أن يسعى دائما لنيل أكبر قدر من العطـــاء ، ولن يصل له إلا بالتطـواف ، والبديع واحد من هؤلاء فقد عبر بنفسه بلادا عدة حيث ترك همذان وعمره اثنتا عشرة سنة قاصدا أكثر من مكان كأصبهان وجرجان والإسماعيلية ونيسابور ، وهراة [3] ، ومن خلال تطوافاته السابقة فى البلدان المختلفة جعل مناط اهتمامه أصحاب المناصب فيها ، لذا مدحهم ، ونال حظوتهم .[4]

وقصيدة المديح عند المكدى تختلف كثيرا عما هو متعرف عليه فى الشعر العربى، وكذلك الممدوح ينعت عنده ببعض النعوت المتوارثة من قصائد المديح القديمة، وتركيز المكدى فى قصيدته يدور حول إظهار صفتى الجود والعطاء عند ممدوحه، حيث هما أشد مالفتا انتباهه فى المنوط بالمديح ، وهذا أمر بدهى بالنسبة له، مرده أنه يتكسب فى الحياة من هذين المصدرين ، لذا يجد نفسه مدفوعا إلى أن يشيد بهما عبر نظمه لقصيدة مدحية .

وأول مايلفت نظر المكدى إلى ممدوحه صفاته الجمالية ، التى تبدو واضحة على قسمات وجهه ، والتى تميزه حيث يستشعر فيه أولى السمات التى تتوافر فى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٤٩ .

(٢) بديع الزمان ١٥٦ .

(٣) يتيمة الدهر ٤/٢٥٧ - ٢٥٨

(٤) نفسه ٤/٢٥٨ .

المغدق بلا حساب ، فنضارة الوجه وإشراقه علامات تدل على سخاء أصحابها ، وكثرة جودهم ، وعدم عبوسهم من جراء السؤال ، من هنا كان يطرب عندما يرى ممدوحه على هذه الصورة كابن الحجاج الذى قال فى عز الدين بختيار :

فديت وجه الأمير من قمر ... يجلو القذى نوره عن البصر

فديت من وجه يشككنى ... فى أنه من سلالة البشر (١)

ويلحظ فى ممدوحه الآخر جمالا إذا نظر إليه الهلال سجد خجلا من حسنه ، وماتت على إثره الشمس من الحسد ، لذا مدحه قائلا :

يامن إذا نظر الهلا ... ل إلى محاسنه سجد

وإذا رأته الشمس كا ... دت أن تموت من الحسد (٢)

ويشاهد أبو الرقعمق ممدوحه فيرى فى وجهه صورة الشمس والقمر ، لذلك نظم فيه قائلا :

رأيته فرأيت البدر فى أفق ... والشمس طالعة من كل شارقة (٣)

ويكرر نفس المعنى السابق مع زيادة فى ذكر أصل ممدوحه العريق فهو ابن السادة المعلمين والأنجم الساطعة ، لذا خاطبه قائلا :

ألا يا منتهى الجود ... ويا ذا المجد والفخر

ويا ابن السادة الغر ... ويا ابن الأنجم الزهر

ويا أبهى من الشمس ... ضياء ومن البدر (٤)

وينظم بديع الزمان فى وجه ممدوحه ، الذى تجلى وأصبح شديد الضياء كالصبح الناصع قائلا :

وأبلج كالصبح الأغر جبينه ... ضياء وكالليل البهيم عساكره (٥)

---

(١) يتيمة الدهر ٣١٠/١ .

(٢) نفسه ٨٠/٣ .

(٣) نفسه ٣٣٢/١ .

(٤) نفسه ٣١٧/١ .

(٥) ديوان بديع الزمان ٣٠ .

والإشادة بجود الممدوح من الأشياء التي ركز عليها المكدي أثناء مدحه ، ولعلها أهم ماكان يعنيه كما قلنا ، لذلك أطنب من ذكره لهذه السمة ، ولكون اليد هي التي تشهد جود صاحبها فقد مجدها ، كما صنع أبو الرقعمق عندما مدح مالسيده من راحتين اتسمتا بالندى والجود ، لأنهما اغدقتا عليه وغيره من كل خير قائلا :

إلى من راحتاه ندى وجود عليـنا بالمواهب ثرتان

كريم لايدافع عن سماح جواد ماله في الجود ثان

تناهت عنده الآمال لما غدا أقصى النهاية في الأماني[1]

وتمثل هذه اليد الممدوحة من خلال نظم الشاعر الملاذ لكل من يرجو الخير ، وينهل من مورد ممدوح عذب ، لذلك قال فيها :

خلقت كفاه من جود لراجيه ورفد

مورد يورد راجيه إلى أعذب ورد[2]

وتفيض هذه اليد من كثرة مابداخلها من عطايا حتى عجب من فعلها الشاعر فقال :

وعجيب والحسين له راحة بالجود تنكسب [3]

وتتجمع في كف هذا الممدوح كل أنواع المكرمات ، ومن تكون هذه سمته فهو في النهاية الملاذ من الزمان الجائر ، لذلك قال أبو الرقعمق :

فسبحان من جعل المكرمات جميعا بكف أبي أحمد

وقال له كن كما تشتهي فكان النهاية في السؤدد

وهل غيره أحد يرتجى ويعدى على الزمن المعتدي[4]

---

(١) يتيمة الدهر ٣٢٢/١ .

(٢) نفسه ٣٢٠/١ .

(٣) نفسه ٣١٨/١ .

(٤) نفسه ٣٣٠/١ .

ويتفرد الممدوحان هذه المرة عن سائر البشر ، فقد اجتمع فيهما السؤدد لكونهما أغدقا بكفيهما على كل الناس ، أما الشاعر ببعيد عن هذه العطية ، لذا قال فيهما :

لسؤدد ابني علي قد جاء بالبهتان
يداهما بالعطايا والندى قرتان (١)

ولم يقف المكدي المادح عند حد الإشارة باليد الكريمة الجوادة أثناء مديحه فحسب ، بل تعدى هذه الجزئية إلى الحديث عن جود الممدوح ككل ، كقول أبي الرقعمق في ممدوحه الذي تجلى فيه كرم العطاء حتى أنه كفى طالبه مؤنة سؤال غيره :

أكرم من جاد فما بعده لطالبي جدواه من مطلب (٢)

والمكدي يرى أن الجود سمة متوارثة ، من ألفها داوم على تقديم ما عنده ، وصاحبها يجري في عروقه الكرم والعطية ، لذا يجود حتى بما يمتلك ، لذلك فهناك ارتباط في ذهن الشاعر المكدي بين العطاء وصاحبه من حيث التعود عليه ، من هنا قال أبو الرقعمق في ممدوحه مشيدا بهذه السمة :

ولم أعهدك في طلب المعالي ... تكسب الحمد غير فتى جواد
ومن ألف المكارم والعطايا ... كإلفك جاد من غير اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواه ... وأن يهب الطريف مع التلاد (٣)

ويطرب المكدي عندما لايرى عائقا يحول دونه والممدوح ، ربما لأنه أعد نفسه ليكون مريدا لعطايا هذا الكريم ولكنه يخشى الوصول إليه خوفا من حاجب ، أو باب موصد ، لذا هش أبو الشمقمق عندما صادف ممدوحه وقد استقبله وغيره بدون حاجب أو قفل قائلا :

وليس على باب ابن ادريس حاجب ... وليس على باب ابن أدريس من قفل

(١) المرجع السابق ٣٢٨/١ .
(٢) نفسه ٣٢٧/١ .
(٣) نفسة ٣٣٣/١ .

طـربـت إلـى معروفه فطلبتـه كما طربت زنج الحجاز إلى الطبل[1]

وإلى جانب صفة الجود التى أشاد بها المكدى خلال مديحه للكريم المغدق ، نظم مايشيد بممدوحه عبر صفات عدة عرفت بين العرب بالصفات الحميدة ، ولكنه لم ينس ضمنها أن يمجد جوده فهو دائما وراء هذه السمة التى يرى أنها لابد أن تثمر فى النهاية عن عطاء يتناسب ودرجة الممدوح ، فهو عند أبى الرقعمق السيد العظيم الذى جمع فى شخصه سمات عدة منها العز والثروة ، وفصاحة اللسان ، وفطنة العقل النافذة عن نيل قسط من العلم لذا رحل إليه مادحا :

ورحلنا نطلب السـ	ـيد والقرم اللبابا
فرأينا العز والثر	وة والبحر العبابا
ورأينا أفضل النا	س وأعلاهم خطابا
يقظا يدرك بالفطـ	ـنة مافات وغابا
هـذبتـه فطنة العلـ	ـم فما يخشى معابا [2]

ويرى فى ممدوحه الثانى أنه ماجد ، همام ، رحب الجناب ، رافع للآمال ، صاف كالماء له رأى سديد كأكثم بن صيفى ، وخطاب فصل كقس بن ساعدة ، إلى جانب أنه مفضال كريم ، وبحر عباب ، لذلك قال :

وبإحسان تميـم	عذت من عظم مصابى
بالأمير السيد الما	جد والقرم اللباب
و الهمام المنعم المفـ	ـضل والبحر العباب
والذى لافرق مابيـ	ـن جداه والسحاب
تنتشى منه إلى ذى	كرم رحب الجناب
رافع دون بنى الآ	مال أستار الحجاب
لم أزره قط إلا	بت محمود الإياب

---

(1) شعراء عباسيون ١٤٤ .

(2) يتيمة الدهر ٣٢٨/١ .

ذكـــره أعـــذب فــى الأنـــ	ـفــس مــن ذكــر الشــبــاب
ولـــقـــد رق عـــن الـمـــا	ءو عن طبـع الـشـــراب
أكـــثـم فــى الـــرأى والفضـــ	ـل وقــس فـــى الخطـــاب (١)

وليس كل ممدوح عند المكدى يحمل الصفات السابقة ، بل تختلف النعوت باختلاف الشخصيات ، فمديح الخلفاء والأمراء يختلف عن الوزراء والقادة ومن يشارك فى سياسة البلاد ، فيعول فى مديح الوزراء والقادة على إبراز صفات الاصطفاء ، والاختيار من قبل ولـــى أمر الأمـــة ، إلى جانـــب إســداء النصح والشجاعة والإقدام وقت الحرب ، والعطاء وإغداقه وقت البخل ، والذكـاء المشوب بصفاء الذهـــن ، ولقد جمع هذه الصفات أبو الرقعمق عند مديحه لأحد الوزراء قائـــلا :

لـــم يــدع للعزيز فى ســائر الأر	ض عـدوا إلا وأخمــد نــاره
فلهذا اجتبـــاه دون ســـــواه	واصطـفـاه لنفسه واختـــاره
لم تشيد لـــه الوزارة مجـــدا	لا ولا قيل رفعت مقـــــداره
بل كساها وقد تخرمهـــا الدهـــ	ـر جــلالا وبهجة ونضـــاره
كل يوم لـــه على نـــوب الدهـــ	ـر وكـــر الخطوب بالبذل غـاره
ذو يد شأنهـــا الفـــرار من البخـــ	ـل وفى حومة الوغى كـــراره (٢)

ويطالعنا الشاعر بصورة الممدوح الناصح صاحب الرأى السديد مرة أخرى ، عندما نظم فى مديح أحد رجال الدولـــة قائلا فى جوده ، ونصحه ، وإعانته للضعيـــف ، وخلقه الحسن وأفعاله العظيمة :

إن يعقوب قد أفاد وأقنــــــــى	وأعاد الندى وأغنى الضعيفـــا
سل سيفا من البصيرة والـــــرأ	ى فأغناه أن يسل الســيوفـــا
باذلا للعزيز دون حـــمــــــاه	مهجة حرة ورأيا حصيـــفـــا

(١) المرجع السابق ٣٢٣/١ .

(٢) نفســـــه ٣١٠/١ .

لم تزل دونه تخوض المنايـــــا ... وترد الردى وتلقى الصفـوفـــا

ناصحا مشفقـا محبــا ودودا ... قائما فى رضاه صعبا عسوفــا

ليس يخشى فســاد أمـر تـولا ... ه وأضحى برأيـه مكتـوفـا

مارأينـا قـــطإلا رأينـــا ... خلقا طاهـرا وفعـلا شريفـا

ورأينـــا قـرما كبيرا هيامـــا ... منعما مفضـلا رحيما رؤوفــا

لـذ طعم العطاء وهـو إذا جـــا ... د وأعطى يرى الكثير طفيفـا (١)

وكعادة شعراء المديح فى المقارنة بين عطاء الطبيعة المحسوس وجـود الممدوح ، نهج المكدى نفس النهج ، وسار على نفس المنوال ، ووصف عطاء ممدوحه بما هو متعارف عليه فى القصيدة المدحية ، فجوده كالبحر الذى يعطى ويفيض بلا حدود ، وفى إغداقه بكل ماهو غال كالسماء المنهمرة واهبة الخير والإنبات على الأرض ، وزيادة على ذلك يفوق ممدوح المكدى كل هؤلاء من حيث العطاء والجود بما عنده ، لذلك قال بديع الزمان فى أحدهم :

ما البحر فى تزخاره والغيث فـــى ... أمطاره والجود فى أنوائــــــه

بأجل منه مواهبــا ورغـائبـــا ... مازال هذا المجد حول فنائــــة

والسادة الباقـون سـادة عصـــره ... ممتدحين هذا المجد حول فنائـــه (٢)

وتتكرر صورة العطاء بين البحر والممدوح من حيث المقابلة مرة أخرى عند الشاعر فهى أقرب النماذج المرئية للعطاء المتدفق بلاموانع ، من هنا وصف عطاء ممدوحه قائلا :

والبحـر عـبـد لـهـــاه ... عنـد العطـــاء مغيضــا (٣)

والممدوح المغدق عند المكدى يشبه فى عرفه بالكعبة ، فإذا كانت عند المسلمين قبلة للحجاج ، فالكريم عند المكدين قبلة المحتــاج ، لذلك مدح بهذه

---

(١) المرجع السابق ٣١١/١.

(٢) ديوان بديع الزمان ٤ .

(٣) يتيمة الدهر ٢٩٠/٤ .

السمة ، كقول البديع فى ممدوحه :

لك كعبتان ومشعرا ... وقبلتان لمن يحاذى
هى كعبة الحجاج تلـ ... ـك وكعبة المحتاج هذى (١)

ويمدح آخر بنفس المعنى السابق قائلا فيه (حضرته التى هى كعبة المحتاج ، لاكعبة الحجاج ، ومشعر الكرم لامشعر الحرم ، ومنى الضيف ، لامنى الخيف ، وقبلة الصلات لاقبلة الصلاة) (٢) .

والشاعر المكدى عندما نعت ممدوحه بالصفات السابقة كان فى ذهنه العطاء فى المقام الأول ، لذا كان يرى أن مدحه لابد أن يسبق العطاء من قبل الممدوح ، حتى تلهج الألسن وتشيد بذكر مزيد من حسناته ، ولما كانت هذه نيته فهو لم يخجل من التصريح بها أمام ممدوحه وأثناء مديحه ، كما فعل البديع عندما مدح الأمير العنبرى موضحا له بأنه إذا أكثر من جوده ، وفاض عليه من خيره ، سينظم فيه من الأبيات ماستمجد ذكره وترفع من قدره بين الورى وذلك عندما قال :

حى الأمير العنبرى وقل له ... ياكعبة آمالنا حجاجه
أنت ابن بيت فى السماء مكانه ... سقفا وفوق المشترى معراجه
أركبتنى فرس الكرامة ملجما ... وعليك بعد لجامه إسراجه
ولئن فعلت لأشكرنك فى الورى ... شكرا تموج عليكم أمواجه
ببدائع لاينمحى ديباجها ... وبخاطر لاينتهى عجاجه (٣)

والمكدى صريح مع نفسه وغيره ، لذا أفاض فى شرح مراده السابق بطريقة أكثر إسهابا علّه بذلك يصل لبغيته ، فالبديع من خلال مدحه التالى يضع مقابلة أمام كل جزئية فى مديحه ، فالدنانير المعارة من الممدوح

---

(١) ديوان بديع الزمان ٢٩ .

(٢) يتيمة الدهر ٢٥٩/٤ .

(٣)ديوان بديع الزمان ١٧.

يقابلها الثناء والشكر على العطية من الشاعر ، لذلك قال مؤكدا ماسبق :

املأ فمى فخرا ووسع يدى ندا	وحسب المنى منا وقدر الجدا جدا
أعرنى يدا تهمى دنانيرا فى الندا	كما تنثر الأغصان يوم الصبا وردا
أعرك ثناء لاتغب وفوده	كما تنشر الأمطار فوق الربى بردا
وألبسك مديحا لايعاد فريده	كما ينفح الند الذكى إذا ندا[1]

ويبدو أن البديع شغله هذا الأمر كثيرا ، لذا ظل يعدده فى أكثر من مكان، وعلى بلاط أكثر من ممدوح ، وبشتى الطرق المنظومة منها والمنثورة ، كرسالته هذه التى بعثها إلى رئيس هراة عدنان بن محمد ، والتى استفتحها بالمديح والإطراء ، وختمها بالطلب والمساومة بين أن يبعث له بمديحه فى مقابل أن يرسل له بمنحه وعطاياه وذلك عندما قال له (وفكرت فى مراد الرئيس فوجدته لايتعدى الكرم بسبب تارة ، والفضل تارة ، فإذا كان الأمر كذلك فما أولاه ، بترفيه مولاه ، عن زفرة صاعدة بسفرة باعدة ، ونكباء جاهدة فى شتوة باردة ، فليستفتح كل منا إلى صاحبه بما عنده ، فأبعث بما عندى وهو المدحة ، ليبعث بما عنده وهو المنحة)[2] .

والشاعر المكدى ليس فى كل الحالات يمتلك هذه المقدرة على التصريح بمساومة ممدوحه بين المديح والعطية ، لأنه يعلم كما تعلم من فنون حرفته بأن السؤال الملحف يعقبه المنع ، وأن كثيرا من الممدوحين يعجبه الإحساس بضعف سائله وذله له ، وليس التعالى عليه والمساواة فى القدر ، ولما كان المكدى من الذين يتمتعون بذكاء فطرى يؤهله لهذه الحرفة ، كان من السهل عليه أن يسير نفسه كما يرغب معطيه ، لذا لم يجد صعوبة فى أن يقلل من صراحته ، وأن ينظم من الأبيات مايستميح عبرها ممدوحه ، ويشعره بأنه صاحب اليد الطولى فى إخراجه مما فيه ، وهذا ماصنعه أحمد بن أبى البغل عندما قال لأحد

---

(١) المرجع السابق ٢٧.

(٢) كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان ١٧٩.

ممدوحيه:

بدأت بفضل صار فرضا تمامه | وأنت بمفروض العوئد عائد
تلطف لما فيه خلاصي واتخذ | يدا فالأيادي في الرجال قلائد[1]

ويستشفع ابن الحجاج ممدوحه في أن يصلح له من أمره ، ويعاونه على براثن دهر أطبق عليه من كل جانب ، ويغدق عليه كما كان من قبل ، وذلك عندما قال :

ياسيدي كم منية نلتها | منك كما أهوى وأخرى بكا
لولاهما أصبحت مستضعفا | في قبضة الدهر ومستهلكا
فامنن بإصلاح اختلالي الذي | إليك من شدته المشتكى[2]

ويستشفع ممدوحا آخر كي يجري على العادة في إعطائه كعادته معه دوما ، لأنه أعده لليوم العبوس الخالي من الرزق قائلا :

نفسي تقي نفسك ماتشتكي | لمثل هذا اليوم أعددتكا
فاجر على العادة في بر من | يجري على العادة في شكركا[3]

ويبدو أن الإحساس بالخلل في جنبات حياة المكدي قد أصاب ابن سكرة ، لذا طلب من سيده أن يصلح له ما أفسده الدهر ، لكونه جعله ذخرا لكل ما يتعرض له من جلل الحوادث قائلا :

ياسيدا ظل فردا في سيادته | يخشى ويرجى لدفع الحادث الجلل
الشوق ينهضني والعدم يقعدني | فمن شناك به مابي من الخلل[4]

---

(١) المنتحل ٧٢ .

(٢) محاضرات الأدباء ٥٦٦/٢ .

(٣) نفسه ٥٥١/٢ .

(٤) نفسه ٢٥/٣ .

ويطلب أبو الرقعمق من ممدوحه أن ينجز له ما وعده ، فهو الجواد الكريم ، وماعطاء الممدوح بمستغلق على الفهم ، فالكريم الجواد لن يجود الا بالسخاء وكثرة إغداق النعم لذا قال له مستفسرا وطالبا سرعة إنجاز ماوعد :

ولم أعهدك فى طلب المعالى ... وكسب الحمد غير فتى جواد
ووعدك فى الحياة له مرادى ... ولست أريده يوم التناد (١)

ومن منطلق الفضل المقرون بالشكر ، يطلب آخر من سيده متلطفا فى السؤال ومستميحا أن يسدى إليه بمعروف ينعشه لكونه الباغى النوال ، والمعطاء دائما وذلك عندما خاطبه قائلا :

يا ذا الذى لم تزل يمناه مذخلقت ... فيها الباغى النوال والعل والنهل
إن كنت مسدى بمعروف إلى رجل ... لفضل ود فإننى ذلك الرجل
فامنن علىّ بفضل منك ينعشنى ... فإننى شاكر للعرف محتمل(٢)

ويستصرخ آخر ممدوحه فى أن يعينه على أولاد صغار ، صعب عليه تحملهم بعد أن غدر به زمانه ، فلم يجد مفراً وأهله إلا طرق بابه والنيل من عطاياه ، وذلك عندما مدحه قائلا :

أصلحك الله قل ما بيدى ... فما أطيق العيال إذ كثروا
ألح دهر أنحى بكلكله ... فأرسلونى إليك وانتظروا
رجوك للدهر أن تكون لهم ... غيث سحاب إن خانهم مطر (٣)

ولايركن المكدى المادح دائما إلى حالة استماحة ممدوحه ، فلديه من خلال خبرته الطويلة بالحياة ، وعبر تطوافاته ورحلاته معرفة بمعادن الرجال المشهورين بالجود والكرم ، لذلك نجده ينتقل مباشرة من الاستماحة إلى القطع بالعطية عندما يكون متأكدا أنه بين يدى واحد منهم ، فهذا بديع الزمان يعتزم الرحيل إلى

(١) المرجع السابق ١/٣٣٣ .
(٢) نثر النظم وحل العقد ٢١.
(٣) الكامل ١/١٩٠ / المحاسن والمساوئ ١/٣٩٤/ العقد الفريد ٣/٤٣٠ المستطرف ١/١٦٥ ثمرات الأوراق ١/١٠٨/ المستجاد من فعلات الأجواد ٢٣٦ .

الصاحب بن عباد ، وهو على ثقة من أنه لن يعود بخفى حنين ، بل يكل مايتمناه من حسن الضيافة والكرم وكثرة العطايا ، لذلك قال :

سأنتاب الوزير فإن أتيحت ... زيارته وساعدت القضايا
أنل ماشئت من كرم لديه ... وأحظ بما أردت من العطايا (١)

ويقصد أبو الشمقمق يزيد بن مزيد والى اليمن فيمدحه ، منهيا قصيدته ببيت يؤكد له فيه أنه سينال عطاء أميره دون ريب ، لأنه ماعهد فيه أن استمع مدحا دون مقابل البتة لهذا قال مؤكدا :

ولقد أتيتك واثقا بك عالما ... أن لست تسمع مدحة بنسيه (٢)

ويجزع أبو الرقعمق ، فيطمئن نفسه القلقة بأن مصدر فزعه ليس بحقيقى طالما هناك الأمير المغدق ، الذى تتكسر من عطاياه كل عثرات الزمان ، وأنه سيعطيه فى أى وقت يطرق فيه بابه قائلا :

أقول للنفس لما استشعرت جزعا ... وبات يردعها خوف وتحذير
إن الامام نزار أمدحه فثقى ... ذخر لمثلك عند الله مذخور
هو الذى ليس بعد الله من أحد ... سواه فى الناس محمود ومشكور (٣)

والمكدى المادح عندما يقابل هذه النماذج السابقة من أهل الجود والكرم ، يترك لنفسه العنان فى الطلب ، فهم مطلب عزيز بالنسبة له ، لذا عندما يلوذ بهم لايفوت على نفسه فرصة الاغتنام منهم ، بل يعمل كما قال ابن أبى البغل :

فى انقباض وحشمة فإذا ... صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها ... وقلت ماشئت غير محتشم (٤)

---

(١) ديوان بديع الزمان ٨٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٣٦٦/٦ / شعراء عباسيون ١٥٣ .

(٣) يتيمة الدهر ٣٢١/١ .

(٤) المنتحل ٦٧ ، ٦٨ .

والشاعر المكدى عبر البيتين السابقين صريح مع نفسه ، فمقابلة هذا الصنف من الناس يحمسه ويستثيره حتى أنه لايستطيع كبح جماح نفسه عند الطلب ، ولكنه لايتخذ طريقا واحدا فى الحصول عليه ، بل له أكثر من طريقة تتنوع بين الاستماحة أو القطع أو تحديد المطلوب .

وترتيب طلبات المكدى من ممدوحه عبر قصيدته المدحية ، تأتى حسب احتياجاته والتى تبدأ غالبا بطلب منزل يأويه من ليل طويل بما يحمله من مخاوف وهواجس وشدة الإحساس بحرارة الجو أو رطوبته ، أو بطلب إصلاح عطب به ، مستغلا بذلك وقوفه بين يدى ممدوحه ، مضمنا مايريد عبر أبياته المنظومة ، كقول ابن الحجاج الذى طلب من مادحه خيشا يصنع منه خيمة تقيه لظى حر شديد يلفح الوجوه فى نهار شديد القيظ :

يا أحرص الناس على مبعر ... يدق مستنجا بالفيش

حتى متى تتركنى فى لظى ... حر حزيران بلا خيش [1]

ويحرم البديع من نوم مشوب بالراحة والاستقرار بعد أن افتقد الدار ، فمدح أحد الأمراء طالبا منه عبر أبياته أن ينعم عليه بما افتقده قائلا :

ياسيد الأمراء مالى خيمة ... غير السماء إلى ذراها التجى

كتفى بعيرى إن ظعنت ومفرشى ... كمى وجنح الليل مطرح هودجى [2]

ولما كان هذا حاله ، طلب من أحد أصدقائه أن يرسل إليه وقودا كى يعينه على هذا البرد الشديد ، وذلك عندما أرسل إليه هذا الكتاب قائلا له[3] (كم لله من عبد إذا جاع ، حبر الأسجاع ، وإذا اشتهى الفقاع[4] كتب الرقاع ، وهذا تشبيب بعد تسبيب ، قد عرف الشيخ برد هذا المبرد[5] ، وخروجه عن سوء العشرة

---

(١) يتيمة الدهر ٦١/٣ . (٢) ديوان بديع الزمان ١٦ .

(٣) كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان ٢٣٦ .

(٤) الفقاع : اسم للشراب ، سمى فقاعا لما يرتفع فى كاسه من الزبد .

(٥) المبرد : يريد به اللسان أو القلم أو الرجل الملحف فى السؤال .

عن الحد ، فإن رأى أن يلبسني من الحطب اليابس فروة ، ويكفيني من أمر الوقود شتوة ، فله التدبير فيّ ذلك ثم التخيير في الشكر والسلام) .

وتعطب أحواض المياه عند ابن الحجاج ، فيكتب إلى بعض الوزراء أن يعينه على إصلاحها وبخاصة أن امرأته قد أقلقته بشأنها ، فطمأنتها معلما إياها بأن أميره الممدوح لن يتركه وهو على حالته هذه ، بل سيتكفل بالأمر جميعه ، لذلك قال :

خلى فيما أنت بعـــــذوره ولا على نصحك مشكـورة

أذاك كم يصدع قلبي بـــــه وإنما قلبـي قـــــاروره

في كل شئ أنت باهــــله مغمومة بي غــير مسرورة

حتى مسناتي التي أصبحـت وهـي خـراب غـير معمورة

أيتها المرأة لاتقلقــــــي من قبل أن تستعملي الصورة

لي سيـــد أضحـت عنايتـه على مسناتي موفـــوره (١)

ناهـدته فيـــها على أنهـا تجعل بالصاروج كافــوره (٢)

مني أنا لاشئ ومن سيــدي الـ آجـر والصناع والنـــوره (٣)

وينتقل المكدي المادح من تضمين قصيدته من طلب خاص بالمنزل وشئونه، إلي مايصلح من هندامه ولباسه وشكله العام ، وهذه الأشياء تعوزه بصفة خاصة حتى لو كان مادحا على بلاط وقصور الأمراء والقادة. فلا يداخله الحرج من أن يطلب شيئا غير مألوف لهم كجبة أو مركوب إلى غير ذلك ، على حين جرت العادة أن يطلب المادح من ممدوحه آلاف الدراهم ، أو يهبه ضيعة من ضياعه ، ولكن أن يطلب شيئا هو في حد ذاته غير ذات قيمة فهذا لم يسبق إليه من قبل ، لينتقل بذلك المكدي بالمديح نقلة جديدة تتناسب مع طبيعة شخصيته، حيث البساطة في

---

(٢) المسناة : أحواض المياه .

(٢) الصاروج : النورة وأخلاطها .

(٤) يتيمة الدهر ٣/٥٨ـ ٥٩.

الطلب ، وليس المغالاة فيه ، فهذا ابن الحجاج يمدح أحد الرجال المشهورين طالبا منه مركوبا وعده به وهو على جناح سفر ، قائلا له :

ياسيدى دعوة ذى رحلـــــة　　مقصر فى الجرى مسبـــوق
والقوم قد صح بهم عزمهـــم　　وضربوا بالطبل والبـــوق
وضمروا للسير أفراســهـــم　　وفرسى الأشهب فى زيقـــى
بل لـــى كميت مارئى مثلـه　　ياسيدى قط لمخلـــوق
كأننى فى متنه راكبـــا　　دالية فى رأس زرنـــوق
مافى فضل لا ولا فيه لـــى　　لأننى وهو على الـريـــق (١)

ويشتد به البرد القارص ، فيطلب من بعض الرؤساء أن يهبه عمامة تقيه ويلات هذا الزمهرير الشديد ، الذى دمى منه قفاه ، مستكملا بذلك بعضا من الرغبات المكدية الغريبة وذلك عندما مدحه قائلا :

يامن له معجزات جـــود　　توجب عندى له الإمامـــه
مالى إذا ما الشمال هبـــت　　قامت على رأسى القيامـــه
ودميت فى القفا عيـــون　　بالطول فى موضع الحجامـــه
أظن هذا من أجل أنـــى　　فى البرد أمشى بلا عمامـه (٢)

وتبلى ثيابه فلا يجد طريقا إلا هذا الممدوح الذى طالما ألبسه وتوجه بكثير من نعمه طالبا منه ما يستر به عورته عندما مدحه قائلا :

فياملبسى النعمى التى جل قدرها　　لقدأخلقت تلك الثياب فجدد (٣)

ويستحث البديع ممدوحه من أجل أن يرسل له خلعة ، بعد أن قصر فى وصله بالجود والعطية ، مستعطفا إياه بذكاء المكدى المعهود . أن يجود عليه بها

---

(١) المرجع نفسه ٦٠/٢ ، الزرنوق : منارتان تبنيان على رأس البئر.

(٢) نفسه ٥٩/٣

(٣) المنتحل ٧٠.

ليشهد شكره ومديحه له كما عهده من قبل ، وذلك عندما كاتبه قائلا [1] (أين تكرم الشيخ العميد على مولاه ، وكيف معدله إلى سواه ، أيقصر فى النعمة لأنى قصرت فى الخدمة ، إذا قد أسأت المعاملة ، ولم تحسن المقابلة ، وعثرت فى أذيال السهو ، ولم تنعش بيد العفو ، أم تقول إن الدهر بيننا خدع ، وفيما بعد متسع ، فقد أزف رحيلى ولاماء بعد الشط ، ولاسطح وراء الخط [2] ، أم ينتظر سؤالى وإنما سألت يوم أملته ، واستمحته حين مدحته واقتضيته وقت أتيته ، وانتجعت سحابه لما أتيت بابه ، وليس كل سؤال أعطنى ، ولا كل الرد أغننى ، أم يظن أنى أردصلته ولا ألبس خلعته ، وهذه فراسة المؤمن إلا أنها باطلة ، ومخيلة العرف إلا أنها فاسدة ، أم ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها ، وأرضا للمنة يزرعها ، فلا أقل من تجربة دفعة ، والمخاطرة بإنفاذ خلعه ، ليخرج من ظلمة التخمين ، إلى نور اليقين ، ولينظر أأشكر أم أكفر) .

ويعوز المكدى فى كثير من الأحايين الحاجة إلى المال ، لذا ينظم فى مطلبه هذا مايبثه فى قصيدته المدحية الموظفة ، مستكملا بذلك جانبا آخر من الجوانب التى يطلبها من ممدوحه ، فهذا ابن الحجاج يتنجز من ممدوحه الدراهم قائلا له بعد أن بدأ قصيدته بمدح وجه معطيه معقبا بعدها بمطلبه :

ياقمرا فى تمامه طلعـــــــا	هذا رسولى إليك قد رجعــــا
فى غاية الحسن والدماثة وال	نعمة والظرف والجمال معـــا
عن طيب معناه فى لطافتـــــه	كأنه فى الكنيف قد وقـعـــا
وهو يحب الصرار يفتقهــــــا	ويشتهى أن يجمش القطعـــا
فاحسم بختم القرطاس مقطعـه	وامنع يديه عليه أن تقعــــــا
واردده من همة بختمكــــــــه	كأنه بالفلوس قد صفعـــــــا [3]

---

(١) كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) الخط : هو الطريق المستطيلة وسيف البحرين ومرفأ السفن بالبحرين

(٣) يتيمة الدهر ٣/٦٠.

ويجسم البديع حجم عطيته ، حين طلب من ممدوحه أن يهبه عند كل نظرة منه بدرة من ماله ، وذلك عندما قال لخلف بن أحمد :

وفى خلف إن ألحقتنا يد المنى ... لنا خلف لايخلف الظن ماطره
فلما وردنا موسم الملك أقبلت ... وفود الغنى واستقبلتنا بوادره
أيا جابر العظم المهيض لقاؤه ... ولايجبر العظم الذى هو كاسره
أتأمر لى ببدرة كل نظرة ... إلى الشغل باستيفاء ماأنت آمره
فإن يك بحرا أغرق الناس ماؤه ... فإنك بحر أغرقتنى جواهره (١)

وكعادة المكدى من حيث غرابة مطلوبه ، نلحظه ينتقل من خلال قصيدته المدحية من الأغراض الأساسية التى تلزمه فى حياته من بناء منزل ، أو إصلاح عطب فيه ، أو طلب لباس ، أو شئ يمتطى ، أو مال ينفق ، إلى آخر ليس بشديد الحاجة إليه ، وغير متداول بين المادحين ، وهو يتعلق بمزاجه الشخصى ، وهذه سمة أخرى فيه. فقد عرف عنه المجون والخلاعة التى تميزه عن غيره من أهل الطبقات الأخرى ، لذا يقترن الخمر ببعض أهله كابن سكرة الذى طلب من ممدوحه نبيذا يكون رفيقه فى ليلة العيد قائلا :

يافتى الجصاص قد أعـ ... ـدمتنى الإحساس دفعه
ولزمت الشح بالـ ... ـراح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوى ... فيه يامولاى بدعه
أملى فيك قريب ... ليس فيه لى منعه
شربة من خمرك الصافى ... ومن ندك قطعه (٢)

ويدفع برسوله إلى أحد الممدوحين ، مشترطا عليه أن يعطيه ملء دن إذا رغب فى أن يمدح ويمجد اسمه قائلا :

---

(١) ديوان بديع الزمان ٣٢ - ٣٢.
(٢) يتيمة الدهر ٢١/٣.

إن كنت تنشط للمديـــــح وللثناء عليك منــــى
فابعث إلىّ مع الرســـول إذا أتاك بـــــل، دن
ومتى رضيت بأن أقطـــــع أو أهجن أو أزنــــى
فاصرف رسولى خائبـــا وادفع بقبحك حســن ظنـــى (١)

ويطلب من ممدوحه أن يعينه على استكمال لذته قائلا :

يامن ثناه وذكـــــره بين الورى مسك وعنـــبر
إنى كتبت وزائـــــرى ظبى مليح الدل أحـــور
متمنع فى الصحو يسمـــح بالبضاعة حين يسكـــر
وأرى تعذر أمـــــره فى الكف إن سكر تعـــذر
فامنن على بقهـــوة أنف الحبيب بها يعفـــر (٢)

وهكذا عبر النماذج السابقة استطاع المكدى المادح أن يوظف قصيدة المديح بمايتناسب مع مصلحته الشخصية فى نيل بعض مايريد ، وإن كانت مطلوباته تحمل غرابة من حيث شكلها وطبيعتها ، إلا أنها تعوزه لذا يريدها ويبثها عبر مديحه ، مستغلا جود ممدوحه وسرعة عطيته واستجابته لمايريد .

والمكدى المادح عندما يعطى لاينكر العطاء ، بل يحفظ لممدوحه هذا الصنيع وينظم من الأبيات مايشيد بذلك ، بل يزيد عليه عقد مقارنة بين حالة قبل العطاء وبعده ، فأبو الرقعمق مثلا عبر هذين البيتين يشكر ما المعطية من أياد منّ بها عليه وكانت سببا فى نعته ، لذلك قال له شاكرا :

فكم منن قرنت بهن شكـــرا كشكر الروض منهل الغـوادى
وكم لك يامحمد من أيـــاد لدى ومن جميل وافتقـــاد (٣)

---

(١) المرجع السابق ٣/٢١.
(٢) نفسه ٣/٢٠ - ٢١.
(٣) نفسه ٣/٢٣٣.

ويقول فى ممدوح آخر أعانه على حاله ، وغمره من بعد عسر يسرا ، شاكرا إياه على صنيعه هذا ومادحا شخصه قائلا :

فى كل يوم له نعمى مجـــددة   ليست إذا طلعت علينا بآفلـــة
مازال يتبع معروفا بعارفـــة   جودا ويجهد نفسا فى معاونتـــى
حتى رأيت صروف الدهر عائذة   من بعد ضربى وحربى بالمسالمة (١)

ويشكر ثالثا لكونهِ استعدى به على الأيام ، فهو بحر جود لاشبيه له فى الخلق ، لذا نظم فى مدحه مايجعله قائلا وشاكرا فى نهاية أبياته :

ملك مذكان بالسـطـ   ـوة ممنـــوع حـمـــاه
بحر جود ليس يـــدرى   أين منه منتـهـــــاه
لم يضع من كان إبـــرا   هيـــم فى الناس رجاه
لا ولايفرق من صـــر   ف زمـــان إن عـــراه
من به أستكفى أذى الأيـ   ـام والـــدهر كـــفاه
كيف لا أمدح مـــن لـم   يخـــل خلـــق من نـداه (٢)

ويشكر ابن الحجاج ممدوحه لكونه وصله وقربه من باب ، وجعله من حظاياه، بعد أن كان منبوذا طريدا ، وأغدق عليه من النعم ، وألبسه ثوب العز بعد أن كان ممزقا ، وذلك عندما قال :

أنت علمتنى المدائح حتـــــى   صرت فيها مجودا مطبوعـــا
أنت واصلتنى وكنت علـــــ   ـى الباب طريدا مبعدا ممنوعـــا
أنت جددت ثوب عزى وقد كـ   ـان لبيسا مفتتا مرقوعـــا (٣)

وتشهد أضراس الشاعر بجود بنى حمدان وصنيع فعالهم ، فحاول أن يترجم

---

(١) المرجع السابق ١/٣٣٢.
(٢) نفسه ١/٣٢٠.
(٣) تكملة تاريخ الطبري ١١/٤٥٢.

هذه الشهادة الملموسة إلى أبيات منظومة ، فقال لبعضهم شاكرا ومادحا كرم واحد منهم :

فتى يغير المدح فـــى داره ... على صناديق وأكيـــاس
ذقت ندى راحته مـــرة ... فطعمه فى جوف أضراسى [1]

ويتدخل الحسود بين الشاعر وأحد ممدوحيه ، معكرا صفو الوداد والعطاء بينهما ، فينظم له من خلال هذه الأبيات مايؤكد عبرها اعترافه بجميل لاينكر ، وإحسان جعل من حياته كالبستان المزهر ، قائـــلا :

سيدى والذى يقيك من السـو ... ءيمينا من أوكد الأيمـــان
لاجحدت النعمى لأكفر إحسانـك ... عندى يادائم الإحســـان
أنا فى نزهة من العيش فى ظـلـ ... ـك طول الحياة كالبستـــان
ذات زهر فيه البنفسج والنرجـس ... معه شقائق النعمـــان
جالس فى تبظرم ترك الحاســد ... يقلـى بعراستـه بورانـى [2]

ويفدى الشاعر ممدوحه بمهجته لأنها أعز مالديه فهو أساس نعمته ، لكونه أغدق عليه النعم بأنواعها اللباس والطعام حتى كفاه غيره لذلك قال فيه :

فديت عز الدولة المرتجـى ... بمهجتى إن قبلت مهجتـى
من أنا فى عيلة إحسانـه ... وفقر أهلى فى عيلتـى
ثيابه فى سفطى بيتهـا ... وخبزه مأواه فى سلتـى
جراية أصبحت فى رزقهـا ... فى كل يوم أجتبى غلتـى
وكان جوفى بالخوى مأتمـا ... فاليوم بيت العرس فى معدتى [3]

وعلى هذه الصورة من الاعتراف بالجميل وتقدير الممدوح المعطى ، نظم المكدى ما أشاد بجود ممدوحه ، ولأنه يهتم فى المقام الأول بمقدار هذا الجود

---

(١) يتيمة الدهر ٦١/٣.
(٢) نفســه ٩٤/٣.
(٣) نفسه ٩٣/٣ - ٩٤.

والعطاء ؛ كان يعقد مقارنة أساسها المفاضلة بين أصحاب العطاء ، وهو من خلالها يميل إلى الجانب المغدق كثير الهبات ،كهذه المقابلة التى نظم من خلالها أبو الشمقمق مقارنا بين جود مالك الخزاعى وسعيد بن سلم :

قال لى الناس زر سعيد بن سلم — قلت للناس لا أزور سعيـــدا

وأميرى فتى خزاعة بالبصـــ — ـرة قد عمها سماحا وجـــودا

ولنعم الفتى سعيد ولكـــــن — مالك أكرم البرية عــــودا (١)

ولقد تدفعه هذه المفاضلة أن يذم أحد الممدوحين فى مقابل الآخر ، من منطلق أن الضد يظهر حسنه الضد ، لذا نجد أبا الشمقمق يسير على هذه الطريقة فى مديحه ، حيث الإشادة بجود مالك السابق جعلته يذم سعيد بن سلم لكونه حرمه العطاء والطعام ، لذلك قال :

قد مررنا بمالك فوجدنـــــا — ه جوادا إلى المكارم ينمـــى

مايبالى أتاه ضيف مخـــف — أم أتاه يأجوج من خلـــف ردم

فارتحلنا إلى سعيد بن سلـــم — فإذا ضيفه من الجوع يرمـــى

وإذا خبره عليه (سيكفيـــ — ـكهم الله) مابدا ضوء نجـــم

وإذا خاتم النبى سليمـــا — ن بن داود قد عــــلاه بختـــم (٢)

ويبدو أن أبا الشمقمق قد تفرد بهذا اللون من المفاضلة ، لذا نجده أيضا يمدح يزيد بن مزيد ويفضله على يزيد بن حاتم المهلبى ، لكون الأول صاحب المكارم والمجد المتفرد فى كل شئ ، على حين يأتى على نقيضه يزيد بن حاتم ، لذلك نظم مادحا الأول وذاما الثانى قائلا :

لشتان مابين اليزيدين فى الندى — إذا عد فى الناس المكارم والمجـــد

يزيد بن شيبان أكرم منهمـــا — وإن غضبت قيـــس بن عيلان والأزد

---

(١) الكامل ٧/٣ ، رغبة الأمل ١١٢/٦ ، شعراء عباسيون ١٣٤.

(٢) نفســـه ٦/٣ - شعراء عباسيون ١٥٠.

فتى لم تلده من رعين قبيلـــة ولا لخم ينميه ولم ينمـه نـهـد
ولكن نمته الغر من آل وائـــل وبره تنمية ومن بعدها هنـــد (١)

وإذا كان المكدى قد فاضل بين عطاء كل ممدوح يفيض عليه بكرمه ، فإنه بكى بكل مالديه من دمع على صاحب عطاء كان يغدق عليه كلما أعوزه الدهر ، ورحل عن عالمه حيث الأرض التى لارجعة منها ، تاركا إياه فى حيرة من أمره بعد أن وطن نفسه على عطاياه المستمرة ، تاعيا حظه من زمن جائر ، يكشر عن أنيابه بعد تبسم ، لذلك تأسف ابن سكرة على أيام الوزير المهلبى ، الذى كان ينعشه بعطاياه المستمرة قائلا فيه :

مضى ملك عم البرية جـــوده رءوف وإن راع الأسود شفيـــق
سكرت بنعماه وجود وزيـــره فقالت لى الأيام سوف تفيـق (٢)

ويبكى عليه مرة أخرى بعد أن أحس ويلات فراقه وذاق على إثر موته الذل والهوان وخيل إليه بأنه قبض أيضا كممدوحه ، فإذا كان قد حرم الحياة بالجسد والروح ، فإنه حرم مايعينه على حياة الجسد والروح ، فكلاهما فى مصير واحد ، لذا قال :

لاعذب الله ميتا كان ينعشنى فقد لقيت بضرى مثل مالاقـــى
طواه موت طوى منى مكارمه فذقت من بعده بالموت ماذاقا (٣)

ويهجر الشاعر لذاته ومتعه بعد رحيل ممدوحه ، واعتقد أنه هجر لايحمل معنى الوفاء الصادق ، ولكنه لضيق ذات اليد ، فالمغدق بالعطية رحل عن دنيا الشاعر المكدى ، وليس هناك مفر عن العزوف عن التمتع واللذات لحاجتها إلى المال لذا قال :

---

(١) شعراء عباسيون ١٣٣.
(٢) يتيمة الدهر ٣/٢٤.
(٣) نفسه ٣/٢٤.

طلقت للذاتي الثلاث فمـــا بيني وبين اللهو من سبـــب

فإذا بصرت بوردة قنعــت نفسي بها وقضت مدى أربي

فعلى السرور وكل فائـــدة بعد الوزير سلام محتســب [1]

وينعى أبو الرقعمق من خلال أبياته التالية ممدوحه ، الذى بفقده ذهب الهمام الماجد ، والكريم بلا حساب ، وجميل الفعال ، ومحمود الصفات ، والمغدق دائما عليه وغيره لذا قال :

أبعد وفاته يدعى همـــام لخطب أو يقال بقى كريـــم

كأنا يوم منعاه إلينــــا وقد فتكت بأنفسنا الهمـــوم

ثواكل حزنهن على الليالـــى وإن قدم المدى حزن مقيـــم

وكان ربيعنا فى كل محـــل إذا ضنت بوابلها الغيـــوم

جميل الفعل محمود السجايا يزين فعاله كرم وخيـــم [2]

وبعد نستطيع أن نتبين ملامح القصيدة المدحية عند الشاعر المكدى من خلال ماسبق ، فهى تختلف كثيرا عن مثيلاتها فى الشعر العربى ، لما بينهما من فروق، فالقصيدة عند المكدى ذات موضوع واحد هو المديح من أجل الاستجداء فقط ، بينما قصيدة المديح العادية متعددة الموضوعات ومن بينها المديح ، ويميزها جزالة الألفاظ والعبارات ، على عكس قصيدة المديح عند المكدى ، والتى تختفى فيها السمات السابقة والتى تميز غالبا قصيدة المديح .

وقصيدة المديح عند المكدى موظفة فى أحايين كثيرة ، فغالبا مايضمنها عبر أبياته المنظومة مايحتاجه من ممدوحه ، وله فى ذلك طرق عدة ، كأن يصرح بالطلب أو يستميح ، أو يقطع بالعطية ، أو يستخدم التورية فى أحيان أخرى ، وطلبات

---

(١) المرجع السابق ٢٤/٣.

(٢) نفسه ٣٣١/١.

المكدى تختلف عن المألوف عند المادحين الآخرين وهو بذلك يتفرد عنهم من حيث قيمة المطلوب وشكله .

وأخيرا فالمكدى لايجحد نعمة ممدوحه ، بل يلهج بها ، وينظم فيها من الأبيات ماتشيد بمعطيها وتخلده ، ولكنه فى بعض الأحيان يفاضل فى العطاء بين أكثر من ممدوح مرجحا كفة الأكثر ، واقفا بذلك فى صف المعطى المغدق على القليل المقتصد ، بينما يبكى فى نهاية أمره بملء عينيه وبغزارة عندما يفقد أحدهما بعد أن يرحل إلى ربه ، حيث هما مصدر رزقه وقوته ، وماحياته إلا من أجل المال وطلبه ومن يحجبه عنه يشحذ من لسانه مايقتص به من دهره ورافض عطائه ، وهذا هو الموضوع التالى الخاص بالهجاء عند المكدى .

الفصل الخامس

الهجاء

تعارف الناس فيما بينهم على أن أهل الكدية إنما يتهاجون ويتسابون تصنعا حتى ينالوا دراهم العامة ، وعلى الرغم من أن هذه المقولة تحمل بعضا من الحقيقة إلا أنها لاتصورها جميعا ، فالمكدى بطبعه يصنع أى شئ لينال مال غيره ، حتى لو كان الطريق المؤدى إلى ذلك هو إضحاك الآخرين عبر هجوه لصحبه وأقرانه من أهل طائفته ، ولكنه فى الوقت نفسه لايهجو لهذا السبب فقط . فالهجاء عنده له أغراضه المختلفة ، والتى يتصدرها حجبه عن نيل مايريد من عطاء ، لذا فهو يستخدمه كرد فعل عنيف لكل من وقف أمامه ورفض أن يعطيه مايريد .

ولقد اشتهر من أهل هذه الطائفة مجموعة من شعراء استخدموا الهجاء وسيلة للنيل من مال الناس ، كابن الحجاج الذى حصل على معظم ماله من التشهير بالآخرين [1] ، وابن لنكك البصرى الذى عرف بين الناس بولعه بهجاء شعراء عصره لابتزاز مالهم [2] ، بينما يصل هجاء المكدى إلى قمته على يد أبى الشمقمق الذى ملأ أهاجيه بكل الألفاظ الخارجة والبذيئة [3] ، واستطاع أن يقتص من كل من يقترب منه سواء كان من العامة أو الخاصة .

والهجاء عند المكدى له معانيه ، والتى تدور حول النيل من مهجوه عن طريق الربط بينه وحيوانات عصره ، كالكلب أو التيس أو الفيل إلى غير ذلك ، أو هجوه بألفاظ خارجة سواء جنسية أو متعلقة بالقاذورات ، كهجاء أبى الشمقمق لأحد السادة وتشبيهه له بالكليبة القلطية قائلا :

أهل جود ونائل وفعـــــال　　　غلبوا الناس بالندى والعطيـــة

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية١/٢٤٩ .

(٢) معجم الأدباء ١٩/٦ .

(٣) العصر العباسى الأول ٤٣٧ .

جئته زائرا فأدنى مكانـــي وتلقى بمرحب وتحيـــــــــــة

لاكمثل الأصم حارثه اللـؤ م شبيه الكليبة القـلـطيـــــة (١)

جئته زائرا فأعرض عنــي مثل إعراض قحبة سوسيـــة (٢)

ويتفنن فى رسم ملامح مهجوه الثانى بصورة يستبشعه على إثرها كل من يراه للوهلة الأولى ، فالوجه كالكلب أو التيس الضروط ، والبطن متسع يضل فيه الفيل على الرغم من حجمه المعروف ، بينما ترتسم على الوجه علامات فقر متأصلة ، حتى إذا تبارى الناس إلى المعالى نهض الكرام ، وهبط مهجوه إلي أسفل ، لهذا قال :

ألا قولا لسران المخـــازى ووجه الكلب والتيس الضروط

له بطن يضل الفيل فيـــه ودبر مثل راقود النشـــوط (٣)

ولحية حائك من باب قلــب موصلة الجوانب بالخيـــوط

له وجه عليه الفقر بـــاد مرقعة جوانـبـه بقـــوط

إذا نهض الكرام إلى المعالى ترى سران يسفل فى هبـوط (٤)

وتطالعنا صورة جديدة لمهجوه الثالث ، الذى جسمه عبر أبياته بصورة مضحكة ، حيث أفسح له الطريق ليمشى رويدا كالخنزير ، وجعله من سلالة حيوانية وضيعة ، فهو ابن عم الحمار الذى تضخم حتى أصبح مكتنز اللحم كالفيل، وخال الجاموس والبقرة ، ثم هو الأحمق النتن وذلك عندما قال :

الطريق الطريق جاءكم الأحـــ ـمق رأس الأنتـــان والقـذره

---

(١) القلطية :القصير المجمتع من الكلاب .

(٢) الحيوان ١٦٣/١ ـ شعراء عباسيون ١٥٣ .

(٣) الرقود : دن كبير أو طويل يسيع داخله بالقار . النشوط : سمك يقر فى ماء وملح

(٤) الحيوان ٢٦٣/١ ـ ٢٦٤ .

وابن عم الحمار فى صورة الفيـ ـل وخال الجاموس والبقـــره

يمشى رويدا يريد حلقتكـــم كمشى خنزيرة إلى عـــذره (١)

ويربط بين الشكل الحيوانى والرائحة الكريهة عندما يهجو هذا الرجل زيادة فى السخرية منه ، فاللحية كالتيس ، وشكل الفم كمنقار النسر ، وله رائحة كريهة كالليث والصقر لذا هجاه معلما من لايعرفه بأنه يبدو :

وله لحـــيـــة تيـــس وله منـقـــار نســـر

ولـه نكـهــة ليـــــث خالطت نكـهـــة صقـــر (٢)

وهكذا استطاع المكدى عبر أبياته المنظومة السابقة أن يصور مهجوه بطريقة تثير السخرية والمسخ ، حيث أخرجه من الآدمية إلى الحيوانية ، ونعته بصفات يرفضها المجتمع ، وهو عبر هذه النقلة يهجوه له أسبابه ودوافعه التى سوغت له أن يهاجم بهذه الضراوة ، وأن ينعته بهذه البشاعة ، والسبب الرئيسى يكمن فى رفض عطائه بكل أشكاله ، فقد خرج إلى السواد الأعظم جاعلا من الاستجداء والتسول مهنته التى تدر عليه المـــال ، ولن يحصـــل على هـــذا إلا من خلال أناس استعطفهم ، وصنع من حيله وفكاهاته ما أدخل عليهم السرور والبشاشة ، فجادوا بما يملكون ، ولكن إذا كان العكس فليس أمامه سوى لسان سليـط .

والمكدى لم يقصر هجوه على شخصيات بعينها ، وإنما تعددت اتجاهاته الهجائية لقطاعات مختلفة من الناس ، وأول من اتجه إليهم بهجوه ، من يعيش بينهم من الأهل والعشيرة ، أولئك الذين ضنوا عليه بخيرهم ومالهم ، وهو فى أشد الحاجة إليه ، لذا عبر من خلال أبياته عن ضجره وضيقه من هذه الجماعة المقترة ، التى ضاقت به ورفضت مساعدته كقول أبى فرعون فى قومه :

إن عديا نفشت لحـــاهـــا وظلمـــت فى حقها أخاهـــا (٣)

---

(١) المرجع السابق ٢٣٩/١ ، شعراء عباسيون ١٣٨ .

(٢) رغبة الأمل ١٧٦/٦ / شعراء عباسيون ١٣٥ .

(٣) الورقة ٥٨

ويرى الأحنف أن قوما هذه صورتهم ليسوا إلا مجموعة من السفلة ، لذا عقد مقارنة تصاعدية بين مراتب ثلاث مرّ بها ، عذل العذول ، وصدود المحبوب ، وطلب النوال من السفل ، ووجد أن الأخيرة أشد من سابقيها ، لذلك قال :

أقضى على من الأجـــــل	عذل العذول إذا عـــــذل
وأشد من عذل العـــــذو	ل صدود إلف قد وصـــــل
وأشـــد مـــن هـــذا وذا	طلب النوال من السفـــل (١)

ويرى ابن لنكك أن هذه الجماعات تشبه من حيث عدم جدواها وقلة كرمها ، وإغداقها العطايا على المكدى بالسحاب غير المطر ، وشجر السرو الطويل الخالى من الثمر ، لذا حذر جمع الناس من أن تنخدع بالشكل دون الجوهر ، هاجيا هذا الصنف من البشر قائلا :

لا تخد عنك اللحى ولا الصور	تسعة أعشار من ترى بقـــر
تراهم كالسحاب منتشـــــرا	وليس فيه لطالب مطـــــر
فى شجر السرو منهم مثـــل	له رواء وماله ثمـــــر (٢)

وينتقل المكدى من هجائه للعشيرة والأهل إلى نمط آخر ، هو من يرفض الاستجابة لطلبه كمتسول طواف ، والهجاء هنا له شكل يختلف عن سابقه ، لأنه أشد وقعا وضيقا ، والمكدى يضمنه مايدور من حديث بينه ومهجوه ، ويتخذ من بعض كلماته إشارة البدء للنيل منه ، والاقتصاص من بخله ، ويستخدم فى بعض الأحيان كلمات تدل على معنى السب ، مع قدرة فائقة على تجسيم الحالة النفسية لمهجوه ساعة الطلب ، وأحد نماذج هذا اللون من الهجاء نشهده مع هذا المستجدى الذى وقف على جماعة من الناس يشكو لهم سوء حاله ، فلم ينل شيئا فقال فيهم:

---

(١) المنتظم ١٨٥/٧ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٥٠/٢ .

قد ضاع من يأمل من أمثالكم ... جودا وليس الجود من فعالكم
لابارك الله لكم فى مالكم ... ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالفقر خير من صلاح أمركم (١)

إن رفض العطية يتضح عبر هذه الأبيات من خلال هذا الحزن الشخصى البادى على المكدى ، والذى صبه على رؤوس سامعيه لينال منهم ومن بخلهم ، بل وصل إلى حد أن اتجه بأبياته إلى الله كى يحرمهم من بركة المال ، وسلامة الولد ، وأن يركنوا إلى فقر دائم يكون عوضا عن نعيمهم الممنوع .

ويمر أحدهم على دار عجوز قارعا بابها ، طالبا بعضا من خيرها ، فتأمره بالرحيل لأنها لاتجد ماتجود به ، فيضيق من ردها المشوب بالرفض ، وينظم متضررا ومتعجبا :

رب عجوز عرمس زبون ... سريعة الرد على المسكين (٢)
تحسب أن بوركها يكفينى ... إذا غدوت باسطا يمينى (٣)

وتتكرر صورة الرفض السابق مع متسول آخر ، وإذا كان قرينه فى المرة السابقة قد اكتفى بالتعقيب فقط على عجوزه رافضة العطاء ، فإن هذا أسهب سخرية فى تصوير مدى المعاناه النفسية التى مر بها مسئوله عندما علم بطلبه ، حيث أوشك على الموت ، بل ظنه المكدى كذلك ، وكاد أن ينعيه لولا أنه أدرك مدى بخل مهجوه فأخبره أنه سيعفيه من مسألته ، رادا بذلك إليه روحه قائلا :

كدحت بأظفارى وأعملت معولى ... فصادفت جلمودا من الصخر أملسا
تشاغل لما جئت فى وجه حاجتى ... وأطرق حتى قلت قد مات أو عسى
وأجمعت أن أنعاه حين رأيته ... يفوق فواق الموت ثم تنفسا
فقلت له لابأس ، لست بعائد ... فأفرخ تعلوه الكآبة مبلسا (٤)

---

(١) العقد الفريد ٣/٤٣٤ .

(٢) العرمس : الناقة الصلبة. الزبون : الدفوع لصلابتها (٣) البيان والتبيين ٣/١٣٧ .

(٤) عيون الأخبار المجلد الثالث (الجزء الثامن) ١٥٣ العائذ: الملتجئ . أفرخ : ذهب روعه مبلسا : حزينا .

والمكدى السائل لايهجو لرفض طلبه فقط ، بل أحيانا يلبى إليه ولكن بصورة لاترضيه ، فيعلن عن غضبه مرة أخرى هاجيا معطيه وعطيته ، كقول أحدهم لرجل أعطاه درهمين فاستقلهما فنظم فيه هذه الأبيات ، جاعلا من اسمه محور هجوه ، مقارنا بين معنى الاسم وفعل صاحبه ، وكيف حوله بصنيعه هذا من الخير والعطاء إلى البخل والتقدير :

جعلت لغمر درهميه ولم يكـــن ... ليغنى عنى فاقتى درهما غمـــر

وقلت لغمر خذهما فاصطر فهما ... سريعين فى نقص المروءة والأجـر

أتمنع سؤال العشيرة بعـــــدما ... تسميت غمرا واكتنيت أبا بحـــر (١)

ويعطى أبو فرعون الساسى على سؤله درهما ، فيــــرى أن هذا لا يسد عوزه ، ولايبلغه مايتمنى ، فهجا صاحب الدرهم ، متندرا على بخله قائلا :

ولايريم الدهر من مكانــــــه ... أشجع من ليث على دكانــه

لايطمع السائل فى رغفانــــه ... أعطانى الفلس على هوانــه (٢)

ومر على تاجر يدعى أبا كهمس ، فسأله فأعطاه رغيفا ، فهجاه وسط قومه لكونه ضن عليه ببعض من كثير عنده ، حتى أن قومه لاموه على أنه عرضهم للسان هذا المكدى الهجاء ، وذلك عندما ذهب إلى مجلسهم مناديا بينهم وقــائلا (يابنى عدى استفحلوا هذا الرغيف ، فإنه أنبل نتاج على وجه الأرض ، قالوا : وماذاك ؟ فأخبرهم)(٣).

وينتقل المكدى من هذا الغرض الهجائى إلى آخر، حيث يطلق سهام هجوه هذه المرة على كل من يحول دونه والعطية، لأنه يرى في ذلك حرمانه من قوت منتظر أو مال متدفق، لذا لايجد مناصا من الهجاء، والنيل من هذا الحائل، كابن

---

(١) المرجع السابق ١٤٣ /العقد الفريد ٤٣٦/٣ /محاضرات الأدباء ٢/ ٦٠

(٢) الورقة ٥٧ .

(٣) طبقات الشعراء ٣٧٥

الحجاج الذى منعه عن الوصول إلى أحد الرؤساء حاجبه ، وتكرر منه هذا الصنيع مرات فقال فيه هذه الأبيات التى رفعها إلى سيده ، شارحا له فيها ماحدث من بوابه ، طالبا الاقتصاص منه بعد أن أصابه بعلة الشفاء منها مضغ قطعة من كبده والارتواء من دمه قائلا :

قولا لمن إحسانه لم يـــزل شفاء علاتى وأوصا بـــى

بى علة تقطع أسبابهـــا من راحة الصحة أسبابـــى

أخفيت مابى اليوم منها فما تطلع الناس على مابـــى

وليس يشفينى سوى نهشة من قطعة من كبد بـــواب

تبيت فيها وهى مشـــوية بالنار أضراسى وأنيابـــى

فامنن بأن تذبح لى واحـــدا بالنعل فى دوارة البـــاب

فنقطـــة مـــن دم أوداجـــه أنفع لى من رطل جـــلاب (١)

ويحجبه هذه المرة عن بغيته بواب أعور ، فقال فيه متعجبا :

سمعت فيمن مات أو بقـــى بمثـــل بـوابـة أعـــور

واللوزة المرة ياسيـــدى يفسد فى الطعم بها السكـــر(٢)

وإذا كان المكدى فى النموذجين السابقين قد ضاق ذرعا من كل حاجب أو بواب فإنه يحمل لكل سيد أضعافا من هذا الضيق ، لكونه يعلم أن الحاجب ماهو إلا أداة بيد سيده ، لذلك وقف بهجائه أمام كل سيد أو شخصية مهمة رفضت تلبية نداء العطاء ، واتخذ صاحبها من حاجبــه أو بوابه ساترا يقيه ويلات السؤال وصحبة لينال منه . كقول أبى الشمقمق فى سيد احتجب عنه :

ومحتجب والناس لايقربونـــه وقدمات هزلامن ورا الباب حاجبه

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٨١

(٢) نفسه ٣/٥٢

إذا قيل من ذا مقبلا؟ قيل لا أحدٌ وإن قيل : من ذا خلفه قيل كاتبه(١)

ويهجو أحدهم والى الرى ـ لأنه سأله فلم يعطه شيئا ـ بأبيات هرب على إثرها من البلاد بغير عزل ، وجاء هجوه بطريقة كاريكاتيرية جعلته موضوعا للتندر والسخرية ، حتى بين الصبية لكونه ركز على حركاته اللاإرادية عند الطلب ، والتى بدأت بسعاله حتى ضراطه ، مع حكة لقفاه ، ومسحه لذقنه . وذلك عندما هجاه قائلا :

أتيت المساور فى حاجـــة فمازال يسعل حتى ضــرط
وحك قفاه بكـرسـوعـــه ومسح عثنونه وامتخـــط (٢)
فأمسكت عن حاجتى خيفـة لأخرى تقطع شرج السفـــط (٣)
فأقسم لوعدت عن حاجتـى للطخ بالسلح وشى النمــط (٤)
وقال غلطنا حساب الخـراج فقلت من الضرط جاء الغلـط (٥)

ويهجو أبو الشمقمق سيده ماسخا إيـاه كعادته فى كثير من هجوه ، مشبها كفيه بالقفل الذى فقد مفتاحه ، ويئس الحداد من فتحه ، وذلك عندما قال فيه :

إن رياح اللؤم من شحـــه لا يطمع الخنزير فى سلحـه
كفاه قفل ضل مفتاحـــه قد يئس الحداد من فتحـــه (٦)

---

(١) طبقات الشعراء ١٢٨ / شعراء عباسيون ١٣٢ . اللاحد : من يدفن الأموات ، ومن يعمل اللحد

(٢) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر .

(٣) الشرج : العرى . السفط وعاء كالقفة .. وشرج السفط كناية عن الإست .

(٤) السلح : النجو .

(٥) عيون الأخبار المجلد الثالث الجزء الثامن ١٥٤ .

(٦) الحيوان ١/٣٥٥ / شعراء عباسيون ١٥٤ .

ويصل بهجوه إلى قمة الشح فى هذه الصورة ، حيث ذهب إليه فلم ينل منه شيئا ، فقال فيه هاجيا بخله وقلة جوده موضحا أن هذا الصنيع طبع فيه لدرجة أنه يرفض العطاء بقطرة من ماء حتى لو ملك البحار بأسرها :

هيهات تضرب فى حديد بـــارد ... إن كنت تطمع فى نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرهـــا ... وأتاه سلم فى زمان مـــدود

يبغيه منها شربة لطهـــوره ... لأبى وقال : تيممن بصعيـــد (١)

وإذا كان المكدى قد وقف من خلال هجائه أمام كل سيد حرمه من جوده ، فإنه فى النماذج التالية نال ممن حرمه الطعام ، لأنه مطلب أساسى بالنسبة له ، فحياته قوامها المال والطعام ، ويتصدر طعامه الخبز ، لذا هجا كل باخل بخبزه وطعامه عليه ، ونظم فيه من المقطوعات مايشير إلى هذا وبطريقة تميل إلى الفكاهة المشوبة بالسخرية ، كقول ابن الحجاج فى رجل دعاه إلى طعام ثم تباطأ حتى جاع وشعر بألم شديد من جراء ذلك :

ياصاحب البيت الـــذى ... قد مات ضيفاه جميعـــا

حصلتنا حتى تمـــو ... ت بدائنا عطشا وجـوعـا

مالى أرى فلك الرغيـــ ... ـف لديك مشترفـا رفيعـا

كالبدر لاترجو إلـــى ... وقت المساء له طلوعـــا (٢)

وتقرقر البطون من الجوع ، بعد أن أحس الشاعر وصحبه بنية صاحب البيت البخيل، والذى قطع البيت ذهابا وإيابا دون فائدة تذكر، مما أثار ضيقه، فقال فيه متندرا:

يارائحا فى بيته وجائيـــا ... من غير مامعنى ولافائـده

قد جن أضيافك من جوعهـــم ... فاقرأ عليهم سورة المائـده (٣)

---

(١) الكامل ٨/٣ . رغبة الآمل ١١٢/٦ . شعراء عباسيون ١٣٤ .

(٢) الإعجاز والإيجاز ٢٣٤، خاص الخاص ١٣٣ ـ ١٣٤ ، يتيمة الدهر ٧٧/٣

(٣) نفسه ٢٣٤ ، يتيمة الدهر ٧٧/٣ .

وينزل على أحد السادة ، فيبخل عليه بطعامه وخبزه ، حتى أنه لايبصر لهما فى البيت من أثر ، فهجا بخله المتمثل فى يبس يده من قلة العطاء قائلا :

ماكنت أحسب أن الخبز فاكهــــة حتى نزلت على أوفى بن منصور

يبس اليدين فما يستطيع بسطهما كأن كفيه شدا بالمسامــيـــــر

عهدى به آنفا فى مربط لهــــم يكسكس الروث عن نقر العصافير[1]

ويهجو آخر لأنه صنع معه كسابقه ، حيث ضن بخبزه ، بل استحال فى نظره الحصول عليه ، لأن مهجوه قد خبأه فى طبقات الجو العليا لذلك قال :

رأيت الخبز عز لديك حتـــى حسبت الخبز فى جو السحاب

وما روحتنا لتذب عـنـــا ولكن خفت مرزئة الذبــاب [2]

ويدعى ابن الحجاج إلى مائدة أحد البخلاء يرافقه صاحبه ، الذى رغب فى أن يطعم مرتين من خبز صاحب الدار ، فقال له مصححا نظرته ، هاجيا بخل داعيه الذى جعل على خبزه ألف رقيب حتى لايقرب أحد منه :

ياسيدى يا أبا الحســـين أنت رقيع بنقطتــــين

ياكلب الضرس مايـــداوى ضرسك إلا بكلبتـــين

ويلك قل لى جننت حتـــى نلتمس الخبز مرتـــين

فى دار من خبزه عليــــه ألف رقيب بألف عـــين [3]

وينتقل المكدى من هجاء الشخصيات إلى هجاء البلدان ، وهذا النوع من الهجاء جاء مصاحبا لتجوالاته ، فقد زار كثيرا من البلاد فطعم فى بعضها ، كما افتقد الخير فى كثير منها أيضا ، لذا لم ينس هؤلاء وأولئك . فإذا كان قد مدح من أطعموه وكسوه وانهالوا عليه إغداقا بدراهمهم ، فقد هجا بلدانا ضنت وأهلها

---

(١) شعراء عباسيون ١٣٦ .

(٢) عيون الأخبار الجزء الرابع المجلد الثانى ص ٣٦ .

(٣) يتيمة الدهر ٧٧/٣ .

بخيرها وإن كنت أرى أنه بهذه الصورة يقع تحت دائرة التعميم الخاطئ ، فلا نستطيع أن نسلم معه بأن بلدانا بأكملها تحمل سمة واحدة هي بخل أهلها دون أن يكون فيها من اشتهر بالجود والكرم ، لذا أظن أن دافعه إلى هذا التعميم إحساسه بالفقد وعدم العطاء ، فلم يترك أحدا دون النيل منه كقول أبى الشمقمق فى بغداد :

ليس فيها مروءة لشريـــف غير هذا القناع بالطيلســان

وبقينا فى عصبة من قريـــش يشتهون المديح بالمجـــان (١)

ويضيق ابن لنكك بالبصرة لكونها خلت من الأحرار وأهل الجود ، وبقيت ليس فيها سوى الحطب والشجر غير المثمر ، لذا هجاها قائلا :

ليـس فى البصـرة حـــر لا ولا فيــــها جـــواد

إنمـــا البصـــرة أنشـــا ب ونخيـل وسمـــاد (٢)

ونصل مع المكدى عبر هذا النمط إلى آخر نوع من هجائه ، والمتمثل فى ذمه للشعراء الذين عاصروه ابتزازا لمالهم ، أو حقدا عليهم ، لكونهم أصابوا حظا من الدنيا لم ينله . وهو يعتمد فى هذا اللون من الهجاء على سلاطة لسانه التى يخافها غيره حتى لو كانوا شعراء مثله يمتلكون القدرة على الصياغة والنظم ، ولكن يعوزهم حدة الألفاظ والقدرة على التهكم والسخرية والتندر ، وهذا كل مالديه ويمتلكه خلال هجوه . لذا خافه الكثير منهم ، بل دفعوا له راتبا شهريا حتى لاينظم فيهم من شعر يضع من قدرهم ، ولقد ضرب أبو الشمقمق بسهم وافر فى هذا المضمار ، فقد هجا معظم شعراء عصره ، ودفعه إلى ذلك حاجته إلى القوت ، وممن هجاهم من الشعراء بشار بن برد ، ومروان بن أبى حفصة ، وسلم الخاسر ، والمنزق الحضرمى ، ويوسف بن الحجاج .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤٦/١٣ ./ شعراء عباسيون ١٥٠ـ ١٥١ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٥٧/٢ / تتمة اليتيمة ١٢٥/٢ .

الأنشاب : جمع نشب وهو الحطب وشجر القسي .

ومعانى الهجاء عنده تدور حول استخدام الكثير من الألفاظ الخارجة للنيل من شاعره المهجو وأهله ، مع التشهير به ، ومن صور الهجاء المتعددة التى أطلقها أبو الشمقمق على بشار مانظمه قائلا :

هللينه هللينـــــــه طعـــن قثـــاة لتينـــــه
إن بشار بـــــن بـــــرد تيس أعمى فى سفينـــــه (١)

ويهدد المزق الحضرمى بأنه فى معركة غير متكافئة معه ، لكونه الأكثر سلاطة فى اللسان ، لهذا فهو قد غرق فى بحر هجوه ، ولن يستطيع الخروج منه ، وذلك عندما خاطبه قائلا :

كـــنت المـــزق مـــرة فاليوم قد صـــرت المـــزق
لما جريت مـــع الضـــــلا ل غـــرقـــت فى بحر الشمقـــمق(٢)

ويستهين بيوسف الشاعر إلى حد أن جعله كفرخ صغير ، يكمن فى جوف جلة عثر عليه بالبصرة ، تحوم حوله الكلاب طمعا فى أكله ، وذلك عندما هجاه قائلا :

يوسف الشاعـــر فـــــرخ وجـــدوه بالأبـلــــــه
حلقـــى قـــد تلقـــــى كامنـــا فـــى جـــوف جلـــه
خيطوها خشيـــة الكـــــلب علــيـــــه بمســلــــه (٣)

وإذا كان أبو الشمقمق قد جعل من القاذورات والألفاظ الخارجة والنيل من عرض شاعره وأهله وسيلته لابتزاز الرزق والحصول عليه ، فإن ابن لنكك قد دفعه إلى الهجاء ضيقه الشخصى من شعراء عرفوا بالشهرة ، وعلو الصيت ، فأراد أن ينال منهم ، حتى يضمن أكبر قدر من العطاء ، ويعتبر ابن لنكك أقل وطأة من سابقه حيث قلت فى أهاجيه الألفاظ الخارجة والبذئية .

---

(١) الأغانى ١٩٥/٣ .

(٢) شعراء عباسيون ١٤٣.

(٣) الحيوان ٢٢٥/١. الأبله : مكان بالبصرة .

ومن الذين هجاهم أبو رياش ، الذى قال فيه مصورا خسته ، مشبها إياه بالكلب فى نجاسته ، وذلك عقب توليه عملا :

قل للوضيع أبى رياش لاتبل — تـه كل تيهك بالولاية والعمـــل
ما ازددت حين وليت إلا خسة — كالكلب أنجس مايكون إذا اغتسل[1]

وزيادة فى النفور منه ، صور عبر أبياته شرهه وتهالكه على الطعام ، هاجيا اياه وقائلا :

يطير إلى الطعام أبو ريـــاش — مبادرة ولو واراه قـبـــــر
أصابعه من الحلواء صـفـــــر — ولكن الأخادع منه حـمـــر[2]

ويتعرض ابن لنكك للمتنبى أشهر شعراء عصره ، طمعا فى أن يصيب بعضا من ماله الجم بأكثر من قصيدة أذاقه فيها كثيرا من الشتائم والسباب ، والمزيد من الإهانات كقوله فى أحدها :

ما أوقـــع المتنبـــــى — فيما حكـــى وادعــــاه
أبيـــع مـــالا عظيمـــا — حتى أبـــاح قفـــاه
ياسائــلــى عـــن غنـــاه — مـــن ذاك كـــان غـنـــاه
إن كـــان ذاك بـينـــا — فـالجـاثـليـــق إلاه[3]

ويطلب من الناس عبر هجوه أن يصححوا ماهم فيه من تعظيم لشخصية المتنبى ، التى لاتستحق كل هذا الدوى ، فما هو إلا ابن سقاء نال من ضرب النعال على القفا الكثير ، ولعله بهذا قد نال منه عبر إهانته والحط من كرامته قائلا فيه :

---

(١) خاص الخاص ١١٢ / ثمار القلوب ٣٩٧ .

(٢) نفسه ١١٢/معجم الأدباء ٢/ ١٢٦ / يتيمة الدهر ٢/٣٥١ ـ ٣٥٢ .

الأخادع : جمع ، الأخدعان هما عرقان فى جانبى العنق ، قد خفيا وبطنا

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٠ . الجاثليق : رئيس الأساقفة تحت يد بطريق أنطاكية .

فولا لأهل زمان لاخلاق لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
أعطيتم المتنبى فوق منيته فزوجوه برغم أمهاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تزدحم (١)

وبعد ومن خلال هذه التطوافة مع قصيدة الهجاء عند المكدى نلحظ أن أبياته فيها لاتختلف من حيث الكم عن إطاره الذى يسير عليه فى نظمه ، والذى يعتمد على القليل من الأبيات فى عرض فكرته ، ولقد شاهدنا ذلك فى الوصف ، والمديح ، والرحلة والتجوال .

والهجاء عنده له معانيه وأغراضه وأنماطه ، أما معانيه فتدور حول نعت مهجوه بصورة تغير من آدميته وتمسخه وتجعله أقرب للحيوانية كطريق للنيل منه، معتمدا فى ذلك على التجسيم والتصوير فى إظهاره أقرب إلى الشخصيات الكاريكاتيرية .

أما غرض الهجاء عنده فهو فى كثير منه بسبب حرمانه من العطاء ، والذى يعنى التشهير والهجاء ، لذا فأنماطه الهجائية عدة ، فكل من حال دونه والعطاء كان هدفا لأبياته الهجائية كأهله وعشيرته ، ومن امتنع عن تقديم المساعدة له كمتسول طواف ، أو حاجب عند رئيس ، أو بواب ، أو من امتلك طعاما ، أو مالا ضن به أو بلدانا اشتهرت ببخل أهلها ، ثم فى النهاية هجاؤه لشعراء عصره ، الذين وصلوا من الصيت وعلو المنزلة درجة أغدقت عليهم الكثير من النعم ، بينما وقف هو لايجد الفتات من الطعام ، فهجاهم رغبة فى الاقتصاص منهم فى بعض الحالات ، والنيل منهم ومن مالهم فى حالات أخرى .

---

(١) المرجع السابق ٩/١٩

الفصل السادس

شكوى الزمان

عاتب المكدى زمانه بعد أن أيقن أنه أصبح هدفا لسهامه التى تراشقت عليه فأصابت كل حياته ، وطعنته فى قوته ولباسه وأولاده ومنزله ، وحولته إلى أضحوكة فى نظر الآخرين كى يقتات منهم وينال عطاياهم .

ولقد عاش المكدى حياته وهو يعلم أنه فى معركة غير متكافئة بينه والزمان ، وأثمرت هذه المعايشة عن حرمانه من العيش المستقر ، والمال الوفير ، واللباس اللين، والأثاث الفاخر فى كثير من سنى حياته ، لذا كان من الطبعى أن ينظم من خلال البيتين أو الثلاثة الأبيات التى يذمه فيها .

ولم تكن شكايته احترافا دون معايشة كبعض الشعراء الذين برعوا وأجادوا فى هذا اللون نظما دون معاناة ، بل منطلقة من جراء إحساسه بما تعرض له وغيره من ظلم وعسف ، ولعل وصفه لحاله كان شاهدا على هذا ، لذا لانعجب إذا رأيناه شاكيا ومعاتبا هذا الزمان ، وأرى أنه لم يقصد الزمان لذاته ، وإنما يرى فيه مجتمعه الملئ بالسوآت .

ولقد ظهر من شعراء الكدية من تفنن فى ذم زمانه كابن لنكك ، الذى فاق أقرانه من حيث كم أبياته التى نظمها فى هذا الموضوع حتى أصبح علما عليه (١) .

والمكدى عندما ذم زمانه وعاتبه كانت له دوافعه فى ذلك ، فحين عايشه وتفحصه وجده يجور على الفقير المدقع ، ويزيد من غنى فاحش الثراء ، وينال من قوت الضعفاء ليتخم بها السمان ذوى الأجساد المكتنزة اللحم ، لذا من خلال مشاهدته هذه نظم مايعبر عن هذا المدلول كابن الحجاج الذى تعجب من زمانه قائلا :

---

(١) تتمة اليتيمة ١١٦/٢

عجبت من الزمـــــان وأى شـــئ عجيـــــب لأراه من الزمـــــان
أتـأخـــذ قوت جرذان عـجـــاف فتجعـلـــه لأوعال سمـــــان (١)

وازداد المكدى عجبا عندما لاحظ أن زمانه ضن بجوده ، وذهب به إلي عنان السماء مع أهل العطاء والخير ، وخلفه فى الأرض بين أناس أشبه بالحيوانات ، لذا قال ابن لنكك في هذه الصورة :

زمان عز فيه الجـــود حتـــى لصـــار الجود فى أعلـى البـروج
مضى الأحرار فانقرضوا وبـــادوا وخلفنى الزمان علـــى علـــوج (٢)

ولم يقف ضيق المكدى من زمانه عند هذا الحد ، بل شاهد من فعاله ما آثار عجبه أكثر من ذلك ، فقد أغدق عطاياه على أناس لايستحقونها ، وعنده من الأدلة مايؤكد به قوله ، فهذا لئيم اختاره ليصبح من حاشيته وينال من خيره ، لذلك قال فيه أبو فرعون :

هـــذا زمـان عارم من ييســـه ترى اللئيم ينتقـى من جنســـه
يصبح من صبيـــانـــه وعرســـه مستأثـــرا بخـــبزه ودبســـه (٣)

ويلفت نظر المكدى بشدة ، أن الزمان كما أنعم على اللئيم والوضيع ، اغترف بكلتا يديه وأعطى الجاهل الأبله ، بينما وقف العاقل مكتوف اليدين لم ينل من دهره شيئا ، لذا هاجم ابن لنكك هذه السمة وقال مخاطبا دهره ، مسفها إياه :

لم يبق حـــر إلـيـــه يختـلـــف بـل كل نذل عليه يختلـــف
يافلكا دار بالنـــذالـــة والجهـــ ـل إلـــى كم تدور ياخـــرف
فعاقـــل مايبـــل أنمـلـــه وجاهـــل باليدين يغتـــرف (٤)

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٥٢ .
(٢) نثر النظم وحل العقد ٧٤ . العلوج : جمع علج : وهو العير والحمار .
(٣) الورقة ٥٧ .
(٤) يتيمة الدهر ٢/ ٣٥٠ ، تتمة اليتيمة ٢/١١٩ .

ويظل الدهر على عناده وموقفه السابق ، كأنه أصم أذنيه عن كلمات الشاعر ، فلكم لاحظه وهو يرفع الحقير الوضيع ، وينزل من قدر الأريب الحكيم ، لذا هاجمه مرة أخرى متعجبا من أمره الذى يشيب من فعاله الوليد قائلا :

الدهر دهر عجيب فيه الوليد يشيب

العير فوق الثريا وفى الوهاد الأريب (١)

ويستمر الصراع بين الجاهل والعاقل ونصيبهما من الزمان ، مما يزيد من حيرة المكدى ودهشته ، الذى أيقن من خلال مايرى أنه يجهل كنه هذا الزمان ، الذى لايبصر إلا الأبله الأرزل فيعطيه ، بينما تتفطر لغبائه قلوب الأذكياء ، لذا قال فى هذا المعنى ابن لنكك مواصلا حملته الشعواء على زمانه الخرف :

حرمان ذى أدب وحظوة جاهل أمران بينهما العقول تحير

كم ذا التفكر فى الزمان وإنما يزداد فيه عمى إذا يتفكر

الأرزلون بغبطة وسعادة والأفضلون قلوبهم تتفطر (٢)

ويخرج ابن لنكك فى نهاية أمره بنتيجة فرضها عليه زمانه بعد أن شاهد عناده ، وهى أن المنفذ الوحيد لانصياع الدهر له ولأمثاله ، أن يكون المرء جاهلا بلا عقل يميزه من هنا قال ناصحا غيره :

زمان قد تفرغ للفضول يسود كل ذى حمق جهول

فإن أحببتم فيه ارتياحا فكونوا جاهلين بلا عقول (٣)

وعلى قدر شغله بما يصنعه زمانه مع غيره ، حيث يرفع كل جاهل وضيع ، فى

(١) بغية الوعاة ١/ ٢٢٠ .

(٢) نفسه ١/ ٢٢٠ .

(٣) يتيمة الدهر ٣٤٩/٢ ، معجم الأدباء ٧/١٩ ، بغية الوعاة ١/ ٢٢٠ .

مقابل كل عالم فصيح ، ويزيد الغنى ثراء ، والفقير فقرا ، هاله أيضا مايصنعه معه وطائفته حيث جار عليهم ، وأطبق من كل جانب ، لذا نظم فيه مايجسد هذا الضيق مصورا زمانه بالكابوس المزعج قائلا :

نحـــن واللــه فى زمـــان غـــشوم   لـــو رأينــــاه فى المنام فــزعنا

أصبـح الناس فـيــه من سوء حـــال   حـــق من مـــات منهم أن يهنا (١)

ولم يأت حكم الشاعر وتجسيده لزمانه على هذه الصورة المفزعة من فراغ ، فقد حرمه وطائفته من متع الحياة ، لذلك حمل له كل ضيق وحنق ، وبلغ حجم ضيقه إلى حد أنه لو تخلص من بعض منه ، وألقاه على فلك من أفلاك السماء لم يدر ، لأنه لن يتحمل ماحمله وطائفته لذا قال فيه متأسيا من فعاله :

جـــار الـــزمـــان علينا فى تصرفـــه   وأى دهـــر على الأحرار لم يجر

عنــــدى من الدهـــر ما لو أن أيســره   يلقى على الفلك الدوار لم يـدر(٢)

وينظم الشاعر مرة أخرى مكررا نفس المعنى السابق ، بعد أن ناء بما يحمله من زمانه الذى انقلبت موازينه ، فأصبح السيد فيه مسودا ، والعبد سيدا ، قائلا فيه وفى عجائبه :

زمـــان رأينـــا فيه كل العجـــائـــب   وأصبحت الأذنـــاب فوق الذوائـب

لـــو أن على الأفـــلاك مافى قلوبنـــا   تهافتت الأفلاك من كل جانـــب (٣)

ويفقد الشاعر الخير من زمان هذه صورته ، ويتحول فى نظره وأهل طائفته إلى مايشبه العاهة ، وأن ما يصنعه مع الناس نوع من الجنون ، لذا قال له مخاطبا

(١) اللطائف والظرائف ١١٣، يتيمة الدهر ٣٤٩/٢ ، معجم الأدباء ٧/١٩ .

(٢) المنتحل ١٨٤، يتيمة الدهر ٣٤٩/٢ ، تتمة اليتيمة ١١٧/٢ .

(٣) يتيمة الدهر ٣٤٩/٢ ، معجم الأدباء ٧/١٩ .

وشاكيا :

يـازمـانــا أليس الأحـــــــرارذلا ومهـــانـــــه	
لست عنـــدى بـزمـــان	إنمـــا أنت زمـــانه
كيــف نـرجـو منك خـيرا	والــعـــلا فـيــك مهـانــه
أجـنـــون مـــانــــراه	منــك يبـدو أم مجانــه (١)

ويرى المكدى بعد هذه الرحلة الطويلة مع زمانه المعاش ، أن عليه منفذا وحيدا ليس أمامه سواه ، هو التذرع بالصبر ، فزمانه قد أصم أذنيه عن سماع شكواه ، وأغمض عينيه عن مشاهدة حاله ، ولن يجد مثالا يحتذى به فى صبره إلا نبى الله أيوب ، ولعله بصبره ، يريح نفسه المتعبة من معركة غير متكافئة بينه والزمان ، ولقد انتهى ابن لنكك إلى هذه النتيجة بعد حربه الضروس مع زمانه ، مستسلما لصنيعه قائلا :

نحن من الــدهـــر فى أعاجـــيب	نســـأل الله صـــبر أيوب (٢)

وهكذا رأينا شكوى الزمان عند المكدى معبرة قاسية ، لأنها عن تجربة حقيقية وملاحظة دقيقة متفحصة للكون وأهله ، وهو فى شكواه كأنه فاق من سبات نوم عميق ورغب فى أن ينفس عما فى داخله من شعور بالظلم الاجتماعى ، ولكن فى صورة مستترة تتناسب مع طبيعة شخصيته التى لم تكشف عن نفسها صراحة فى وصف المجتمع والتعبير عن عيوبه ، لذا نقد مجتمعه عبر ذمه له ، وتخلى قليلا عن انهزاميته السابقة ، وبدأ يتكشف معالم واقعه الذى يسوده الاستغلال والحرمان ، والتناقض الطبقى الذى جاء على حساب طبقة دون أخرى ، وهو فى هذا لم يكشف عن رأيه صراحة ، لذا ذم زمانه وهو يرى فيه مجتمعه ، الذى يأخذ من قوت الفقير ويعطيه إلى المتخم كما أشار ابن الحجاج ، ويعز فيه الجود ، وتنتهى فيه دولة الأحرار بعد أن

---

(١) المرجع السابق ٣٤٧/٢ ، ٣٤٨ ، خاص الخاص ١١١ ، ١١٢ اللطائف والظرائف ١٠ ، الإعجاز والإيجاز ٣٧٠

(٢) ثمار القلوب ٥٥ ، يتيمة الدهر ٣٤٩/٢ . معجم الأدباء ٧/١٩

محاها الظلم ، ويعلو فيه كل حقير وضيع على حساب الأريب العاقل

ولقد تحامل المكدى على زمانه ، الذى حرمه أشياء عدة كالقوت واللباس والمال وراحة الولد ، لكن سرعان مايخمد داخله هذا الإحساس الثورى المتأجج ، لكونه أدرك فى نهاية أمره أنه لن يغير من أمر زمانه ومجتمعه شيئا ، فيأمر نفسه بالتغابى والغفلة وأن يعيش جاهلا حتى يربح ويستريح ، ليعود من جديد إلى شخصيته المستسلمة المستترة وراء حيلها وظرفها .

الفصل السابع

الحكمة

الحكمة هى خلاصة تجارب الإنسان فى الحياة ، وحكمة المكدى لاتخرج عن هذا الاطار، فهى محصلة حياة طويلة تتناسب مع طبيعة شخصيته المتفردة التى كونتها ظروف خاصة .

ولقد عاش حياته بكل جزئياتها فأفاد منها ملخصا معاناته فيها فى صورة قصائد قصار ، كشف خلالها عن فلسفته الخاصة بكل مايحيط حوله ، مكونا بذلك مجموعة من الحكم المعبرة عن طائفة لها طقوسها وعاداتها ، مضيفا بذلك إلى رصيد الإنسانية نماذج جديدة من حكم وأمثال ذات نكهة خاصة لقطاع عريض من مجتمع يعانى من ويلات الفقر وقلة ذات اليد .

ودارت محور حكمه حول الدنيا وفهمها ، والمال وجامعه ، والموت ونهاية مطاف الإنسان ، وأضاف إلى ماسبق مجموعة من الحكم تندرج تحت مايعرف باسم الحكم العامة ، والتى استقاها من خلال ما اكتسبه من خبرة أثناء رحلاته وتطوافاته سائلا ومادحا فى البلدان والممالك .

والحياة بما فيها هى شغل الإنسان الشاغل ، وهى بالتبعية مصدر حنق المكدى ، فكثيرا ما أعمل فكره فى كنهها ، إلا أنه بعد رحلته الطويلة المعاشة فيها سرعان ما استطاع أن يخبرها بمفهومه ، وأدرك أن من تماجن وتحامق كسب ، لذا جعل من حماقاته ومجونه مصدر كسبه فى الحياة ، وحكمته المستفادة منها ، والتى يشرف بأن يورثها لمن يأتى بعده ، ويسير على نفس دربه ، ولقد لخص هذا المفهوم أبو الرقعمق عندما قال عن طائفته من حيث مصدر كسبها واعتناقها هذا المذهب :

قد ربحنا بالحماقا	ت على أهل العقول
فرعى الله ويبقى	كل ذى عقل قليل (١)

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٣٣

ولقد وصل المكدى إلى حكمته هذه بعد أن جرب أن يكون فردا سويا كغيره ، إلا أن هذا لم يأت له بالرزق ، بل وجد صدودا من الناس ورفضا للعطية ، لذا رأى أن يتحامق ويتماجن ، فأكسبه صنيعه هذا مايحتاجه من اللباس والمال ، لذا قال أبو الرقعمق أيضا :

قد أجمع الناس أن حمـــــقى   أحســـن من عفتى ودينى

قد عشت دهرا أعول عقلـــــى   والنـــاس إذ ذاك يبعدونى

فمذ تحامقت قد كســـــــانى   حمقـــى وقد عالنى جنونى (١)

ولقد زاد المكدى من مجونه وحمقه طلبا لمزيد من المال والعطايا ، ورأى أن الحياة لابد أن تعاش كدهرها المليئ بالعى والسخف ، وأن خير وسيلة لكسبها ماطبقه على نفسه وقد لخص هذا ابن لنكك عندما ناشد طالب العلم ليكون مموها متغابيا فى زمان قوامه الجهل قائلا :

ياطالبا بالعلم حظا مســـــعدا   فى ذا الزمان رأيت رأى مخرنق

إنفاق علم فى زمان جهالــــــة   ترجو ودهر عمى وسخف مطبق

كن ساعيا ومصافعا ومضارطــا   تنل الرغائب فى الزمان وتنـفق

أو مارأيت ملوك عصرك أصبحوا   يتجملون بكل قاض أحمــــق

لاتلق أشباه الحمير بحكمــــــة   موه عليهم ماقدرت ومخـــرق (٢)

وهو لايرغب فى دنياه هذه كثيرا ، ولايتمسك بها كغيره الذين غرتهم ، بل يعلم أنها ليست له ، وأن نصيبه منها لم يحن بعد ، وأن جل ما فيها ذهب لمن هو أقل منه ، لذا قال ابن لنكك فى قيمتها عنده :

لامكث الله دنيانا فقيمـــتها   ليست تفى عند ذى عقل بقيراط

دنيا تأبت على الأحرار عاصية   وطاوعت كل صفعان وضـــراط (٣)

---

(١) المرجع السابق ٣٢٦/١.

(٢) نفسه ٢/ ٣٥٠ .

(٣) نفسه ٢/ ٣٤٩ ، تتمة اليتيمة ١١٨/٢ .

ولقد اقتنع فى قرارة نفسه أن دوام الحال من المحال ، وأن الحياة لاتسير على وتيرة واحدة، لذا قال ابن سكرة فيها :

الليالى تسوء ثم تســـــــر   وصـــروف الزمـــــان ماتستقر

غير أنى عن الحـــــوادث راض   بعد سخـــط ، والعيش حلو ومر (١)

ورأى المكدى أن عدم الاقتناع بالمسلمة السابقة لايغير من الأمر شيئا ، بل ليس أمام المعترض إلا العض على الأنامل ، لذا قال البديع مخاطبا كل من يرفض ماقدر عليه :

رضى بقضائه أو لست ترضى   فعض يديك وانظر ماتصير (٢)

وإذا كان زمانه على هذه الصورة فقد توقع منه أن يرى كل محال فى حيز الإمكان كأن ينكسر الصخر بالزجاج ، وأن يقطع اللحم السكين ، لذا قال :

والدهر لونان فى تصرفه   يضرب بالبيدق الفرازينـــا

كم كسر الصخر بالزجاج   وكم قطع بالشحمة السكاكينا

ولاتظــــن جوده سعة   ولاتقدر هـــــــواه لينا (٣)

ولقد وصل فى نهاية أمره إلى نتيجة أراح بها نفسه من دنياه هذه ، هى أن من وجد فرصة ينال منها شيئا فليغنمها علها تكون الأخيرة ، وذلك عندما قال :

واغنم الأيــــــام ما ألفيتها خضر المراعــى

إنما نحــــــــن من الدهر بواد ذى سبـــاع

لاتدع من لذة العيــش عيـــــــانا لسمــاع (٤)

---

(١) المرجع السابق ٤/٣ .

(٢) ديوان بديع الزمان ٣٩ .

(٣) نفسه ٧٩ .

(٤) يتيمة الدهر ٢٩٦/٤ ، ديوان بديع الزمان ٥٢ .

ولم تكن الحكم السابقة نابعة من مجرد بقاء المكدى وسط جمع من الناس داخل نطاق بيئته المعاشة فقط ، بل كان لرحلاته وتجوالاته الأثر الأكبر فى هذا الكم من الحكم ، ولما كانت وسيلته لهذه التطوافات حركته ، جعل منها نبراسه ومصدر حكمته وزاد فى تقديرها بأن سجل فى فوائدها وقيمتها ماخلدها ، وأورد مادونه فيها على عصى رئيس طائفة الكدية حيث كتب عليها (الكسل شؤم ، والمتميز مذموم ، والحركة بركة ، والتوانى هلكة ، وكلب طائف خير من أسد رابض) (١) .

وتعد رحلات المكدى وتجوالاته أحد المناهل الرئيسية التى استقى منها حكمه ، وتأتى فى المرتبة الثانية بعد زمانه المعاش ، ومن حكمه التى اكتسبها بالتطواف أن التجوال مع الغربة يكشف معادن الرجال ، كما تظهر النار الذهب ، وأن حياة الإنسان كصورة من مد البحر وجزره ، فأحيانا يتجه إلى الخير وفى أخرى إلى الشر ، ولقد صاغ أبو دلف هذه الحكم عندما قال عن نفسه وتطوافه :

ألا أنى حلبت الدهـــــ ـــر من شطر إلى شـــطر
وجبت الأرض حتى صــر ت فى التطواف كالخضر
وللغربة فى الحـــــر فعال النار فى التبـــر
وماعيش الفتــــى إلا كحال المد والجـــزر
فبعض منه للخيـــر وبعض منه للشـــر (٢)

و استطاع المكدى عبر رحلته الطويلة أن يفهم طبائع البشر مع اختلاف أشكالهم وبلدانهم وأمزجتهم ، وهذا أمر بديهى بالنسبة له ، لأنه بحاجة مستمرة إلى الناس من أجل الطلب ، لذا لابد من فهـــمهم حتى يتيســـر له نيل عطاياهم ، وغالبا مايفصح عن كنه هذا الفهم عند المواجهة ، كهذا الأعـــرابى الســـائل ، الذى فرق بين حـــال الـــوقـــار والهـــزل مخـــاطبا أحـــد الفتيــــة قائلا (٣) (ياهذا إنك منذ اليوم آذيتنى بمزحـــك ، وقطعتنى

(١) محاضرات الأدباء ٢/٥٤٤ .
(٢) يتيمة الدهر ٣/٣٧٣ .
(٣) زهر الآداب ٢/٦٠٤.

عن مسألتي بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك ، ماكان السكوت يستره من أمرك . ويحك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسـقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسط).

ويكشف خالويه المكدي ـ وهو على فراش الموت ـ عن فهم عميق لطبائع النفس البشرية ، وذلك عبر حديثه لابنه عندما ترك له مالا وأوصاه بالحفاظ عليه قائلا له : (إني قد تركت لك ماتأكله إن حفظته ، وما لاتأكله إن ضيعته . ولما ورثتك من العرف الصالح ، وأشهدتك من صواب التدبير ، وعودتك من عيش المقتصدين خير لك من هذا المال ، ولو دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ، ثم لم يكن لك معين من نفسك ، لما انتفعت بشئ من ذلك . بل يعود ذلك النهي كله إغراء لك ، وذلك المنع تهجينا لطاعتك .... ولم أحمد نفسي على جمعه ، كما حمدتها على حفظه ، لأن بعض هذا المال ، لم أنله بالحزم والكيس ، قد حفظته عليك من فتنة البناء ، ومن فتنة النسـاء ، ومن فتنة الثناء ، ومن فتنة الرياء ، ومن أيدي الوكلاء : فإنهم الداء العياء) (١) .

ويستكمل حديثه مع ابنه بشرح مفصل عن تجوالاته وخبرته بالحياة ، منهيا إياه بحكمة أخيرة قائلا:(وأنت غلام لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق حزمك ، لم تعجمك الضراء ، ولم تزل في السراء ، والمال واسع وذرعك ضيق ، وليس شئ أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس ، فاتهم شمالك على يمينك وسمعك على بصرك ، وخف عباد الله على حسب ماترجو الله) (٢)

ويتضح مما سبق كيف أكسبت التطوافات الشخصية المكدية هذا الفهم لواقع الحياة ، وقيمة مايمثله المال بالنسبة له ، وكيف يتفنن في الحفاظ عليه ، لذا كانت له فيه نظرة خاصة . فهو عصب حياته ، يجلبه من أي مكان سواء بالحيلة ، أو الفكاهة أو الاستجداء ، أو المديح ، أو الهجاء ، أو عبر حرفة من حرف أهل طائفته ، ولقد قاس

---

(١) البخلا. ٤٧ـ٤٨

(٢) نفسه ٥١

عيش الإنسان بامتلكه من الدينار أو الدرهم ، وأن من لا مال له لاعيش له ، لذلك قال ابن سكرة عن نفسه ، ملخصا نظرة أهل طائفته حول هذا الأمر : (١)

جملة أمرى أننى مفلس   وليس للمفلس إخوان

وكل ذى عيش بلادرهم   فعيشه ظلم وعـدوان

وغالبا ماينفر المكدى صاحب المال من أن يجعل من نفسه رقيبا على ماله دون إنفاقه ، لأنه يخشى عليه من يوم يسأل فيه عن ماله فيما أنفقه ، وهو بهذا يرى أن المال لامحالة سينفق فلما لايكون هو صاحب اليد الأولى الممتدة لنيل هذه الدراهم وجمعها ، لذا نسج من نظمه مايشير إلى هذه الصورة كقول البديع مخاطبا جامع المال الحريص عليه :

أيا جامع المال من حله   تبيت وتصبح فى ظله

سيؤخذ منك غدا كله   وتسأل من بعد عن كله (٢)

ويبصر المكدى صاحب المال بمن سيكون خلفه ، فدنياه لن تدوم ، لذا فهو جامع لقاعد يرث من بعده ما ترك له ، لذا قال :

ياحريصا على الغنى   قاعـــدا بالمراصـــد

لست فى سعيك الذى   خضـــت فيه بقاصد

إن دنياك هـــــذه   لســـت فيهـا بخـالد

بعض هذا فـــإنما   أنت ســـاع لقـاعـد (٣)

(١) يتيمة الدهر ٣/٢٥ ، التمثيل والمحاضرة ١١٨ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٣) ديوان بديع الزمان ٢٨ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٦ ، نهاية الأرب ٣/١١٤

وعلى قدر ماشغل المكدى بالمال ، وصاغ فيه من الحكم ماجعله ينفرد عن غيره من حيث نظرته له ، فقد أثاره الموت كغيره من البشر الذين يرون فيه نهاية لذاتهم ومتعهم فى الحياة ، ولكنه يختلف عنهم من حيث خروجه من الحياة خاوى اليدين لايملك شيئا ، حتى أنه فى بعض الأحيان يعوزه لباس يستره وطعام يقتات به ، لذا جاءت حكمه حول الموت وعظية لغيره ممن غرتهم الدنيا فمشوا فى ركابها دون الإحساس بنهايتها المحتومة ، وقد نظم أبو دلف شارحا موقف الإنسان من دهره ، وكيف أنه فى معركة غير متكافئة نهايتها معروفة :

دهر على أبنائه وثـــاب | تعجمهم أنيـابه الصـلاب
فمالهم من كيده حجـــاب | يالك دهرا كله عـــقاب
أصبح لايردعه العتـــاب | إن المنايا ولها أســباب
تصيدنا والصيد مستطاب | واها لناء ماله إيـــاب
لكل قلب بعده اكتئـــاب | مسوم تعنوله الأســراب (١)

ولتيقنه أن الإنسان مقضى عليه لامحالة ، حث كل فرد ألا يغتر بصحته وجسده الفارع ، فمصيرهما إلى زوال ، لذا قال البديع :

إن فى الأيام أســرا | را بها سوف تبـــوح
لايغرنك جـــسم | صـــادق الحســن وروح
إنما نحـــن إلى الآ | جـــال نغدو ونـــروح
بينما أنت صحيح الـ | ـجسم إذ أنت طـــريح (٢)

وهو يرى أن الإنسان فى هذه الدنيا محفوف بالمخاطر ، ولكونه على هذه الحالة

---

(١) يتيمة الدهر ٢٢٢/٣ .

(٢) ديوان بديع الزمان ٢٠ / يتيمة الدهر ٢٩٤/٤ .

فعليه ألا ينخدع بمعسول دنياه ، فسمها فى مذاقها الحلو ، وعليه أن يجعل الموت نصب عينيه قال البديع :

أنت فى دنياك هذى بين أمواج المهالك

ويك ياغافل لم لا يخطر الموت ببالك (١)

وهو يتعجب من أن الإنسان قد أغمض عينيه عن كل هذه الأمور من دنياه ، بل وبدلا من أن يدفعها ولايغتربها يتمسك بحبالها وآمالها الخداعة ، ويرى أن مرد الأمر نابع من طبيعة البشر الساذجة ، لذا قال :

لادر من آمالنا در يجرنا الموت فتنجر

ما الشأن فى الدنيا تغر الورى الشأن فينا كيف نغتر (٢)

ويرى ابن لنكك أن كل سرور ونعيم يعيشه الإنسان مصيره إلى زوال ، لأن الموت فى انتظاره ينقض عليه كلما حان له ذلك ، لذا قال محذرا كل مسرور :

كل من حاز سرورا أو نعيما هو فيه

فالمنايا والرزايا عن قريب تقتضيه (٣)

والمكدى فى نهاية أمره لايرى فى الموت الصورة البشعة التى يتصورها غيره ، بل هو نهاية عادلة لحياة مضنية بالنسبة له ، لذا فهو يرضيه على الرغم من أنه سيحول دونه والحياة ، بل يطرب منه لأنه سيشعره للمرة الأولى والأخيرة منذ مولده ببعض من الإنصاف الاجتماعى ، ولم لا وستزهق من خلاله روحه والخليفة ويسوى بينهما فى الرقاد الطويل الأبدى ، من هنا قال ابن سكرة مادحا الموت وصابرا على حاله فى دنياه :

---

(١) المرجع السابق ٦٣ .

(٢) نفسه ٣٤٠ .

(٣) محاضرات الأدباء ٤/٢٨٦ .

الجوع يطرد بالرغيف اليابس   فعلام تكثر حسرتى ووساوسى

والموت أنصف حين عدل قسمة   بين الخليفة والفقير البائس (١)

ولعلمه بدنو أجله نصح نفسه بالإسراع إلى التوبة والإعراض عما حرم الله ، وأن يعد العدة لزاد سفر طويل ،وفى هذا يقول ابن سكرة متمنيا أن يصنع عكس فعاله قائلا :

محمد ، ما أعددت للقبر والبلى   وللملكين الواقفين على القبر ؟

وأنت مصر لاتراجع توبة   ولاترعوى عما يذم من الأمر

تبيت على خمر تعاقر دنها   وتصبح مخمورا مريضا من الخمر

سيأتيك يوم لاتحاول دفعه   فقدم له زادا إلى البعث والحشر (٢)

ويخرج المكدى من دائرة حكمه الخاصة بالموت إلى الحياة بآفاقها المتسعة الكبيرة ، ليقدم لنا مجموعة من الحكم العامة ، التى كونها من خلال تدقيق نظره فيما حوله ، وهى صور تعبر عن فلسفته تجاه مواقف بعينها ، مستنبطة من تجوال مشوب بالخبرة والدراسة بالحياة ، ومنها ماقاله اليعقوبى فى النعمة وزوالها :

متى بقيت نعمة   لذى نعمة لم تزل

وهل بقيت حالة   على أحد لم تحل (٣)

وقوله في المعتبر بحوادث الأيام وفعالها :

أمن بعد ما أفنيت سبعين حجة   ولم تؤنسوا رشدى أنهنه بالزجر

---

(١) يتيمة الدهر ٢٨/٣/ التمثيل والمحاضرة ١١٨/ نهاية الأدب ٢/ ١١٠

(٢) نفسه ٢٩/٣.

(٣) معجم الشعراء ٣٩٩ .

ومن لم تزعه الحادثات بصرفها فلا ترج منه رشده آخر الدهــر (١)

وتتغير طبائع الناس وأحوالها ، ويتصارعون فى النيل من بعضهم ، فيضيق من فعالهم ابن سكرة ، الذى رأى فيهم صورة ذئاب بشرية ، إلا أنهم أقل منهم فى المرتبة لذلك قــال :

ذئاب كلنا فى زى نــاس فسبحان الذى فيه بـرانا

يعاف الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا (٢)

ويرجع البديع الأمر فى الصورة التالية إلى أن الناس قد جرى فى عروقهم الخطيئة انتسابا لأبيهم آدم ، الذى خرج من الجنة بعد أن نسى عهد ربه ، وكل فرع دائما إلى أصله يحن ويرى أن الناس تربوا على الخداع والغش ، وهم على كل الوجوه يشتركون مع الذئب فى تناول ضحيته ، ويبكون عليها مع الراعى ، لذلك قال مستاء ومؤكدا مايقول :

كذاك الناس خداع إلى جانب خــداع

يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعــى

وما الحرص ببدع لا ولا الغى بإبــداع

أبونا نسى العـهد وكنا شر أتبـــاع

فلا أعجب من عرق إلى الوالد نـــزاع (٣)

ويصدق أبو الرقعمق على مقولة البديع ، من أن كرم الفروع يعود إلى أصولها

---

(١) المرجع السابق ٤٠٠ .

(٢) معجم الأدباء ٨/١٩ بغية الوعاة ٢١٩/١ برانا : خلقنا .

(٣) ديوان بديع الزمان ٥٣ .

الحسنة ومنبتها الجيد قائلا :

وإذا ماكرم الأصـــل زكـا الفـــرع وطابـا (١)

ويحذر أبو الشمقمق من أن ينخدع الناس بمظهر الإنسان دون جوهره ، فربما مهندم الثياب ، حسن المنظر ، إذا تحدث فى مجلس رأى لم ينبث ببنت شفه ، وكان كالعير أو أشد وطأة ، لذلك قال معددا تكرار هذا المشهد :

كم من فتى تبصر ذا هيئة أبلد فى المجلس من عير (٢)

ويستعين ابن الحجاج فى صوغ حكمته بمدلول آية من القرآن ، للاستدلال على أن الله لايكلف نفسا إلا قدر طاقتها ، مطابقا ذلك على جود اليد التى تعطى عندما تملك العطية من هنا قال :

ماكلف الله نفسا فوق طاقتها ولاتجود يد إلا بما تجـــد (٣)

ويجمع ابن الحجاج فى منظومة واحدة أكثر من حكمة تدور حول الإنسان والحياة ، فالعيش كما يراه نوعان حلو ومر ، والدنيا دار رحيل وبقاء ، والنـــاس صنفان : الأول حلو الطعم والرائحة كالتفـــاح ، و الثـــانى كريه الرائحة كالبصل ، لذلك قـــال :

---

(١) يتيمة الدهر ٣٢٩/١ .
(٢) رسائل الجاحظ ٣٦٧/٢ .
(٣) يتيمة الدهر ٨٩/٣ .

والعيش كالصاب فى مرارته طورا ، وطورا أحلى من العسل

ودار هذى الحياة منذ بنيت لم تخل من ســـاكن ومنتقل

والناس فى طيبهم ونتنهم ضـدان مثل التفاح والبصـــل (١)

ويقدم المكدى فى قصيدته التالية محصلة تجاربه لكل من يرغب فى حياة هادئة طويلة ، معبرة إلى هذا أن يكون بين جنسه كأحدهم لايشعر بالتعالى والافتخار ، وأن يرضى بالقليــــل ، وأن يتـــرك الفضول حتى لايمل منه غيره،وأن يتعود على الصبر لكونه الدواء لك داء معضل ، وألا ينافق أحدا ، وعليه بالصمت فى حينه فهو أبلغ فى أوقات كثيرة ، وأن يقنع بالدنيا كما هى، وأنه مهما بلـــغ علمه فيها فلن يعرفها جيدا ، لدرجة أنه لن يستشعر الفرق بين الجـواد والبخيل ، وفى هذا جميـــعه قـــال الأحنف مخاطبا طالب الراحة من عناء دنياه محددا له خطته المستقبلية :

من أراد الملك والـــرا حـــة من هم طـويل

فليكن فردا من الـــنا س ويرضى بالقليـــل

ويرى أن قليـــــلا نافعا غيـــر قليل

ويرى بالحزم أن الحـــزم فى تـــرك الفضول

ويداوى مرض الوحـــ ـدة بالصبر الجميـــل

---

(١) المرجع السابق ٣/ ٦٢ .

لايمارى أحــــدا مــا	عاش من قال وقيــــــل
يلزم الصمت فإن الصـــ	ـمت تهذيب العقـــــول
يذر الكبـــــر لأهليــه	ويرضى بالخمـــــــول
أى عيـــش لامـــرى يصـ	ـبح فى حــــال ذليــــل
بين قصـــــــد وعـدو	ومداراة جهـــــــول
واعتلال من صـــــديق	وتجن عــن ملـــــول
واحتراس من ظنون الســ	ـوء وعـــذل وعــــذول
ومماشــــــاة بغيـض	ومقــاســاة ثقيــــــل
أف من معـــرفة النـاس	على كــــل سبيـــــل
وتمام الأمــــر لاتعـر	ف سـمحـا مـن بخيــــل
فإذا أكمـــــل هذا	كان فى مـلك جليــــل (١)

وبعد نستطيع أن نتبين من خلال ماسبق ، أن حكمة المكدى جاءت خاصة تتناسب وطبيعة شخصيته ، وإذا كانت الحكمة تعنى خلاصة تجارب الإنســان فى الحياة ، فإن المكدى قد مارس هذه المعايشة لحياته ، بل ربما فاق غيره ، لكونه طاف وخبر الحياة وصاغ ماوعاه منها فى صورة حكم ، عبرت عن طائفته دون سواها فى مواضع عدة ، واتفقت مع غيرها فى البعض الآخر ، ورأى أن حياته لابد أن تقوم على المجون والخلاعة ، وأن الإنسان لابد أن يكون متيقظا لزمانه حتى ينال منه مايجود به فى حينه ، وألا يدع الفرصة تفوته ، وهو راض عن حاله فى الدنيا طالما أن نصيبه منها وقف عند حد بعينه من الصعب تجاوزه .

ولقد وقف من المال وجامعه وقفة خاصة ، فلكونه رغب فى مال غيره ، جعل محور حكمه تدور حول الحث على إنفاقه خشية تركه نهبا لمن لايستحقه ، بينما ينبرى واعظا عند حديثه عن الموت ، وله عذره فى هذا فهو ليس من أصحاب المناصب والجاه ، حتى يتمسك بالحياة وطيبها ، إنما هو فى أحايين كثيرة يعوزه اللباس الساتر ، وفتات الطعام لسد الرمق ، لذا جعل من نفسه حكيما يسدى النصح لغيره ،

( ) المنتظم ١٨٥/٧ - ١٨٦ .

كى لايغتر بالدنيا وزخرفها ، وأن يعمل صالحا ، هاديا نفسه فى النهاية لعلمه أنه ملاق نهاية محتومة .

ولقد نظم من خلال خبرته الطويلة بالحياة كمًا من الحكم العامة دارت حول أطر عدة ، منها زوال النعمة ، ومن لا يعتبر بحوادث الأيام ، وكرم الأصل وطيب المنبت ، وطبائع البشر ومايميزها ، إلى غير ذلك من القيم الانسانية .

ولقد استقى حكمه من مصدرين أساسيين ، هما الدنيا بمافيها وكيفية معايشته لها بطريقته الخاصة ، والرحلة والتجوال وكيف أكسباه خبرة وعمقا بأصول الأشياء .

وأخيرا ، فكما تفرد المكدى بحكمه من حيث تعبيرها عن طائفته دون سواها ، تفرد أيضا فى صياغتها عن المتعارف عليه فى حكم العرب القدامى ، والتى نلحظ فيها الوصايا الخلقية والتربوية المستمدة من مجتمع الجاهليين أو الإسلاميين ، والتى كانت تأتى فى نهاية شعر الجاهليين كخاتمة لقصائدهم وكاشفة عن مقدار فهم صاحبها للحياة سواء كان طاعنا فى السن كزهير بن أبى سلمى ، أو شابا فتيا كطرفة بن العبد ، بينما كان يفرد لها القصائد كما فى شعر المتنبى .

وكان يميز حكم العرب القدامى العمق ، والابتعاد فى كثير منها عن السطحية ، والميل إلى فلسفة الأمور ، ونماذج ذلك كثيرة فى شعر زهير وطرفة وحسان والمتنبى ، الذى مجد القوة فى حكمه ، واستخدمها لتصوير المثل العليا فى الحياة .

وتأتى حكم المكدى إلى جانب هؤلاء فى مرتبة تالية لسطحيتها ، وقصور نظرة صاحبها إلى الحياة ، والذى لايتجاوز البعد الواحد هو المال الذى يراه فى الإنفاق والحث عليه ، وفيما يخلفه الميت ، أيضا فى إيثاره الخلاعة والمجون على مادون ذلك .

الباب الثالث

الخصائص الفنية لأدب الكدية

الفصل الأول

بناء القصيدة

مالت القصيدة عند شعراء الكدية فى كثير منها إلى القصر دون الطول ، فقد غلبت القطع الشعرية القصيرة على معظم موضوعاتهم التى عبرت عن طوائفهم ، وطريقة حياتهم ، وتطوافهم ، وفلسفتهم فى الحياة .

ولقد شهد بذلك كل من ترجم لسيرهم ، كالثعالبى فى يتيمته الذى قال عن ابن لنكك ، بأنه يبدع إذا نظم البيت أو البيتين ، بينما إذا قصد القصيد قلما يحالفه الصواب (١) وعلى هذا المنوال سار معظم شعرائهم .

على أن قصر القصيدة عند المكدى له أسبابه الفنية والاجتماعية ، فطول القصيدة يحتاج إلى قدرة فائقة على النظم ، مع تطويع لقافية تستمر استـــمرار أبياتها ، وتفرغ وأناة لإخراج عمل يتسم بالجودة ، وهذا جميعه لن يتأتى للشاعر المكدى فى ظل حياته المضطربة التى يعيشها ، وذلك ما نقصده بالجانب الاجتماعى وأثره على أعماله الفنية ، فحياته التى يمارسها بما فيها دفعتـه إلى سعى لايفتر حال دونه ونظم مقطوعات طويلة ، وبناء على ذلك فإننا لانستطيع أن نجبره فى ظل ظروفه السابقة كى ينظم لنا قصائد طوال كتلك التى عرفها الجاهليون ، أو التى تنشد على بلاط الخلفاء والأمراء ، وكان الشاعر يجود فيها ، ويمكث فترة طويلة من الزمن حتى تنال إعجاب ممدوحه فيغدق عليه ، أو تعلق على أستار الكعبة لنفاستها ، فهذه أشياء ليست فى قدرة المكدى الذى يعوزه فى كل يوم البيت أو البيتان ليخرج بهما على الناس ، واصفا حاله ، وطالبا عونهم ، ويحتاج إلى مثلهما فى اليوم التالى وهكذا ، إننا سنظلمه فنيا إذا وضعنا قصائده جنبا إلى جنب بجوار النابغة أو زهير أو الفرزدق أو المتنبى ، أو طلبنا منه أن ينظم على غرار قصائدهم .

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٤٧

يضاف إلى ماسبق أن طبيعة موضوعاته حالت دونه وطول قصائده ، فموضوعه الرئيسى هو طلب المال مهما تعددت أشكاله ، والمنوط بالطلب هم العامة من الطبقة المتوسطة أو المعدمة ، وهذا يعنى أنه يتجه بشعره إلى القاعدة الشعبية العريضة من المجتمع ، وهى بالتبعية لايتوافر لديها الحس الشعرى أو تذوقه ، وكذلك طبيعة وأماكن تسوله التى غالبا ماتكون فى الساحات والطرقات ذات التجمعات العددية الكثيرة ، لن تمكنه من إلقاء هذا النوع من القصائد الطويلة ، التى ربما تدفع متلقيها للسأم ، أو تركه دون تقديم عون مادى مرجو ، لذلك حاول الشاعر المكدى أن يلخص مايحتاجه فى صورة مقطوعات قصيرة ، يصل بها إلى مراده من أقصر الطرق ، ونلحظ ذلك فى كثير من شعر المستجدين كابن الحجاج وبقية أهل طائفته .

فالشاعر المستجدى يركز فى أبياته على مايريده مباشرة دون إطالة ، كقول هذا الأعرابى الذى وقف على قوم ، مخاطبا إياهم ، طالبا تقديم يد المعونة له ولبنيه :

هل من فتى مقتدر معين على فقير بائس مسكين

أبى بنات وأبـــى بنين جزاه ربى بالذى يعطينى

أفضل مايجـزى به ذو الـديــن (١)

أو كقول ابن الحجاج الذى خاطب جمع الناس بواسط بعد أن خلا جرابه :

ياسادتى قــول ميت فى مثل صورة حى

لم يبق فى الخرج شئ أتأذنون بشـــئ (٢)

إن الدخول فى الموضوع مباشرة هنا ، هو الذى فرض القصر على كثير من شعر الكــدية ، فالإطــالة لن تفيد كثيرا ، بل ربما ســيدفع المكدى ثمنهـا من

(١) العقد الفريد ٣/٤٣٥ .

(٢) يتيمة الدهر ٣/٥٧٠ .

إعراض الناس عنه .

وإذا كانت القطع الشعرية القصيرة هى التى ميزت شعر الكدية ، فهذا لايعنى أنهم عدموا القصائد الطوال ، ولعل القصيدة الساسانية لأبى دلف الخزرجى بأبياتها التى يبلغ مجموعها مائة وخمسة وتسعين بيتا خير شاهد على وجود هذا النوع .

وكذلك عرف عنهم نظم القصائد الطوال فى الحماقات والمجون وذكر النساء ، ووصلت أبياتها عند أبى الحجاج إلى ثلاثة وأربعين بيتا ، وأخريات فى الغزل وألفاظ القاذورات عند أبى الرقعمق ، وابن سكرة ، وابن لنكك .

ومن البديهى أن أمر هذه القصائد الطوال يسوقنا إلى سؤال مؤداه : ماهو السر فى طولها على عكس ماسبق مع أن الناظم واحد ؟

والرد عندى يكمن فى أن هذه القصائد تتعلق بأحاسيس ومشاعر المكدى الخاصة ، لذا أفاض فيها علها تكون عوضا عما يصادفه من عنت الليالى وقسوتها ، وهو ينظمها لنفسه وليس للآخرين ، لذلك فطولها أو قصرها لايعنى أحدا غيره ، بينما مايتعلق بوصف حاله أو مدحه فهو ملك لمن يسمعه ، لذا كان يقصر فى أبياته خشية الإطالة على متلقيه مما يدفعه إلى حرمانه ورفض مطلبه .

تنوع المقدمات :

لاتعنى قصر المقطوعات الشعرية عند شعراء الكدية ، أنها خلت البتة من المقدمات الافتتاحية لقصائدهم ، فإذا كان الشاعر المكدى فى كثير من أشعاره اتجه إلى قصده مباشرة دون مقدمات ، فهذا ، لأنه لم يكن بحاجة إليها ، فعوزه للمال دفعه إلى أن يقترب من مراده دون إطالة على متلقيه ، وكان هذا سائدا فى كثير مما ينظمه ، إلا أنه لم يكن حائلا دون افتتاح قصائده بمقدمات كانت مدخله إلى ماينظمه لبعض قصائد المديح والمجون والغزل والهجاء ، وعندما نصنف مقدمات الشاعر المكدى نجدها تدور حول محورين :

- مقدمات واكب فيها القدماء ، فوقف على الطلل والربع ، وبكى الأحبة ، وتذكر أهل الخيام .

- مقدمات خرج فيها عن النهج المألوف ، ونظم مايروق له .

ومن شعراء الكدية الذين سلكوا طريق القدماء فى بناء القصيدة أبو الرقعمق ، فغالبا ماكانت قصائده المدحية تبدأ ببعض المقدمات النمطية التقليدية التى قعدها الجاهليون ، وسار عليها الشعراء بعد ذلك ، إلا أن الاختلاف عنده ليس فى نوع الوقوف ، ولكن من حيث البكاء على الأحبة ، فالمحبوبة الجاهلية كانت من أهل البادية ، وهى عريقة النسب ، والحب المتبادل بينها والشاعر كان فى أغلبه عذريا ، بينما المحبوبة عند أبى الرقعمق من النوعين الفاجر الماجن ، والمعشوقة الطاهرة ، لذا فالبكاء عنده لونان ، أحدهما على الغوانى وشركاء اللذة ، والثانى على الصبابة والعشق وأيام الهوى ، ومن النوع الأول تطالعنا هذه الصورة من مقدمة مدحية ، يتذكر فى بدايتها الربع الذى غيرته صروف الليالى ، ثم يمر عليه كما مر امرؤ القيس وطرفة وغيرهما من قبل ، ليطيل الشوق ، ويستعيد ذكريات أيام ولت ، وتدفعه هذه الوقفة إلى البكاء على الغوانى .

ومن المنطقى أن يعشق المكدى مثل هذا الصنف من النساء ، لما فيه من طبيعة ماجنة مستهترة ، حتى إذا انتهى من نمطه التقليدى هذا ، اتجه بالحديث إلى ممدوحه معددا صفاته ، ولنشهد معه هذا الوقوف الذى قال فيه :

إن ربعا عرفته مألــوفا ... كان للبيض مربعا ومصيفا

غيرت آيه صروف الليالى ... وغدا عنه حسنه مصـروفا

مامررنا عليه إلا وقفـنا ... وأطلنا شوقا إليه الوقـوفا

آلفا فيه للبكاء كأنـى ... لم أكن فيه للغوانى ألـوفا

حاسدا للجفون لما أزالت في مغانيه دمعها المذروفا (١)

وأحيانا كان يدفعه الشوق إلى اللهو ، أن يستحضر خليليه ليقفا معه بربوع الحمى ، ليتذكر معهما معاهد لهوه ، محددا اسم صاحبته كما كان يصرح عمر بن أبى ربيعة وابن قيس الرقيات فى أشعارهما ، وذلك عبر قوله :

خليلى من عامر أسعدا على الشوق خلا بلا مسعد

قفا وقفة بربوع الحمى فلولا الوفا لهوى الخرد

لما عجت بالركب مستنجدا دموعى على الطلل الملبد

معاهد لهو كأن الهوى بها بعد زينب لم يعهد (٢)

ويستكمل أبو الرقعمق عناصر الصورة القديمة من خلال وقوفه هذه المرة على الخيام عبر قصيدته المدحية ، متذكرا أيام الوصل وعذاب القلب مع اللواتى قطن هذه الخيام وعلق بهن ، طالبا السقيا لدهر تولى بالغرام والهوى قائلا :

حى الخيام فإنى مغرى بأهل الخيام

بالراميات فؤادى بصائبات السهام

لاعذب الله قلبى إلا بطول الغرام

سقيا لدهر تولى بشرتى وغرامى (٣)

ويخرج أبو الرقعمق من خلال أبياته التالية بهذا النمط التقليدى إلى صورة جديدة لم تعهد فى الشعر القديم من قبل ، فغالبا ماكان الوقوف على الديار لتذكر الأحبة من النساء ، بينما الشاعر المكدى هنا يقف ليذكر شيوخا جمعته بهم حماقات

(١) المرجع السابق ٣١١/١ .

(٢) نفسه ٣٢٩/١ .

(٣) نفسه ٣١٢/١ .

ومجون ، والقصيدة كلها مليئة بألفاظ القاذورات ، وأحاديث الصفع ، لتأخذ بـذلك ارتباطا جديدا بمقدمة غير مألوفة على هذا البناء الشعرى المتعارف عليه ، والذى نلحظه من هذه الأبيات التى يقول فيها :

سلام على الربع ربع الجدا   سلام على تمره واللبـــا

سلام عليه سلام امـــرئ   معنى بتذكار ماقد مضى

سلام عليه فكم موقـــف   وقفناه فيـــه نذير الدلا

لعهدى فيه شيـــوخ لنـا   غلاظ الرقاب عراض اللحى

وكنا من الظرف لو أنـنا   أقمنا نصافع شـــهرا ولا

نعيب الوفا ولهفى عـلى   أخادع من لايعيب الوفـــا(١)

وعبر قصيدة مدحية اقتصر فيها المديح على بيتين من الشعر ثم وصف لحال أولاد أبى فرعون ، كانت هذه المقدمة التى استهلها الشاعر بطلب السقيا للحى وأهله ، مستعيرا للوى أمرى القيس قائلا :

سقيا لحى باللوى عهـــدتهم   منذ زمان ثم هذا عهـــدهم

عهدتهم والعيش فيه غـــرة   ولم يناو الحدثان شعبـــهم (٢)

ولم يبينوا لنوى قـــذافـة   تقطع من وصل حبالى حبلهم

فليت شعرى هل لهم من مطلب   أو أجدن ذات يوم بدلـــهم (٣)

---

(١) المرجع السابق ١/٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) يناو : مخفف يناوي ـ الحدثان : النوائب . والشعب : جمع .

(٣) طبقات الشعراء ٣٧٧ .

وينطلق بعض شعراء الكدية من أسر هذا الإطار التقليدى فى مقدمات قصائدهم ، إلى شكل جديد يتفق وطبيعة حياتهم ، وكأنهم استشعروا أن النمط السابق لايتناسب وحياتهم الباحثة دائما عن الرزق من مظانه المختلفة ، فماذا يفيد البكاء على الربع والخيام والرسم الدارس ، ومنازل الأحبة ، وصوت قرقرة البطن من شدة الجوع يعلو على كل هذه الأشياء ، لذا خرج أبو المخفف بهذه الأبيات معلنا فيها رفضه للمذهب النمطى ، متجها بأبياته وجهة أخرى تهمه وغيره من أهل طائفته ، فلا ديار ولاقفار ، بل المهم هو رغيف الخبز الباعث للحياة ، لذا قال :

دع عنك رسم الديار ودع صفات القفار

وعد عن ذكر قوم قد أكثروا فى العقار

وصف رغيفا سريا حكته شمس الدار (١)

ويؤكد ثورته السابقة بترك المديح للغلمان ولخدم الغانيات ، وأن يتجه بشعره إلى إظهار رغيف الخبز ومحاسنه ، ولعل الشاعر هنا يهمه الواقع فى المقام الأول ، فماذا يعوز المكدى فى حياته سوى المال ورغيف الخبز ، لذا فهو الأولى بالمديح قبل كل شئ ، لهذا قال مصرحا أن بكاء الأطلال يترك لكل جاهل ينتحب على ديار خربة :

فدع الطلول لجاهل يبكى الديار الخاليات

ودع المديح لأمرد ولخادم لغانيات

وامدح رغيفا زانه حرف يجل عن الصفات (٢)

وتجد هذه الصيحة المشوبة بالثورة على الإطار التقليدى صداها عند شعراء الكدية ، وكأن ابن المخفف قد حمل عنهم وزر تخطى هذا الحاجز النمطى ، لذلك نلحظ

---

(١) الورقة ١١٥ .

(٢) نفسه ١١٤ .

فى أشعارهم تعددا فى شكل المقدمات ولكن بطريقة مضطردة ليس لها ضابط فى بعض الأحيان ، وكأنهم قد استحلوا لأنفسهم التلاعب ببناء القصيدة ، وهذا مرجعه إلى طبيعة المكدى نفسه وماتعكسه عليه حياته المعاشة ، فاضطراب مقدماته هو صدى حياته القلقة .

إن أبا الرقعمق صاحب النمط التقليدى السابق فى مقدمات قصائده يتخلى عنه فى بعض ماينظم ويتأثر بمذهب قرينه ، ليبدأ إحدى قصائده المدحية بمقدمة فكاهية ساخرة ماجنة ، لاتدرى ما المقصود منها مع أنه فى مقام المديح ، وإن كان أقرب التكهنات إلى الذهن ، هو محاولة إضحاك ممدوحه حتى ينال عطاياه ، ومع ذلك فهذه المقدمة غير نمطية وليست مألوفة يقول فيها :

خذ فى هناتك مما قد عرفت به   مما به أنت معـــروف ومشهور

واحك العصافير صى صى صى صصى صصصى

إذا تجاوبن فى الصبح العصافير

ففيك ماشئت من حق ومن هوس   قليلة لكثـير الحمـق إكسـير

كم رام إدراكه قوم فأعجزهـــم   وكيف يدرك مافــيه قـناطيـر

لاتنكرن حمـاقــاتـى لأن بـها   لواء حمقى فى الآفاق منشـور (١)

ويقلب أبو الرقعمق البناء النمطى المتعارف عليه للقصيدة ، فبدلا من أن يبدأها بالوقوف على الطلل ثم يدخل فى موضوعه المنوط بالنظم ، بدأها بالحديث عن الفسق والمجون ، ثم أعقبه بالوقوف على الرسم الدراس ، ثم أنهاها بالمديح قائلا :

عـد عـن قـال وقــيل   وصـعـــود ونـــزول

---

(١) يتيمة الدهر ٣٢١/١.

حصص الحق فماذا شئت من قول فقولى

غير أنى أقهل النا س لشئ مستحيل

فاسمعن منى ودعنى من كثير وقليل

وصغير وكبير ودقيق وجليل

قد ربحنا بالحماقا ت على أهل العقول

فرعى الله ويبقى كل ذى عقل قليل

ماله فى الحمق والخفـ ـة مثلى من عديل (١)

وانطلاقا من هذا التنوع لمقدمات القصائد المكدية ، بدأ أبو الشمقمق قصيدة هجائية بإزماعه الرحيل من بغداد إلى الأهواز ، حيث المعازف واللهو والخمر والجوارى والأمانى المطعمة باللذة المستقبلية ، ولعلنا نلحظ هنا أيضا عدم التوافق بين هذه المقدمة وموضوع القصيدة ولكنها طبيعة المكدى العابثة ، لذا قال :

ما أرانى إلا سأترك بغدا د وأهوى لكورة الأهواز

حيث لاتنكر المعازف واللهـ ـو وشرب الفتى من التقماز

وجوار كأنهن نجوم الـ ـليل زهر مثل الظباء الجوازى (٢)

واضحات الخدود أدم وبيض فاتنات ميل من الأعجاز (٣)

بين عوادة وأخرى بصنج فى بساتينها وفى الأحواز

ذاك خير من التردد فى بغـ ـداد تنزو بى البغال النوازى (٤)

وسيرا على المألوف أحيانا يبدأ المكدى قصيدة مدحية بحديث عن الخمر ، من مثل هذه الأبيات لبديع الزمان التى نظمها فى الرئيس أبى جعفر الميكالى ، والتى قال فى مقدمتها :

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣٣٠.

(٢) الزهر : البيض الجوزي : التي تجزأ بالرطب عن الماء أي تلتقي به .

(٣) الميل : جمع ميلاء ، وهي المائلة ، أثقلتهن أعجازهن فملن في مشيتهن .

(٤) رسائل الجاحظ ٢/ ٣٦٧ ، شعراء عباسيون ١٥٥ ، ١٥٦ .

وهو للناس صبـــــــاح   ولذى الرأى صبـــوح

والذى يمرح بى فى حـــلـ   ـبة اللهـــو جمـــوح

اسقنيها والأمـــــــــــانـ   ـى لها عرف يفـــوح (١)

وهكذا نلحظ أن الشاعر المكدى من خلال تنويعه السابق لمقدمات قصائده قد ساعد على تحرير القصيدة من مقدمتها التى قعدها القدماء ، وإذا كان أبو نواس وبشار بن برد قد ثارا على البدايات الطللية للقصيدة العربية ، فإن المكدى أسهم ولو بقدر ضئيل فى استكمال ثورتهما .

---

(١) يتيمة الدهر ٤/٢٩٤ .

الفصل الثانى

اللغة

ينقسم الحديث عن لغة الكدية إلى مراتب ثلاث :

- لغة الأعراب
- لغة الشعراء
- اللغة الخاصة

ولقد كان لكل واحدة منها خصائصها التى تميزها عن غيرها ، لذلك سنفصل القول فيها لنتعرف ملامح هذه الخصائص ، وكيف استطاع المكدى أن يوظف هذه المستويات داخل أدبه .

لغة الأعراب :

يقتصر أمر هذه اللغة على الأعراب المستجدين من أهل الكدية دون سائر أهل الطائفة ، فقد خرج الأعرابى المكدى إلى الناس ولايمتلك من أمر نفسه إلا محصلة من لغة بدوية قاموسية أمطر بها مستمعيه بوابل من الكلمات الموغلة فى البداوة ، والوحشية فى الألفاظ والمعانى ، لذا جاء أسلوبه فى هذا النوع من الاستجداء صعبا مستغلقا على الفهم ، بينما نراه فى جانب آخر وقد اتسم بالسهولة اللفظية مع الميل إلى الفصاحة والإيجاز .

وإذا كان أدب الكدية قد قدم الجانبين ، فإننى أرى أن الجانب الأول فى كثير من نماذجه اللغوية موضوع على الأعراب المستجدين ، وأنه من صنع اللغويين الذين رغبوا فى تقعيد صياغات لغوية خاصة ، أو استعراض لمهارات لغوية ، أو لإدخال كلمات داخل النص العربى ربما كانت مستهجنة أو غير مستعملة ، لذلك استغلوا الأعرابى المكدى المعروف بانتسابه إلى البدو ، ونثروا على لسانه كل الألفاظ العربية ، ودليلنا على ذلك هذه الخطبة لأعرابى سائل فى المسجد الحرام ، وقف مخاطبا جموع المصلين

بهذه اللغة الصعبة قائلا (يامسلمون ، إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إنى امرؤ من أهل هذا الملطاط الشرقى المواصى أسياف (١) ، تهامة ، عكفت على سنون محش ، فاجتبت الذرى وهشمت العرى ، وجمشت النجم ، وأعجت البهم ، وهمت الشحم ، والتحبت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والناس أوزاعا ، والنبـط قعاعا ، والضهل جزاعا ، والمقام جعجاعا ، يصبحنا الهاوى ، ويطرقنا العاوى ، فخرجت لا أتلفع بوصيدة ، ولا أتقوت هبيدة ، فالبخصات وقعة ، والركبات زلعة ، والأطراف قفعة ، والجسم مسلهم ، والنظر مدرهم ، أعشو فأغطش ، وأضحى فأخفش ، أسهل ظالعا ، وأحزن راكعا ، فهل من آمر بمير أو داع بخير) (٢) .

إن هذا النص اللغوى تظهر فيه آثار الصنعة اللغوية واضحة ، فكيف لنا أن نصدق أن هذا الأعرابى المكدى وهو فى مقام الطلب من الناس ، استطاع أن يضمن سؤله كل هذه الكلمات القاموسية التى تحتاج من سامعها حصيلة لغوية ذات مستوى خاص ، مع أن الأولى به أن يميل إلى البساطة اللغوية حتى يتفهم مراده كل رواد المسجد ، فينال بذلك عطاياهم ، وإلا كيف يتعرفون مراده وقد وضحه لهم فى هذه الكلمات المعبرة عن سوء الحال ، كالمحش والذرى والعرى والأوزاع والقعاع والجزاع والجعجاع والهاوى والعاوى والهبيدة والوصيدة إلى غير ذلك من الكلمات التى وردت داخل النص وتحتاج إلى جهد ذهنى ولغوى لتفهم مقصودها .

على أننا بهذا الحكم لانستطيع أن ننفى كل نماذج الاستجداء ذات الصياغة اللغوية الصعبة التراكيب ، فهناك نماذج لغوية كثيرة موجودة فى استجداء الأعراب

---

(١) الملطاط : كل شفير نهر أو واد .

(٢) الأمالى ١١٣/١ - ١١٤ محش : جمع محوش ، وهي التي تمحن القلأ ، أي تحرقه اجتبت : افتعلت . هشمت : كسرت . جمشت: اختلفت . النجم : مالحجم ولم يستقل علي ساق . أعجمت : جملته عجلها . همت : أذابت . المور : الذي يجئ ويذهب . الغور : الغائر . أوزاع: فرق . النبط : الماء الذي يستخرج من البئر . القعاع : الماء الملح المر . الضهل : القليل من الماء . الجزاع : أشد المياه مرارة . الجعجاع : الأرض . الهاوي : الجراد . العاوي : الذئب.التلفع : الاشتمال . الهبيد : حب الحنظل . البخصات : لحم باطن القدم . زلعة : مشققة . المسلهم : الضامر المتغير .

المكدين ولكن ليست على غرار الصورة الأولى ، فمن المنطقى أن الأعرابى المكدى تغلب عليه سليقته اللغوية فى بعض الأحيان ، فيخرج علينا بنماذج لغوية ذات دلالات خاصة ، ولكن لاتحمل كل هذا الكم من الغموض وقاموسية الألفاظ ، كهذا النموذج الذى قال فيه أعرابى يعرض فيه سوء حاله وقومه (أيها الناس ، إخوانكم فى الدين وشركاؤكم فى الإسلام ، عابروا سبيل ، وفلال بؤس ، وصرعى جدب ، تتابعت علينا سنون ثلاث غيرت النِّعم ، وأهلكت النَّعم ، فأكلنا مابقى من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمنى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاما ، وعاد إشراقنا ظلاما ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، وينكبنا السهل ، وهذه آثار مصائبنا ، لائحة فى سماتنا ، فرحم الله متصدقا من كثير ، ومواسيا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله خير المتصدقين) (١) .

إن الفرق واضح بين هذا النص وسابقه ، فاللغة سهلة ، والمعنى المراد لايكاد يستغلق على الفهم ، وهذا يوافق فى كثير منه طبيعة المستجدى السائل الباحث عن الرزق ، ونماذج هذه الصورة اللغوية كثيرة فى استجداء الأعراب المكدين (٢) .

وعنـدما نتطرق إلى المستوى اللغوى الثانى للأعراب المستجدين ، فإننا نجد أنفسنا أمام نماذج لغوية تختلف عن سابقتها فى كثير منها ، فلا تعقيدات لغوية أو ميل إلى الإغراق ، أو صعوبة فى الألفاظ ، بل فصاحة فى السؤال ، وإيجاز وقصر فى الجمل ، إلى حد يصل إلى كلمتين فقط فى كل جملة ، من مثل هذا النموذج لأعرابى سائل وقف طالبا من رجل قائلا (إنى امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفـدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن ، فحقق الأمل ، وأحسن المثولة ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد) (٣) ، ومن مثل ذلك قول هذا الأعرابى بصيغة

(١) العقد الفريد ٤٣٣/٣ - ٤٣٤ .

(٢) انظر هذه النماذج في عيون الأخبار المجلد الثالث (الجزء الثامن) ١٢٥ ، ١٣٢ / المحاسن والمساوئ ٤٣٣/٢ / العقد الفريد ٤٢٩/٢ ، ٤٣٢/٣ .

(٣) العقد الفريد ٤٣١/٣ .

لغوية تميل إلى الفصاحة والإيجاز (سنة جردت ، وحال جهدت ، وأيد خمدت ، فرحم الله من رحم ، وأقرض من لايظلم) (١) وكاستجداء هذه الأعرابية القائلة (وقاكم الله هول المطلع ، وضيق المضطجع ، وبعد المنتجع) (٢) .

إن نماذج هذه الصور اللغوية كثيرة عند المكدين ، بل هى تمثل الأغلب الأعم من صور الاستجداء ، لكونها أقرب إلى العامة من الأولى ، وأقرب أيضا إلى طبيعة المكدى المستجدى حتى لو كان أعرابيا ، فعلى الرغم من أنه بدوى المنبت ، عـريق اللغة ، إلا أن حرفته قد فرضت عليه عدم الإغراق والغرابة اللفظية ، وأن ينحى قليلا لغته البدوية من أجل رزقه ، فهو لايخاطب أعرابا مثله يفهمون قصده مباشرة ، بل مستويات عدة تتفاوت من الناحية اللغوية قوة وضعفا ، لذا كان الوصول إليها عبر كلمات فصيحة موجزة هو الأقرب إلى استدرار المال ، بينما الإغراق فى اللغة وقاموسية الألفاظ يعنى النفور وعدم الإستجابة .

لغة الشعراء :

تميزت لغة شعراء الكدية بالسهولة اللفظية ، مع البعد عن الألفاظ القاموسية سواء فى المفردات أو التراكيب.فالشاعر المكدى استمد معجمه الشعرى من ألفاظ الحياة اليومية ، ومما يجرى على ألسنة العامة ، لذا جاء شعره سهلا لاغموض فيه ولا إغراق .

فالمعروف أن الشاعر العربى منذ الجاهلية كانت لغته تميل إلى استخدام المفردات والتراكيب الصعبة ، إلا أن هذه الصياغات اللغوية كان لها من الموضوعات مايناسبها ، كوصف الجاهلى لرحلته الشاقة فى الصحراء ، وماصادفه من حيوانات ، أو رسم صورة مثالية لناقة عملاقة كما نظم طرفة فى معلقته ، أو التفنن فى إظهار براعة فرس متفرد كما قال بذلك امرؤ القيس وعنترة ، أو فى وصف الطبيعة أو فى شعر الطرديات ، ولقد

---

(١) المحاسن والمساوئ ٤٢٣/٢

(٢) البصائر والذخائر ٢٤٠/١ .

استمر هذا حتى فترات متقدمة وبخاصة فى شعر المديح والفخر والهجاء .

بيد أن هذا المستوى اللغوى السابق ، لايتناسب مع الشعراء المكدين من قريب أو بعيد ، فطبيعة المكدى وشاعريته لاتؤهله لمثل هذا المستوى ، يضاف إلى هذا أن نوعية موضوعاته لاتحتمل هذه الصور اللغوية الصعبة ، وأيضا طبيعة متلقيه من أهل الطبقات الدنيا .

ولم تكن السلاسة اللفظية سمة مميزة لشاعر منهم دون آخر ، فبتتبع أشعار أبى الشمقمق وابن لنكك وابن الحجاج والأحنف العكبرى وأبى فرعون الساسى وأبى دلف الخزرجى نجد أن اللغة المسيطرة عليهم جميعا تحمل هذه السمة ، ومستمدة من قاموس العامة ، وأن ألفاظهم لا إغراق فيها ، ولقد كان لهذا النمط اللغوى المستعمل أثره فى الحفاظ على شعرهم من الاندثار ، لكونه جرى على الألسنة ، وتناقلته العامة والخاصة لطرافته ، وخفته ، وبساطة تراكيبه .

لقد استطاع المكدى أن يوظف اللغة السهلة فى نقل صورة حية من واقعه إلى الآخرين ، تسعفه فى ذلك ألفاظ غير معقدة التراكيب ، تصور دقائق أموره دون عناء ومشقة ، مما كان له الأثر الواضح والمباشر فى أن تتفهم العامة مراده وبسرعة ، ونستطيع أن نتلمس آثار هذه اللغة السهلة فى هذه القصة التى رواها أبو فرعون على مسامع العامة مصورا فيها بؤس أولاده قائلا :

وصبية مثل صغـــار الذر ... سود الوجوه كسواد القـــدر

جاءهم البرد وهم بشـــــر ... بغير قطف وبغـــير دثـــر

تراهم بعد صلاة العصــر ... بعضهم ملتصق بصـــــدرى

وآخر ملتصق بظهـــرى ... إذا بكوا عللتهم بالفجــــر

حتى إذا لاح عمود الفجر ... ولاحت الشمس خرجت أسرى

عنهم وحلوا بأصول الجدر   كأنهم خنافس فى جحــــر

هذا جميع قصتى وأمرى   فاسمع مقالى وتولى أمرى

فأنت أنت ثقتى وذخرى (١)

إن السامع لهذه القصة المنظومة يستطيع من الوهلة الأولى تفهم المراد منها ، وهذا هو الشئ الأساسى الذى يبغيه المكدى من استخدامه للغة سهلة تكون عونه للوصول إلى متلقيه ، ولعله يظهر بوضوح داخل هذه القصة كم المفردات المستمد من ألفاظ الحياة اليومية الذى تتداوله العامة فى أحاديثها من مثل سواد الوجـــوه ، القدر ، البرد ، صلاة العصر ، الفجر ، الصدر ، الظهر ، الخنافس .

ولقد حوى شعر الكدية كثيرا من هذه الألفاظ التى جعلها الشعراء مادتهم اللغوية المكونة لمعظم شعرهم الخاص بوصف حالهم ، وأولادهم ، ولباسهم ، ومنازلهم ، ونستطيع أن نحصى كثيرا منها فى هذا المقام لنتعرف مقدار تغلغل هذه الألفاظ اليومية فى شعر الكدية ، فابن الحجاج عندما يصف طعامه الخالى من كل شئ ، يأتى من مفردات الحياة اليومية مايبثه داخل نظمه كالخبز الحاف والمرق واللحم والملح (٢) ، وعندما يقارن بين طعامه وما تأكله كلاب أحد القادة ،يذكر القصاب والملحى وهما من العامة ، ويعيشان بين الناس ويبيعان لهما اللحم والملح (٣) ، وعندما يصف بخته وماعليه من حظ عسر ، يظهره من خلال المفردات التـــــالية ، فقدت بختى ـ بختا قذرا ـ (٤) .

وعندما يصف أبو الشمقمق سوء حاله ، وإفقار بيته من كل شئ حتى هجرته

---

(١) الورقة ٥٧/ طبقات الشعراء ٣٧٦/ والمحاسن والمساوئ ٤١٨/٢.

(٢) انظر هذه المفردات في أبيات الشاعر في يتيمة الدهر ٥٦/٣ .

(٣) نفسه ٥٧/٣ .

(٤) نفسه ٣٨/٣ .

الفئران والسنانير ، يذكر من ألفاظ العامة الدقيق ـ الفخارة ـ القفر ـ الدار ـ البيت ـ العمارة ـ الحارة (١) .

وعندما يتحدث عن شراب أولاده يذكر بول الحمار عوضا عن الماء (٢) ، وعندما وصف سريره ذكر الحصير ، والديس - وهو المعروف فى مصر بالسمار ، وهو المادة المكونة للحصير - والشابكة التى تشبك بها الملاءة (٣) ، وعندما يأتى العيد لايجد لأولاده ، مايقدمه لهم ، يذكر داخل شعره ماتستخدمه العامة فى هذه المناسبة ، كاللحم والخبز والأرز والتمر ولبن العنز (٤) .

وأبو فرعون الساسى عندما يطالع الناس بسوء حاله ، يذكر مايضايقه من حشرات طفيلية كالقمل ، ويذكر اللحية والضراط (٥) .

إن جميع هذه الألفاظ مستمدة من الحياة ، وتستخدم بكثرة ، وعندما استمدها المكدى وجعلها قاموسه الشعرى ، أكسب شعره السلاسة اللفظية ، وسهولة المعنى وسعة الانتشار .

ولم يخل المعجم اللغوى عند الشاعر المكدى من ألفاظ الحشرات عند حديثه عن مسكنه ، وهذه الصورة مقابلة لواقعه الاجتماعى ، فالحشرات من الأشياء المألوفة لأهل الطبقات الدنيا ، من مثل البراغيث والقمل والخنافس والعناكب إلخ ، ولقد وردت فى أشعار أبى فرعون الساسى (٦) ، والأحنف العكبرى (٧) وأبى الشمقمق (٨) .

---

(١) انظر ذلك في الحيوان ٥/٢٦٤- ٢٦٥ .

(٢) انظر ذلك في طبقات الشعراء ١٢٧، وشعراء عباسيون ص ١٤٠ .

(٣) انظر ذلك فى العقد الفريد ٣/٣٦ .

(٤) انظر ذلك فى طبقات الشعراء ١٢٧- ١٢٨ .

(٥) انظر ذلك فى الإمتاع والمؤانسة ٢/٥٣ .

(٦) انظر ذلك فى : نفسه ٢/٥٣ ، والورقة ٥٧ .

(٧) انظر ذلك فى : المنتحل ١٦٩ .

(٨) انظر ذلك فى : محاضرات الأدباء ٤/٦٨٧ ، الحيوان ٥/ ٣٩٠ .

أيضا جمع هذا المعجم الشعرى اللغوى المستمد من البيئة العديد من أسماء الحيوانات ، كالجاموس والبغال والكلاب والبقر والخنازير والفئران والسنانير والحمير .

و استغل أبو الشمقمق معظمها فى الهجاء للتحقير من شأن مهجوه ، والإقلال من قدره (١) ، وفى أخرى للسخرية من نفسه وقلة ذات يده (٢) ، أيضا استعار ابن لنكك صورة الكلب فى هجائه لأحد الشخصيات (٣) .

وإذا نحينا هذه المفردات اللغوية التى استخدمها المكدى الشاعر فى موضوعى الوصف والهجاء ، لنتطرق إلى بقية موضوعاته ، نجده أيضا مال إلى السهولة اللفظية فى المديح والاستجداء ، وجاءت نماذجه الشعرية فى الموضوعين شاهدة على ذلك ، والمكدى الشاعر فى مديحه أو استجدائه يعوزه المال ، لذا صار على نفس المنوال السابق من السهولة اللفظية حتى يضمن فهم مراده ، كقول هذا الرجل الذى وقف يسأل الناس :

ألا فتى أروع ذو جمـــال   من عرب الناس أو الموالى

يعيننى اليوم على عيالى   قد كثروا همى وقـل مالى

وساقهم جدب وسوء حالى   وقد مللت كثرة الســؤال (٤)

وعلى غرار هذه الصورة جاء كثير من نماذج الاستجداء عند الشاعر المكدى .

وجاء مديح المكدى على نفس الدرجة من السهولة ، وأغلبه طلبى ، لذا تلطف فيه عبر ألفاظ سهلة كقول هذا الرجل :

أصلحك الله قل مابيدى   فلا أطيق العيال إذ كثروا

---

(١) انظر ذلك في:الحيوان ٤/٤٥٤ ، ١/٢٦٤ .

(٢) انظر ذلك في:نفسه ٥/٢٦٤، ٢٦٥ .

(٣) انظر ذلك في:خاص الخاص ١١٢.

(٤) البيان والتبيين ٣/٢٢٤ .

ألح دهر رمى بكلكـلـه فأرسلونى إليك وانتـظروا (١)

أو قول ابن الحجاج لممدوحه :

فيا ملبسى النعمى التى جل قدرها لقد أخلقت تلك الثياب فجدد (٢)

بناء على هذا نرى لغة الشعراء المكدين اتسمت بصفة عامة بالسهولة والبعد عن التعقيدات اللفظية والتراكيب الخاصة .

اللغة الخاصة

نعنى بهذا الاسم الكلمات التى استنها أهل الكدية ، ووضعوا ألفاظها ومعانيها حسب ما اقتضوه هم فى تحديد مسميات الأشياء ، والتى جاءت غريبة على مسامع غيرهم ، مفهومة لهم ، ووجه الغرابة فيها يكمن فى ألفاظها ومعانيها .

وأول من نوه عن هذه اللغة الجاحظ فى كتابه البخلاء ، أثناء حديثه عن شخصية خالويه المكدى ، عندما أورد على لسانه مجموعة من المصطلحات الخاصة بأهل هذه الطائفة ، خلال حديثه مع مجموعة من الرجال فى أحد مجالس بنى تميم ، عن الفرق بين مساكين الدراهم ومساكين الفلوس ، مصنفا لهم بعضا من طوائف الكدية ، معلما إياهم أنه واحد منها وذلك عندما قال عن نفسه (أنا كنت كاجار فى حداثة سنى ، ثم لم يبق فى الأرض مخطرانى ولامستعرض إلا فقته ، ولاشحاذ ولا كاغانى ولابانوان ولاقرسى ولاعواء ولامشعب ولافلور ولامزيدى ولا إسطيل إلا وكان تحت يدى) (٣) .

بهذه المصطلحات فتح الجاحظ الباب أمام هذه اللغة الخاصة لتدخل عالم الأدب ،

---

(١) المحاسن والمساوئ ٢٩٤/١ .

(٢) المنتحل ٧٠ .

(٣) البخلاء ص ٤٦ ويرجع في شرح معاني هذه المصطلحات إلى المعجم الملحق بالكتاب .

وبراها أهله . فالمخطرانى والكاغانى والبانوان والقرسى والمشعب والفلور والعواء والإسطيل ، ماهى إلا مصطلحات تعبر عن شخوص داخل دائرة الكدية يحتالون على الناس لنيل عطاياهم .

ثم جاء البيهقى فى محاسنه ، وذكر بعضا من المصطلحات الأخرى التى لم ترد على لسان خالويه فى بخلاء الجاحظ ، كالمكى والسحرى والشجوى والزّرارحى والحاجور والخاقانى وزكيم المغالطة والكان والمقلقل وزكيم الحبشة ، وجميعها مصطلحات تعبر عن شخصيات مكدية أيضا (١) .

على أن هذه اللغة الخاصة كشفت عن نفسها بوضوح على يد الخزرجى بقصيدته الساسانية ، وصفى الدين الحلى بمخطوطته (الساسانية) ، وكلاهما ذكر كثيرا من مصطلحات الطائفة ، ويرجع الفضل فى نظم قصيدة أبى دلف إلى الصاحب بن عباد ، الذى كان مغرما بهذه الطائفة ولغتها الخاصة ، حتى أنه كان يتحدث بلسان أهلها مع أبى دلف ، دون أن يفطن لهما أحد من الحضور . ولقد أوضح الثعالبى فى صدر ترجمته لأبى دلف أن هذه القصيدة معارضة لدالية الأحنف العكبرى فى المناكاة وذكر المكدين (٢) .

والأمر هنا يستدعى وقفة ، فدالية الأحنف وردت فى يتيمة الدهر فى ثمانية أبيات فقط (٣) ، والمفروض أن المعارضة تأتى على غرار الأصل ، مع ذلك لم يذكر الثعالبى شيئا عن بقية الأبيات ، والرأى عندى أنه ربما كانت دالية الأحنف تعادل كم أبيات الخزرجى ، إلا أنها فقدت على غرار كثير من أدبنا العربى ، الذى اقتص منه على فترات متباعدة من الزمن ، مابين ضياع أو حرق أو نهب أو إهمال أدى إلى تلف كثير من النماذج الأدبية .

---

(١) المحاسن والمساوئ ٤١٣/٢ - ٤١٧ والكلمات مشـــــروحة في الجزء الخاص بمعجم مصطلحات الكدية .

(٢) يتيمة الدهر ٣٥٣/٣ . المناكاة هي القيام بما يغضب الغير من أجل قهره ، ومناكاة الكدية نوع من الهجاء والسب .

(٣) انظر في ذلك نفسه ١١٧/٣ - ١١٨ .

وتأتى مخطوطة الحلى استجابة لرغبة أحد أصدقاء الشاعر ، الذى سأله أن يجمع له لغة الغرباء ، وفنونهم وحيلهم فى معايشهم ، ليتوصل بذلك إلى بعضهم لغرض فى نفسه فجمعها له (١) ، وقد أورد عبر مخطوطته كثيرا من مصطلحات الكدية ، جاءت صورة مقابلة لساسانية الخزرجى ، من حيث ذكره لصنوف أهل الكدية ومراتبهم وحيلهم ، والاختلاف فيها أنه جعل الحرف والحيل جميعها بيد شخص واحد ، هو الذى دارت على لسانه كل أبيات القصيدة ، بينما الخزرجى استطاع أن يجسد طوائف مهنته حسب رجالها الذين يندرجون تحتها ، والسبب فى هذا يرجع إلى أنه واحد منهم ، لذا كان أعلم من غيره بأهله وحرفهم ، ومن قبيل إرجاع الفضل لأهله فالحلى استطاع أن يصور لنا ثراء هذه اللغة من خلال كم المصطلحات الكثيرة التى ضمنها قصيدته ، والتى كشفت عن تطور هذه اللغة على مدار الزمن .

وبهذا السرد نحصر لغة المصطلح عند الكدية فى مصادر أربعة ، تبدأ بالجاحظ فى بخلائه ، فالبيهقى فى محاسنه ، ثم الثعالبى فى يتيمته ، وأخيرا مخطوطة صفى الدين الحلى .

ولغة الكدية كمصطلح ليست شيئا جديدا ، فهى من قبيل اللغات المتعارف عليها بين أهل الطائفة الواحدة ، فهناك لغة خاصة بالنور ، وأخرى باللصوص ، وثالثة للصوفية ، ورابعة للطفيليين ، وخامسة للبخلاء إلى غير ذلك .

ويبدو أن أهل الكدية أجهدوا أنفسهم لوضع هذه اللغة من أجل أن تستخدم كنوع من التفاهم الخاص فيما بينهم ، وأرادوا عبرها أن يستشعروا ـ كجانب نفسى ـ أنهم يمتلكون شيئا ليس فى حوزة غيرهم ، وكأنهم بذلك يردون على زمان وقف أمامهم بالمرصاد ، أو أن طبيعة حرفتهم اقتضت تعمية المواقف المحتال بها على غيرهم ، لذلك كان من الضرورى إيجاد صيغة حوارية جديدة وغريبة على مسامع مشاهديهم .

ولما كان أمر اللغة على هذه الحالة من الغموض ، كان من اللازم محاولة تعرف

---

(١) مقدمة المخطوط .

الجذور اللغوية التى استقى منها أهل الكدية هذه الكلمات الغريبة ، وهل هى من اختراعهم ؟ أم أنهم وضعوا نسقها على غرار البنى الصرفى فى العربية ؟ وماهى مجالاتها الدلالية المستخدمة فيها ؟

وللكشف عن ذلك كله تمت دراسة هذه اللغة فى المحاور التالية :

١- دراسة للبنى الصرفية .

٢- الكشف عن الجوانب الدلالية فى التركيب اللغوى ، من أضداد ، وترادف، ومشترك لفظى ، واشتقاق .

٣- التنويه عن الكلمات ذات الأصول الفارسية داخل لغتهم ، سواء اتفقت معها فى المعنى أو اختلفت ، طالما أن الأصل واحد بين الكلمتين .

٤- شرح المجالات الدلالية لهذه اللغة واستعمالاتها المختلفة .

وسنتعرض الآن لكل محور فيما سبق بالدرس والتفصيل .

١- البنى الصرفى :

أورد المكدى عبر شعره كثيرا من الأفعال بأشكالها المختلفة ، والتى صاغها على الصور الصرفية فى اللغة العربية ، لذلك نلحظ عنده الأفعال الثلاثية الأصول ، والمزيدة بحرف ، والرباعية ، وقد أحيا فى استخداماته هذه بعضا من الأفعال الرباعية التى كانت مهملة ، ولم تستخدم آنذاك ومع ذلك وظفها فى أشعاره ، وسنتناول الآن عرض هذه الأفعال .

* الأفعال الثلاثية المجردة والمزيدة بحرف :

لم ترد الأفعال الثلاثية المجردة بكثرة كما وردت مزيدة بحرف ، فتضعيف العين كان من أبرز الأشياء التى نلحظها فى الأفعال المستخدمة عند أهل الكدية ،

وأرى أن السر فى ذلك يرجع إلى شدة حرصهم على إظهار مبالغة مايصنعون ، فكثير من الأفعال الثلاثية جاءت مشددة الحرف الثانى مما يؤكد مانقوله ، وهذا يتناسب مع حيل المكدى ، التى تميل فى كثير منها إلى المبالغة لاسيما إذا كان مستجديا بعاهاته ، لذلك كثر حديثهم عن أصحاب هذه الحيل والعاهات، بصيغ الأفعال الثلاثية المضعفة العين بينما الأفعال الثلاثية المجردة نجدها في المفردات التالية :

حاف : انقلب . صاح : ارتفع صوته .

ومس : عــــرف . رش : كدي بعلة ماء الورد .

قص : روى الأحاديث .

ومن أمثلة الأفعال الثلاثية مضعفة العين ، والتى فى كثير منها تدل على عمل شخصيات مكدية وحيلها :

حرّز : كتب التعاويذ والأحراز. شطب : عقر نفسه بالموسى

كوّز : قام فى المجلس . فكّك : الذى يفك السلاسل على الطريق .

دمّع : بكى فى الأسواق عند البرد حتى يعطى .

كيّس : خرج على الناس ليأخذ ما فى كيس نقودهم .

غلّس : من يكدى فى الفجر .

ركّب : من يطلى جسمه بزيت السمسم .

دكّك : المحتال على الناس بإخراج دود لمن به وجع فى الأسنان .

قدّس : أكل الكبد المطحونة .

دنّك : قال وأسمى .

شقّف : من يكتب الرقاع بماء النوشادر .

كسّى : أخفى .

ذكّر : كدى .

حنّن : خضب كفيه بالحناء .

شدّد : من يشدد على الناس فى رواية الحديث .

* الأفعال الرباعية :

احتلت الأفعال الرباعية مرتبة تالية لصيغ الأفعال المستخدمة فى أشعار الكدية التى تحمل لغة خاصة ، بعد صيغ الأفعال الثلاثية المضعفة العين ، ومثلت كل كلمة منها نموذجا لواحد من أهل الطائفة ، أو طريقته في التكدية ، وهذه الأفعال هى :

بشرك : تزيا بزى الرهبان . زنكل : المحتال فى السلب .

ميسر : كدى على أنه من الثغر . ميزق : كدى .

دروز : دار على السكك والدروب وسخر بالنساء .

قرمط : كتب التعاويذ . نوذك : كدى على أنه من الحجاج .

مخطر : بلع لسانه .

* الجمع :

تعددت صيغ الجمع فى شعر المكدين الذى يحمل لغة خاصة ، لكن كان الغالب

عليها جموع التكسير ، وفى بعض الأحيان كانت صيغ الجمع تأتى على غير قياس مما هو متعارف عليه عند العرب ، وفى البعض الآخر تأتى صيغ الجمع بدون مفرد ، وسنذكر الآن أمثله لكل هذه الأنواع :

* جمع المذكر السالم وهو أقل صيغ الجموع :

بشتدار : غــلام

بشتداريون : الذين يخرجون إلى القرى فيحملون رحالاتهم ، ومايجمعون بها من حب وصوف وغيره .

- جمع المؤنث السالم :

شغاثة : مسجـد . شغاثات : مساجـد .

كذابة : عصابة تشد على الجبهة . كذابات : عصابات .

دغرة : غارة . دغرات : غــارات .

* جموع التكسير التى تجمع مابين القياسى وغير القياسى :

مشمول : رغيف . مشاميل : رغفـــان .

قجــم : حديث . قجـمـان : أحـاديث .

مــرد : درهــم . مــرود : دراهــم .

نسـب : بيت . أنســاب : بيــوت .

* الجموع المتنوعة التى ليس لها مفرد عندهم ولا فى اللغة أيضا :

وانى : دراهم . أحشان : عوام .

أزدان	:	أكمام .	بزاوين	:	أعاجم وكرد .
ريانيح	:	مدارس .	دوانيك	:	أحاديث .
كزاكي	:	حكام .	كواريب	:	حمامات .
جميع	:	قواد .			

* كلمات تشترك فى البنية الصرفية مع الكلمات العربية مع اختلاف الفونيمات:

أحيانا كانت تصاغ الكلمة المصطلح عليها عند الكدية مع نفس حروف معناها، وهذا يعنى أن كلماتهم على هذه الصورة تتفق مع البنية الصرفية العربية ، لكن مع اختلاف الأصوات المكونة وهى الفونيمات ، وأعتقد أنهم صاغوا كلماتهم مع جرس ومعانى الكلمة المصطلح عليها قبل وضعها ومن أمثلة ذلك :

رصى	:	وصى	ربص	:	صنف
هابر	:	قاسم	رصف	:	صفع
أدصاى	:	أعداى	زرد	:	شبع
أزدان	:	أكمام	زلى	:	صلى
أطاننى	:	أماتنى	كارذ	:	قاعد
بركشت	:	فصلت			
بهتى	:	وجهى	كرز	:	وقف
تشفير	:	تجريح	كشنه	:	أكله

عتيل	:	فقير	كلفتي	:	تركي
فنق	:	سكت	مريخ	:	مهجل
فيس	:	كذب	مزفت	:	مفلس
جرخ	:	رقص	موس	:	عرف
جفيت	:	خفيت	خفق	:	عرف
مناكلة	:	مقاسمة	داصاني	:	عاداني
دمخ	:	لحق	نفذ	:	نفع
الدمق	:	الدهر	نفر	:	سخط
دهشم	:	مخرق	دوانيك	:	أحاديث
دغرات	:	غارات	نقر	:	غضب
ينفي	:	جوعي	ريخت	:	حسنت
هول	:	يوم	يصمى	:	يسقى

٢- الجوانب الدلالية للتركيب اللغوي :

* الأضداد

ورد داخل لغة الكدية الخاصة نماذج للكلمة وعكسها ومن أمثلتها :

الهريب	:	الشئ الردئ الفاسد	الكشيع	:	الشئ الجيد
القنابر	:	الكسرة من الخبز	المشاميل	:	رغفان الخبز

كرز	:	وقف	كارز	:	قاعد
خندج	:	ضحك	التنيب	:	البكاء
فتاء	:	نصرانى	ميم	:	مسلم
كدن	:	امرأة	شناط	:	رجل
تطبيب	:	مراضاة	نفر	:	سخط
بشتدار	:	غلام	قاروب	:	شيخ
ربح	:	جاء	نطس	:	ذهب
اسطيل	:	متعامى	جزر	:	مبصر
خربشة	:	قرية	قنثة	:	مدينة
استكاف	:	أخذ	لحن	:	أعطى
فنق	:	سكت	دنك	:	قال
زرد	:	شبع	نيف	:	جوع

* الترادف

ورد فى لغة الكدية الخاصة كلمات مترادفة كثيرة ، أغلبها يدور حول أسماء أماكن وملابس وألفاظ تدل على السرقة والأحاديث العادية ومن أمثلة ذلك :

اسطيل	:	أعمى	طليم	:	أعمى
اسطيل	:	مسجد	شغاثة	:	مسجد
كركى	:	صلى	زقى	:	صلى

كيذ : اللقاء الجنسى — كمد : اللقاء الجنسى

حشم : أطعم — كشهش : أطعم

كلن : امرأة — علاقة : امرأة

ومس : عرق — خلق : عرف

عواء : من يكدى بين المغرب والعشاء .

مستعش : من يكدى على الدور بين العشائين .

خشيزك : عقار — قنبيل : عقار

حزق : صاخ — قزقل : صاح

عبى : نهب وسلب — استكاف : نهب وسلب

دوانيك : أحاديث — قجمان : أحاديث

قانون : قميص — قازن : قميص

كشباسه : لحية — بشباسة : لحية

السالوس : الكلام المنمق — القجمم : الكلام المنمق

مشاميل : رغفان الخبز — قفيا : خبز

زمغ : نوم — دمخ : نوم

مرد : درهم — وان : درهم

كسر : درهم

زقى	: قرأ		سرمط	: قرأ
ترقى	: قرأ			

* المشترك اللفظى :

قلت فى لغة الكدية الخاصة نماذج لكلمات تدل على المشترك اللفظى بالقياس إلي مارأيناه فى الترادف ، ومن أمثلة ذلك :

اسطيل	: أعمى		اسطيل	: مسجد
موس	: ظن		موس	: عرف
ربح	: عظم		ربح	: جاء
الدكاك	: الذى يرقى من القولنج		الدكاك	: هو دكاك الطاسات

هذه الأمثلة البسيطة تدل على ندرة هذا الجانب الدلالى فى لغتهم ، وهذا يعنى أنهم لم يشغلوا أنفسهم بإصطلاح كلمات لها أكثر من معنى .

* الاشتقاق :

لم يكتف المكدى فى مصطلحاته الخاصة بالكلمة الواحدة للتعبير عن معنى بعينه فقط ، بل جعل هذه الكلمة فى بعض الأحيان مصدرا ، واشتق منه كثيرا من الكلمات التى استخدمها فى أشعاره ، وهذه الاشتقاقات جاءت متنوعة كأن تكون فاعلا أو جمعا أو فعلا إلى غير ذلك ، وهذا يدل على ثراء هذه اللغة ، وربما يعود أمر هذا الاشتقاق إلى تعدد طوائف الكدية ، وأن كل طائفة منها اصطلحت لنفسها واشتقت من المصدر الموضوع ماتراه مناسبا لها ، ومن أمثلة الاشتقاق :

تشفير	: تجريح	مشفر	:	مجرح	
قجم	: حديث	قجمان	:	أحاديث	
مريخ	: معظم	تريخ	:	تعظيم	
ينطس	: يذهب	نطاس	:	القوى القلب	
مدرج	: رجل	مدرجة	:	قوم ينامون على السكك	
مخطر	: الذى يبلغ لسانه	مخطرانى	:	المحتال الذى يدعى أن لسانه مقور.	
سرمط	: كتب	سرمطت	:	كتبت سرماط : كتاب	
طنا	: مات	طانى	:	أميت	
كدن	: امرأة	كدة	:	المرأة التى تسأل الناس	
كداد	: نساء	كدنى	:	امرأتى	
كاغ	: متجانن	كاغة	:	متجاننة	
كاغان	: الغلام المكدى	الكاغانى	:	الذى يدعى الجنون	

٣ـ الكلمات ذات الأصول الفارسية :

ورد فى مصطلحات الكدية الخاصة كلمات ذات أصول فارسية . وربما يرجع السبب فى ذلك إلى انتساب هذه الطائفة إلى الفرس ورائدها ساسان كما أشرنا من قبل، الأمر الذى أدى إلى أن يستعينوا فى لغتهم ببعض من الكلمات الفارسية، أو أنهم اكتسبوا هذه الكلمات من خلال تجوالاتهم ورحلاتهم فى البلاد، ثم ضمنوها داخل معجمهم الخاص، ومن الملاحظ أن هذه الكلمات تتفق فى بعض منها مع نفس معناها فى اللغة الفارسية . وفى أخرى تختلف وتأخذ مدلولا آخر . ومن أمثلة ذلك :

المصطلح	المعنى عند الكدية	المعنى في اللغة الفارسية	ملاحظات
باتــوان	هو الذي يقف على الأبواب ويسأل أهلها . ويقــول باتــوا أي يامولاي .	المحظــوظ السعيد ـ السيدة ربــة البيت ـ السيدة المحترمة .	اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى
التنبــل	هو الذي يقبل المخاريق على نفسه ويغتر بما يورده المتجم عليه ، فيخرج دراهمه طمعا في ردها فيأخذها منه ويسخر به .	الكســول ـ البليــد	اتفاق في اللفظ مع اختلاف المعنى.
السالوس	الكلام اللين المنمــق	النفاق ـ الاحتيــال ـ الخداع	نفس المعنى
فيسَ	كــذب	غــرور ، تكــبر	اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى.
قشــم	المعشــوق	المــال ، هيئة ، أصــل ، طبيعــة .	اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى.
الكــاغ	المتجانــن	صوت اجترار الحيوان ، صوت صياح ، أنين	اتفاق في اللفظ مع اختلاف المعنى .
الكبــاب	النــار	اللحم المشوي ، قطعة لحم توضع في السيخ وتسوى على النار .	اتفاق في اللفظ مع اختلاف المعنى .
كــش	أكــل	الإبط ـ الصدر ـ الحسن ، الطيب .	اتفاق في اللفظ مع اختلاف المعنى.

المصطلح	المعنى عند الكدية	المعنى فى اللغة الفارسية	ملاحظات
كيسان	قوم عرفوا من الكيسانة والغلاة فيحبونهم ويكدون عليهم بالمذهب .	اسم شخص	نفس المعنى
ميسر	عرفت وعلمت	ثمل - سكران - غائب عن الوعى .	اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى.
الهادور	قوم ينظرون فى الفأل والزجر » والنجوم ، ويعطون قوما دراهم حتى يسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظروا لهم ، ثم يردون الدراهم عليهم ، وربما أخذوها وقالوا لاتأخذها لأن نجمك ماخرج كما تريده	الوضيع - الحقير - عديم الأصل - المتسول الوقح .	اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى.

٤ - المجالات الدلالية للغة الكدية الخاصة :

لاتعبر اللغة عن وجودها إلا إذا كان لها مجالات دلالية تستخدم فيها ، ومفردات لغة الكدية تحوت كثيرا مما يدور فى الحياة ، و استخدمت فى كل تعاملاتهم وحيلهم ، وإذا أردنا أن نصنفها نجدها ممثلة فيما يلى :

- ألفاظ خاصة بمسميات عامة فى المجتمع .
- ألفاظ مستخدمة فى حالات النهب والسرقة .
- ألفاظ خاصة بأهل طائفة الكدية وحيلهم وحرفهم .
- ألفاظ خاصة بالعبادة والدين .
- ألفاظ يستخدمها المكدى فى حياته اليومية .
- ألفاظ خاصة بالقراءة والمعرفة وأسماء العلوم .
- ألفاظ خاصة بالمهن والحرف .
- ألفاظ خاصة بالموت .
- ألفاظ خاصة بالغيبيات .
- ألفاظ خاصة بالتجارة والبيع .
- ألفاظ خاصة بالطهى وأدواته .
- ألفاظ خاصة بطباع وخلق الإنسان .
- ألفاظ خاصة بأعضاء الإنسان وحواسه وهندامه .
- ألفاظ خاصة بالأعداد .
- ألفاظ خاصة بالعملة المتداولة .
- ألفاظ خاصة بأسماء الأماكن .
- ألفاظ خاصة بالحركة والصوت .
- ألفاظ خاصة بالألوان .
- ألفاظ خاصة بأدوات مستعملة .
- ألفاظ خاصة بالحب والعشق .
- ألفاظ خاصة بأسماء حيوانات وحشرات .

إن هذا الكم من المجالات الدلالية التى يغطيها المصطلح الخاص الذى استنه أهل الكدية ، يكشف لنا عن مدى اتساع هذه اللغة حتى أنها غطت كل الألفاظ المتداولة بين الناس ، مع تحويلها إلى مفردات لغوية ذات دلالات خاصة بالكدية .

ولقد اختلفت هذه الألفاظ من حيث الكم ، حسب المجال الدلالى المستخدمة فيه ، فمثلا شغلت الألفاظ الخاصة بأسماء أهل الطائفة وحيلهم ، حيزا كبيرا من مفردات هذه اللغة ، ربما لأنها الأساس الذى يعبر عن خصوصية هذه الطائفة ، أو لأنها المصدر الخاص برزقهم ، فهذا الجزء الدلالى صور عبر ألفاظه كل حيلهم وعاهاتهم المصطنعة وأسماء أصحابها ، وتأتى الألفاظ الخاصة بما يحتاجه الإنسان فى حياته من مأكل ومشرب فى المرتبة التالية ، يليها مايتعلق بألفاظ العبادة والدين ، وهذه الألفاظ تهم قطاعا كبيرا من أهل الكدية هم أصحاب الاستجداء ، الذين يعتمدون فى كسب رزقهم على دور العبادة ، أو أولئك الذين يحتالون على الناس باسم الدين .

وفى مقابل هذه المجالات المتسعة الألفاظ عند الكدية ، نجد بجوارها ندرة فى بعض المجالات من مثل ألفاظ الغيبيات ، التجارة ،، الحب والعشق ، لأنها من الأشياء التى لا تمثل أهمية قصوى بالنسبة للشخصية المكدية ، والآن يعوزنا تعرف الألفاظ الخاصة بكل مجال دلالى حتى يتضح لنا اتساع هذه المجالات لكل أوجه حياة المكدى فى ذلك الوقت .

• الألفاظ الخاصة بمسميات عامة فى المجتمع :

الاحسان	:	العوام	بزاوين	:	أعاجم وترك
جميع	:	قواد	عتيل	:	فقير
الكزاكى	:	الولاة والحكام	القراكيش	:	أكابر الغرباء
بشتفار	:	غلام	سساقين	:	مردان
شناط	:	رجل	علاقة	:	امرأة
فتاء	:	نصرانى	كفاد	:	نساء
كفن	:	امرأة	كشاوى	:	يهودى
كفلنى	:	مغول	كفتى	:	تركى

كوش	:	عبد أسود	شوزر	:	أمرد
ويخ	:	ولد			

* الألفاظ المستخدمة فى حالات النهب والسرقة :

تخص هذه الألفاظ طائفة من الكدية اعتمدت على السلب والنهب من الناس ، وهى التى تحدث عنها أبو دلف فى قصيدته الساسانية قائلا :

ومنا الزنج والزط - سوى الكباجة السمر (١)

والمقصود بالكباجة هنا اللصوص ، وهذا يعنى أنهم كانوا أحد طوائف الكدية ، والألفاظ هنا توضح مايحدث فى حالة الغزو من سلب وقسمة وجرح وقتل واختفاء ، وهذه الألفاظ منها مايطلق على اللصوص وقطاع الطرق وهى :

استكافوا	:	أخذوا وسلبوا	خفى	:	خبأ
دغرة	:	هجمة	دغرات	:	غارات
الرصف	:	الصفع على الوجه	صدى	:	منع
عبيت	:	نهبت وسلبت	أدصاى	:	أعداى
كازان	:	المكدى الذى يهجم	دمخ	:	لحق
القينون	:	موضع القسمة	تكسا	:	اختفى
الكباجة	:	اللصوص	الكناش	:	قاطع الطريق
كسى	:	اختفى	مشفر	:	مجرح
هابر	:	قاسم	لأطن	:	إماته وقتل

* ألفاظ خاصة بأهل الطائفة وحيلهم :

يعتبر هذا الجزء من أكبر الأجزاء كما من حيث المصطلحات ، وهذا أمــر منطقى ، ففيه كل ما أطلق على كل مكد من اسم كمصطلح خاص يميزه عن غيره من أهل الطائفة ، وذلك لتباين الحرف والطوائف التى تندرج تحتها ، وفيه أيضا تفصيل للعاهات التى كان يتذرع بها المكدى من أجل اكتساب الرزق ، وقد أطلق على كل

---

(١) يتيمة الدهر ٣٦٩/٣

عاهة ما اصطلحوا عليه فى إبانتها ، والكشف عنها فى قاموسهم اللغوى وسنقسم هذه الألفاظ إلى :

أ ـ قسم خاص بالأسماء التى أطلقت على الكدية ومن ينتسب إليها .

ب ـ قسم خاص بألفاظ العاهات وأسماء أصحابها .

جـ ـ قسم خاص بألفاظ أهل الحرف المكدية .

* ومن القسم الأول نجد هذه الألفاظ :

تقيف	:	تكدى	بهاليل	:	رؤساء المكدين
ميزق	:	كدى	أبو شمر	:	أول من أكدى بحلة الغزاة
ساسان	:	شيخ الطريقة	الخشنى	:	الذى لايكدى
القطبان	:	ولد ساسان	الكعبى	:	إمام الكدية بعد خالويه المكدى .

* ومن نماذج القسم الثانى هذه الألفاظ :

الاسطيل	:	المتعامى وهو بصير	المعسوم	:	المفلوج
البركوش	:	المتصامم	المشولق	:	المريض

الحاجور : الذى ينام على الطريق ، ويحتال على الناس بأن يكسر بيضة على حجره ، ويدعى أنه يبول على نفسه .

الحوق : صاحب اليد الوجيعة .

المشطب : الذى يعقر نفسه بالموسى .

المخطرانى : الذى يبلع لسانه ويدعى أن الروم قطعوه .

الطفشل : من يعلق لسانه داخل فمه .

المدشش : الذى ينام ويجعل فى استه شبه حشو كالدشيشة ويدعى المرض .

المرشش : الذى يلقى ببوله على المارة .

المزنق : من يثقب فى بدنه ثقبا حتى يتورم .

المزلق : الذى يحشو مجارى الاست .

مطلى دم الأخوين : من يجعلون فى أجسادهم بثورا يمرضون منها ، ويعكسون

بسببها .

سعفة الريح : قوم يرتعدون أمام المارة ، ويدعون أن الجـن لطمتهم أو أنهم قتلوا سنورا .

الكاغ : المجنون شداد معصم :الذى يشد يده ويدعى أنها قطعت

الكاغة : المتجاننة الحوق : صاحب اليد الوجيعة .

* ومن نماذج القسم الثالث هذه الألفاظ :

المحرز : من يكتب التعاويذ .

المدكك : من يرقى الناس بالرقية لإخراج الدود من الأسنان .

الهادور : من ينظرون فى الفأل والزجر والتنجيم .

المشقف : من يكتب الرقاع بماء النوشادر .

الهزاق : من يرقى المجانين .

الدكاك : الذى يرقى من القولنج .

المبركك : الذى يقلع الأضراس .

الهشتكانى : بائع الخرز والمسك .

المدرمك : من يبيع العطر على الطريق .

حافر الطرس : من يحفر قوالب التعاويذ .

السنان : الذى يعطى دواء الأسنان .

السمان : الذى يعطى دواء السمنة للنساء .

* ألفاظ خاصة بالعبادة والدين :

هذه الألفاظ تدور حول أماكن العبادة عند المسلمين، وما يطلق على علماء الدين من أسماء وضعها المكدون لهم، وكذلك ألفاظ خاصة ببعض أركان الإسلام من صوم وصلاة، وهذه الأشياء مردها إلى طبقة المتاجرين بالدين من أهل الكدية، والذين كانوا يحتالون بتقمصهم لشخصيات دينية وينالون عبرها عطايا الناس، وكذلك إلى المستجدين على دور المساجد ، وقد ذكرنا ذلك في القسم الخاص بحيل المكدين في الباب الثاني فى موضوع الوصف ، وهذه الألفاظ هى :

القشاش :	الشيخ طويل اللحية	المذقان :	المحراب
المشواذ :	المتحانن فى الحديث	صوفان :	شيخ الصوفية
قاروب :	شيخ	القالى :	محدث القصص
ميمت :	أسلمت	أكركى :	أصلى
الكرش :	الصوم	معكف :	صائم
بهية النسب :	صورة البيت الحرام	شفاثات :	مساجد
اسطيل :	جامع	عش رضوان :	الجنة
ذو الزجر :	العالم المتقشف الورع	زقى :	صلى
ذوشان :	الله سبحانه وتعالى		

* الفاظ يستخدمها المكدى فى حياته اليومية :

هى ألفاظ خاصة بما يحتاجه المكدى على مدار يومه من مأكل ومشرب وطلب للاغتسال إلى غير ذلك مما يصنعه أى فرد فى يومه العادى ، وألفاظ هذا المجال الدلالى كثيرة نظرا لحاجة المكدى إليها ، وهى من الضروريات التى لايستغنى عنها ، لأنه إما يطلبها أو يقولها أو يصنعها بنفسه ، ومن أمثلتها :

شموله :	خبز	القفيا :	خبز السبيل
مشاميل :	رغفان	قنابر :	كسرة الخبز
جوازات :	ماتبقى من طعام	كشش :	أطعم
كش :	أكل	كشنه :	أكله
كزرع :	سقى	أصمانى :	أسقانى
تبكيت :	نوم	زمخ :	نوم
كواريب :	حمامات	تلاغ :	كلام
تنيب :	بكاء	خندج :	ضحك

فنق :	سكت	تلفت :	تكلمت
تمصى :	نظر	هنكم :	تجمع
ربح :	جاء	نطس :	ذهب

* الفاظ خاصة بالقراءة والمعرفة وأسماء العلوم وهى :

ارقى :	أقرأ	ترقيت :	قرأت
تكليل :	كيمياء	خفق :	عرف
دنك :	قال	ربانيح :	مدارس
زقى :	قرأ	ومس :	عرف
سرماط :	كتاب	سرمط :	كتب
مست :	عرفت وعلمت	موس :	عرف

* ألفاظ خاصة بالمهن والحرف :

هى ألفاظ خاصة بشخصيات مكدية اعتمدت على الحرفة فى كسب الرزق ، وأغلبها من الحرف العادية التى نلحظها فى حياتنا اليومية هذه الأيام ، وهذا يعكس نظرة المجتمع العربى إلى أصحاب الحرف ، وأنهم أشبه بالمتسولين وأهل الكدية ، والفرق بين هذه الألفاظ ومايخص ألفاظ الحرف المكدية فى القسم الثالث من الألفاظ الخاصة بأهل الطائفة وحيلهم ، أن هذه الطائفة اعتمدت على كسب اليد ، بينما الثانية اعتمدت على الحيلة فى جلب المال ، ومن أمثلة هذا المجال الدلالى :

نفاذ :	بائع الهياكل	نفذ سبحات :	بائع السبح
بصاص :	كحال	تميم :	حرفة استخراج الكنوز
الدباب:	من يرقص الدببة	القراد :	مرقص القرود
الكشاب:	المنجم	المراس :	الحواء
رختانى :	صاحب العقاقير	زالانى :	معلم الحمار

ساقــى :	من يقوم بسقاية الناس	شلبى :	المعاجينى
طفشلى :	فلاح	غرشة :	صنعة الخيل

* ألفاظ خاصة بالموت :

طنا :	مات	أطنانى :	أماتنى
طانى :	أميت		

* ألفاظ خاصة بالغيبيات :

كراجيم : جــن

* ألفاظ خاصة بالتجارة والبيع :

أنفدت :	بعت	أبالز :	أبيع
بلزت :	بعت	الدغر :	المقاسمة

* ألفاظ خاصة بالطهى وأدواته :

هذه الألفاظ الخاصة بهذا المجال الدلالى لاتعنى أن المكدى كان يطعمها ، بل هى أمنيات كانت حبيسة فى صدره ، وكان يتنفس عنها فى أشعاره ، ولعل ما أوردناه من شعر لابن الحجاج وغيره من شعراء الكدية فى موضوع الوصف يدل على صدق مانقول ، فقد تمنى المكدى أن يطعم اللحم ، والسمك ، والمرق ، ولما افتقده ماديا صاغه نظما ، ومن أمثلة هذه المفردات ، التى كررها مرة أخرى بلغة خاصة :

المخزون :	اللحم	القصر :	الفرن
القفيا :	خبز السبيل	بزهمى :	سمك
حازوز :	سكين	مرق :	طبيخ المرق
حراق :	مرآة يشعل بها النار		
الداموع :	البصل		

* ألفاظ خاصة بطباع وخلق الإنسان :

مسنبل :	مهمل	مشقاع :	أرعن
نفر	سخط	داصاني :	عاداني
محبرش :	متعاون	هات :	شتم
خندج :	ضحك	دتشم :	لطمه على خده
نقر :	غضب	ازغمر :	أتيقن
زران :	خائف	سالوس :	كلام منمق
فيس :	كذب	نير :	صاح

* ألفاظ تتعلق بأعضاء الإنسان وحواسه وهندامه :

استغل المكدى معظم أعضائه الجسدية فى إبراز عاهاته المصطنعة وبخاصة الأيدى والأقدام ، بينما جسد سوء حاله نظما ونثراً عن طريق إظهار ماعليه من ثياب رثة بالية ومن هذه الألفاظ التى ضمنها لغته الخاصة ودلت على استعمالاته تلك :

الهلاب:	الثياب	السرمل :	القميص المخرق
قانون :	قميص	لطخ :	ثياب
قازن :	قميص	بازدان :	أكمام
منسان :	عصاة	مقلاع :	عمامة
مصلبان :	شعر	بشباشة :	لحية
برغاشات :	أذان	جوازير :	أعين
مزادن :	لسان	مدرج :	رِجل
بهت :	وجه	جزر :	بصر
مقر :	ظهْر		

* **ألفاظ خاصة بالأعداد :**

اقتصرت الأعداد التى ضمنها المكدى لغته الخاصة على خمسة فقط ، تنوعت مابين الواحد إلى العشرة ، وعبر بها عما جمعه من دراهم كقول الحلى فى مخطوطته على لسان مكديه ، الذى أعلن للناس أنه غريب وموطنه سجستان، فجمعوا له المال لمعاونته :

وتلفت تلاغ البزاوين عامـــدا ودنكت أنى من قعناة سجستان (١)

فجاءت مرود القوم شنا وباخســا وشمالة من بعد دست وصلبان (٢)

تضمن البيت الثانى الأعداد التى ذكرها المكدى الخمسة وهى :

باخسن :	واحد	شنا :	إثنان
صلبان :	أربعة	شمالة :	خمسة
دست :	عشرة		

* **ألفاظ خاصة بالعملة المتداولة :**

شغل المكدى كثيرا مايناله من عطايا الناس ، لذا كان اهتمامه بالعملة يحمل مدلولا خاصا ، ولعل ماذكره الجاحظ من حديث طويل على لسان خالويه المكدى ، كان مرده إلى أنه شرح لأصدقائه أن سائله من مساكين الدراهم وليس من مساكين الفلوس ، (٣) ومجرد وقوفه على مقدار ما يناله هذا السائل يدل على أهمية هذا الأمر ، لذا تحدث المكدى في لغته الخاصة عن الفلس والدرهم والدينار ومن أمثلة هذه المصطلحات :

تبك :	فلس	قترتبك :	قطعة فلس
الكسر :	الدرهم والدينار	مـــرد :	درهم
وان :	درهم	مرقان :	دينار
مـط :	مال		

(١) تلفت : تكلمت . تلاغ : كلام البزاوين : الأعاجم والكرد . دنكت : قلت وأسميت .

(٢) مخطوطة الحلى ٥ . المرود : الدراهم.

(٣) بخلاء الجاحظ ٤٦ .

* **ألفاظ خاصة بأسماء أماكن :**

اهتم المكدى بأماكن بعينها لأنها كانت مصدر رزقه ، ولعل المستجدين من المكدين أكثر طوائف الكدية ولعا باختيار الأماكن ذات التجمعات السكانية المكتظة لنيل أكبر قدر كاف من الرزق ، لذا خصصوا جانبا من لغتهم الخاصة للحديث عن هذه الأماكن ، كالمساجد التى يستجدى منها أصحـــاب التجافيف (١) ، وأهل الشغاثات (٢) ، والمقشش (٣) ، والكدة التى تسأل مع زوجها (٤) ، والطرقات التى يجوبها المستعشى (٥) . وجرار العيالات (٦) ومن ألفاظ هذه الأماكن :

شغاثات: مساجد

خريشة : قرية

قنبيل : عقار

قنثة : مدينة

نسب : بيت

اسطيل : جامع

خشيزك : عقار

قنثى : طريق

قنيدة : قلعة

* **ألفاظ خاصة بالحركة والصوت :**

هى ألفاظ يستخدمها المكدى فى أوقات بعينها ، كالإغارة أو الصلاة أو قراءة الفأل والنجوم ، أو فى روايته للأحاديث أو فى حيله المستجدى بها ، ومن أمثلة هذه الألفاظ :

الحزق : الصياح

قزقل : صاح وعمل حيلة

أشكان : دخول

الرصف : الصفع

كارذ : قاعد

تزتانى : غنائى

ترقيت : قرأت

استكاف: أخذ

دغره : هجمة

عبيت : نهبت وسلبت

مرمدوها : مضوا

التبنيب : البكاء

(١) ارجع في ذلك إلى: يتيمة الدهر ٣/ ٣٧٠ وأصحاب التجافيف قوم يأوون المساجد وعليهم مرقعات يستجدون الناس

(٢) نفسه ٣/٣٥٩ الشغاثات : مساجد ، وأهل الشغاثات قوم يكدون إذا صلى الناس .

(٣) نفسه ٣/ ٣٦٠ والمقشش رجل يستجدى داخل المساجد .

(٤) نفسه ٣/ ٣٧٠ والكدة هى المرأة المستجدية التى تسأل الناس ومعها زوجها فى الجامع .

(٥) نفسه ٣/ ٣٦٠ المستعشى : من يدور على الأبواب وفى الشوارع يطلب العشاء .

(٦) نفسه ٣/٣٦٣ جرار العيالات : من يكدى ومعه صبية يجوب بهم الطرقات .

خندج :	ضحك	ربح :	جاء
زقى :	صلى	القحم :	الكلام المنمق
نير :	صاح	دوانيك :	أحاديث

* ألفاظ خاصة بالألوان :

ارتبطت هذه الألوان بحيل المكدين الذين يكتبون على الرقاع كما كان يصنع المشقف ، الذى كان يكتب رقاعه بماء النوشادر ، ويتركها بين يديه ، فإذا رأى أحد ضحاياه ، طلب منه أن يجرب بخته ، فيأخذ رقعة ويقذفها فى النار ، فيظهر المكتوب أسود ، وفى هذا قال أبو دلف معبرا عن هذه الحيلة :

ومـن شـقـف بـالـمـاء ومـن شقـف بالجـمـر (١)

ويظهر اللون الأصفر عبر حيلة أخرى للحاجور الذى يثقب بيضة على حجره ، ويدعى أنه مريض ويبول على نفسه كما قال عنه الخزرجى :

وحـاجـور وكـذابـا ت أهـل الأوجـه الصـفـر (٢)

وتطالعنا الحناء بلونها المائل للحمرة ، فى أولئك الذيـن يخضبون لحاهم بها ، ويدعون أنهم من الشيعة ، والذى صورهم أبو دلف قائلا :

ومنا منفـذ الـطـيـن وأصحـاب اللحـى الحـمـر (٣)

ومن أمثلة الألفاظ الأخرى المعبرة عن الألوان :

تريد :	عقار أبيض .	سخام :	سواد
بريازار :	ذو الألوان .		

* ألفاظ خاصة بأدوات مستعملة فى مواقف متعددة :

هذه الأدوات كان يستخدمها بعض المكدين ويحتالون بها على الناس ومن ألفاظها :

---

(١) المرجع السابق ٣/٣٦١ .
(٢) نفسه ٣/٣٥٧ .
(٣) نفسه ٣/٣٦١ .

مهوكك : مشرط الأضراس . مغ : آلة التنجيم .

صنـــار : ما يعلق فى الأجفان للمداوة .

الجامور : آلة كالطاسة المكتوبة يخرج منها الدخان بلا نار

جنحان : المقص حازوز : سكين

*ألفاظ خاصة بالحب والعشق :

لم يقصد المكدى هذه الألفاظ لذاتها ، وإنما عبر بها عن الزوجة ، فمثلا يحدثنا مكدى الحلى فى مخطوطته أن معشوقته ، إذا رأته مفلسا أعرضت عنه لذا قال :

وإن بصنى قشمى وأمرى مزفت يدنك بعد الهول ماعدت تلقانى (١)

وهذا البيت هو الوحيد الذى تحدث فيه المكدى بلغة خاصة عن العشق ، لذلك فألفاظه هى : قشمى : معشوقى .

* ألفاظ خاصة بأسماء حيوانات وحشرات :

تنوعت ألفاظ الحيوانات الموجودة فى لغة الكدية الخاصة ، مابين القاتلة والأليفة وشديدة التحمل ، وهذه الحيوانات كان يستخدمها المكدى فى كسب رزقه كالحواء والقراد والدباب ، وهم طائفة من أهل الكدية ، تحدث عنهم الخزرجى فى معلقته ونسبهم إلى أهل الطائفة قائلا :

ومناكل مـــراس جسور جاهل هـزر (٢)

ومناكل ســـباع عظيم الليث والببر (٣)

ومن قـرد أو دبـ ـب من كل فتى غمر (٤)

وأصحاب هذه الحرف لابد لهم من استخدام حيوانات تجمع حولهم الناس ، لذا استخدموا القرود والسباع والدببة والثعابين فى نيل المال من الآخرين ، بينما الحشرات الطفيلية كالناموس والقمل فهى أليف لايفارق المكدى كما صرح بذلك مكدى الحلى ، قائلا بأن

---

(١) مخطوطة الحلى . ١٥ بصنى : نظرنى. أمرى : نفسى الهول : اليوم .

مزفت : مفلس . يدنك : يقول تلقانى : تجامعنى .

(٢) يتيمة الدهر ٣٦٦/٣ ، المراس : حاوى الحيات .

(٣) نفسه ٣٦٦/٣ . السباع : من يكدى على السباع .

(٤) نفسه ٣٦٦/٣ القراد : من يكدى بالقردة .

القمل لايترك وجهه ورجله ولحيته وثيابه ، وهذا أمر منطقى يطابق واقع المكدى سواء فى مسكنه أو لباسه لذا قال :

وقد شلف الهيوج بهتى ومدرجى   وكشباشتى مع مصلبانى ولطخانى (١)

لذلك كثرت ألفاظ الحيوانات والحشرات فى لغتهم الخاصة ومن أمثلتها :

خش :	أفعى	زال :	حمار
كماخة :	عقرب	شسوص الخش:	أنياب الأفعى
ملجم :	سنور	مذكور :	خنزير
صهل :	فرس	كبشتر :	جمل
نمس :	ناموس	وبـــر :	كلب
هيوج :	قمل		

وبعد نستطيع الآن أن نقول بعد استعراضنا للغة الكدية الخاصة المتمثلة فى أشعارهم ذات المصطلحات الخاصة ، أن هذه اللغة على الرغم من اختراعهم لها واصطلاحهم لألفاظها ، جاءت مستوحاة من الأبنية العربية ، وليست بعيدة عنها إلا فى النادر . وأن كثيرا من كلامهم صاغوه على جرس ومعنى الكلمات المصطلح عليها فى العربية مع اختلاف الفونيمات المكونة لها . ولقد ظهر واضحا ولعهم الشديد بالفعل الثلاثى المضعف العين ، والذى يدل فى كل استعمالاته على المبالغة فى إظهار الشئ ، وكان ذلك مطابقا لتصنعهم الشديد لحيلهم والمبالغة فيها .

ولقد تعددت جوانبهم الدلالية فى تراكيبهم اللغوية ، مما دل على ثراء هذه اللغة وتطورها ، وكان لنشأتهم الفارسية أو لتطوافهم ورحلاتهم ، أثره فى سقوط كلمات فارسية فى لغتهم ، سواء طابقت معانيهم المصطلحة أو اختلفت .

ولقد تنوعت المجالات الدلالية للغتهم ، وغطت كل جوانب حياتهم مما أعطى لهذه اللغة استمرارا مع الزمن دام حتى عصر الحلى ، الذى دون فى مخطوطته كما كبيرا من مصطلحاتهم الخاصة ، ولقد أحسوا بتفردهم الشديد بهذه اللغة لكونهم امتلكوا شيئا ليس لغيرهم .

---

(١) مخطوطة الحلى ١٤   الهيوج : القمل - البهت : الوجه - المدرج : الرجل
الكشباشة : اللحية - المصلبان : الشعر - اللطخ : الثياب .

الفصل الثالث

الصّور والمحسّنات

يفتقر أدب الكدية فى كثير منه إلى الصور والمحسنات . فالشعر يخلو من المعانى والأخيلة إلا النادر منه وكأنه ينظم عفويا ، والنثر لانلحظ فيه سوى الالتزام بالسجع كظاهرة ملازمة لاستجداء الأعراب .

ويرجع السبب في ذلك إلى شخصية المكدى الفنية ، التى أثرت عليها الظروف الاجتماعية بصفة عامة ، فحالت دونه والأناة فى إخراج أعمال ذات جودة فنية عالية متكاملة الجوانب ، وهذا ملمح واضح على مدار الدراسة الفنية لمعظم أعمال المكدين .

أما بالنسبة للصور بصفة خاصة فقد اقتصرت على السجع والتشبيه ، وسنفصل الآن القول فى استخدام المكدى لهما ، وكيف وظفهما لخدمة أعماله الأدبية .

السجع

ارتبط السجع ارتباطا وثيقا باستجداء الأعراب وهذا أمر بدهى ، فالأعرابى المستجدى أهم مايميزه لغته التى تجرى على لسانه بالسليقة ، واستخدامها مسجوعة كان من أفضل الوسائل بالنسبة له للوصول إلى متلقيه عبر كلمات يزينها هذا اللون البديعى رونقا وبهاء بما تحمله من إيقاعات صوتية نابعة من تماثل حروفها ، واستجداء الأعراب كله اعتمد على السجع حتى فى أقصر صوره ، وباستقراء النماذج المسجوعة للأعراب نجدها تنقسم إلى قسمين :

- سجع يغلب عليه الصنعة .

- سجع بالفطرة مدفوع إليه صاحبه حسب حاجته ، وطبيعة مايتعرض له من مواقف مع سائليه ، وهذا القسم لاتكلف فيه ولازيادة .

ونماذج القسم الأول المسجوعة شبيه بلغة الأعراب المتكلفة المصنوعة ، بل لانبالغ

إذا قلنا إن نفس هذه النماذج ، هى بعينها التى تحمل هذه الصور من السجع المتكلف ، والتى أرجعنا مصدرها من قبل إلى أهل اللغة وصانعى الأخبار ، والتى تظهر فى صورة جلية فى خطبة الأعرابى السائل بالمسجد الحرام (١).

أما نماذج القسم الثانى فهى من السجع المقبول الذى ينسج سهلا يسيرا دون كلفة أو مشقة من صاحبه ، وهذا اللون لاكراهة فيه ، ويتفق مع شخصية المكدى المستجدى ، الذى تدفعه الحاجة إلى السلاسة دون التعقيد ، يساعده فى ذلك مايمتلكه من ملكة لغوية يطوعها فى استجدائه فتخرج لنا هذه النماذج المسجوعة .

ومن نماذج هذه الأسجاع العفوية التى تنسج فيض الخاطر دون صنعة مسبقة ، هذه الصورة لأعرابى سائل عبث به أحد الفتيان متندرا عليه ، فقال له بلغة مسجوعة جاءت وليدة اللحظة ، مظهرا له عبرها جهله وسخفه (ياهذا إنك منذ اليوم آذيتنى بمزحك ، وقطعتنى عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك ، ماكان السكوت يستره من أمرك ، ويحك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسط ، أعوذ منك ومن حال اضطرتنى إلى احتمال مثلك)(٢) .

إن نماذج هذا السجع كثيرة فى نثر الكدية ، وكما هو واضح لم يقصد لذاته بل جاء لطبيعة الموقف دون أن يذهب المراد من الكلام ، لذا فهو سجع صحيح مقبول كما يرى أهل البلاغة (٣) .

والسجع يأتى على وجوه عدة ، استخدم الأعرابى المكدى معظمها أثناء استجدائه ، من مثل ماجاء عنده متوازى الجزئين لايزيد أحدهما عن الآخر ، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه كقول هذه الأعرابية التى وقفت بين جمع الناس تعرض سوء حالها (سنة جردت ، وأيد جمدت ، وحال جهدت ، فهل من فاعل خير ، وآمر بمير)(٤)

---

(١) الأمالى ١/١١٣، ١١٤ ، ونموذج آخر فى العقد الفريد ٣/٤٣٢ . ويرجع إلى نص الأمالى فى الجزء الخاص باستجداء الأعراب من الباب الثانى.

(٢) زهر الآداب ٢/٦٠٥ .

(٣) سر الفصاحة ١٧١ . (٤) العقد الفريد ٣/٤٣٣ .

أو كقول أعرابى سائل لصديقه بعد أن امتنع رجل عن عطيتهما (نزلت والله بواد غير ممطور ، وأتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تدرك ما سألت ، ولانلت ما أملت فارتحل بندم . أو أقم على عدم) (١)

ومن صور السجع الأخرى التى وردت فى استجداء الأعراب المكدين ، ماكان مسجوعا بجملتين ، كقول هذا الأعرابى السائل مخاطبا جمهور الناس (أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويبرز الكعاب ، وقد حملتنا سنو المصائب ونكبات الدهور على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة رحمكم الله) (٢) .

وأحيانا تتعدد السجعات فى استجداء المكدى إلي أكثر من ذلك ، كتوالى ثلاث سجعات عند سائل طلب من أحدهم قائلا (نقص الكيل ، وعجفت الخيل ، وقل النيل ، فهل من رحيم آجره الله) (٣) . وفى صور أخرى تصل السجعات المستجدى بها إلى ست ، وربما كان للكثرة العددية للمتلقين الأثر المباشر فى طول نماذج الاستجداء المسجوعة عند المكدى ، لتطرب الأسماع اللهفة من كلمات تحمل تناغما موسيقيا يتمثل فى مقاطع حروفها المسجوعة ، مما يدفع الأغلبية منهم إلى الإغداق عليه ، كهذا النموذج الذى يقول فيه صاحبه (أين الوجوه الصباح ، والعقول الصحاح ، والألسن الفصاح ، والأنساب الصراح ، والمكارم الرباح ، والصدور الفساح ، تعيذنى من مقامى هذا) (٤)

وفى أحايين كثيرة يكون الدافع للاستجداء من الأسباب التى تجعل المكدى

---

(١) زهر الآداب ٤٥٧/٢ / محاضرات الأدباء ٥٩٥/٢

(٢) العقد الفريد ٤٣٤/٣

(٣) المحاسن والمساوئ ٤٢٤/٢ / العقد الفريد ٤٣١/٣

(٤) البيان والتبيين ٢٣٢/٣ / المحاسن والمساوئ ٤٢٣/٢

يكثر من السجع ، لكونه يرغب فى توصيل هذه الدوافع إلى متلقيه ، لهذا يتجاوز الالتزام بحرف معين يسجع به فى كل جملة إلى حروف عدة ، ينوع بها كلماته المسجوعة ، وتختلف باختلاف مقاطع الفصول ، من مثل هذا النموذج لأعرابى سائل وقف يصف حاله وأهله وما أصابهم من جدب قائلا ومعدداً أسباب ذلك (ياقوم تتابعت علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رجع ولا للأرض فيها صدع ، فنضب العد ، ونشف الوشل ، وأمحل الخصب ، وكلح الجدب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشطف المعاش ، وذهب الرياش ، وطرحتنى الأيام إليكم غريب الدار ، نائى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولاعشيرة ألحق بها ، فرحم الله امرأ رحم اغترابى ، وجعل المعروف جوابى) (١) .

وهكذا نلحظ أن السجع كان سمة مميزة لاستجداء الأعراب ، وأنه يغلب عليه الفطرة فلا تكلف ولازيادة يذهب من خلالهما المعنى المراد توصيله ، ولقد استفاد المكدى من تماثل الحروف المسجوعة للفته فى جذب أنظار الآخرين لنيل ماعندهم ، وجاء السجع عنده على وجوه عدة ، وتنوعت خطبه المسجوعة بين الطول والقصر بما يتناسب مع حاجته وطبيعة المتلقى .

التشبيه

يعد التشبيه من أبرز الصور الفنية التى استخدمها المكدى فى أشعاره ؛ لأنه من الأشياء التى لاتحتاج إلى مشقة ، فهو كما معروف عنه (صفة الشئ بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لامن جميع جهاته ، لأنه لوناسبه مناسبة كلية لكان إياه) (٢) .

والتشبيه على هذا المنوال أفضل الألوان الفنية التى تتناسب والشاعر المكدى ، لكونه يكفيه أن يعقد مقارنة بين شيئين يشتركان معا فى معنى من

(١) العقد الفريد ٤٢٨/٣ ، وهناك نماذج عديدة لهذا السجع فى الأمالى ١٩٤/٢ .
(٢) العمدة ٢٨٦/١ .

المعانى ، ليحصل بذلك على صورة تشبيهية ، على عكس الصور الفنية الأخرى التى تحتاج إلى صنعة متأنية ووقت ، وهما أشد مايحتاجهما لكى يعطينا أدبا ناضجا ، ولكن غالبا ـ كما أشرنا ـ لاتسعفه ظروفه السيئة ، وسعيه المستمر وراء الرزق ، فى أن يحقق الصورة المثلى للعمل الأدبى .

والشاعر المكدى كان بحاجة ماسة إلى مثل هذا اللون الفنى السريع ، لكى تنعم قصيدته ببعض معالم الصورة الفنية ، التى افتقدها فى كثير من الأحيان عبر خلوها من المعانى والأخيلة .

ولقد نقل الشاعر المكدى عبر تشبيهاته واقعه إلى متلقيه ، مستعينا بذلك بما يحيط حوله من عناصر البيئة ليقرب صوره إلى الأذهان ، لذلك نجد عناصر الصورة التشبيهية عنده مأخوذة من الحشرات، والحيوانات، والأطعمة، والطبيعة، والنماذج الكاريكاتيرية إلى غير ذلك ، وهذه الأشياء جزء لايتجزأ من واقعه ، وصورها لاتكاد تفارق عين أحد من أهل طبقته المعدمة ، أو الطبقات الأخرى المتوسطة التى يتجه إليها بنظمه ، لذا كان صادقا مع نفسه والآخرين عندما كون معالم الصورة التشبيهية عنده من جزئيات الواقع .

واستخدم الشاعر فى كل موضوع من موضوعاته التى تطرق إليها بالنظم بعض عناصر صوره التشبيهية السابقة ، ففى وصف حاله ومسكنه وأولاده وحظه من الدنيا يستمد صوره من الحشرات الطائرة أو الزاحفة ، أو الطيور أو بعض الحيوانات أو مكان مألوف ، كابن الحجاج الذي أراد أن يشبه كثرة أولاده فوصفهم بالفراش حول النار ، وشبه ما يخرج من بطونهم بما تفرزه الأفراخ في أعشاشها (١) . ويستمد صورة الفرخ مرة أخرى في تشبيه أحد أبنائه فيقول :

إن لى ابنا أمس خلفته　　فى منزلى كالفرخ في وكره (٢)

---

(١) يتيمة الدهر ٤٣/٣ .

(٢) نفسه ٦١/٣ .

ويشبه أبو فرعون الساسى أولاده الذين فقدوا الطعام بالخنافس فى الجحور وذلك عندما قال عنهم مشبها إياهم بهذه الصورة فى بيته الأخير :

وآخر ملتصق بظهـــــرى إذا بكوا عللتهم بالفجـــــر

حتى إذا لاح عمود الفجر ولاحت الشمس خرجت أسرى

عنهم وحلوا بأصول الجدر كأنهم خنافس فى جحـــــر (١)

ويشبه ماهم فيه من فقر بالأرض المجدبة التى لاخير فيها وذلك من خلال قوله :

كأنهم جناب أرض مجدب محل فلو يعطون أوجى سهمهم (٢)

ويشبه أبو الشمقمق عداوة الدهر لأولاده ، بتلك العداوة الفطرية بين الطيور الجارحة والأوز وذلك عبر قوله :

وذاك أن الدهر عاداهم عداوة الشاهين للوز (٣)

وعندما ينتقل المكدى من وصف أولاده إلى وصف ذاته يستخدم صوراً تشبيهية جديدة فى بعضها ، ومستمدة من الصور القديمة فى أخرى ، فأبو الشمقمق يشبه ضعف بصره بالخفاش وذلك عندما قـال :

صرت كالخـفاش لا أبـ ـصر في ضوء النهار(٤)

ويضيق ابن الحجاج بمنزله لعدم اتساعه وندرة مافيه ، فيشبهه بالقبر سواء فى ظلمته أو ضيقه ، قائلا :

---

(١) الورقة ٥٧ .

(٢) طبقات الشعراء ٣٧٨ . أوجى : لم يصب ، ويقال سأل حاجة فأوجى أى أخفق .

(٣) نفسه ١٢٧ .

(٤) الحيوان ٥٣٦/٣ .

مقيما أروح إلى منزل   كقبرى وماحضرت ميتى (١)

ويشبه أبو الشمقمق منزله الخالي من كل شئ بجوف الحمارة ، وهو مثل يضرب فى الخواء ، وذلك عبر حوار بينه وسنانير بيته التى تركته للسبب السابق ، وذلك عندما قال على لسان أحدهم :

لاصبر لى وكيف مقامى   وسط بيت قفر كجوف الحماره (٢)

وأحيانا يلجأ الشاعر المكدى إلى استلهام شخصية معروفة ليحولها إلى نمط يستمد منه صورة تشبيهية ، كقول أبى فرعون فى بخته بأنه يشبه الشيخ الذى اجتمعت عليه آفات عدة مابين صمم وعمى وضآلة جسم :

رأيــت فــى النـوم بــختــى   ففــى زى شيــخ أرت
أعــمــى أصم ضــئــيلا   أبــا بنـين وبــنــت(٣)

إن الصور الــسابقة كانت محاولة من المكــدى لنقل واقعه بصورة مبسطة سهلة ، وعندما استمد عناصره التشبيهية من البيئة المحيطة ، جعلها أكثر قبولا للآخرين ، فالفراشات والأفراخ والخنافس فى الجحور ، وجوف الحمارة ، والقبر ، والشيخ الأعمى ، والأوز ماهى إلا صــور مألوفة لأهل طبقــته ، وسامعيه من الطبقات الدنيا ، لذا كان من السهل عليهم تفهم طبيعة معيشته وأولاده ، من خلال موازنته بين هذه الصور الحية المرئية والواقع المكدى .

ولقد وسع المكدى من دائرة تشبيهاته المستمدة من البيئة فى موضوع الهجاء ، فكثــيرا ماجعل من الحيوانات الضخمة الحجم والجارحة ألوانه التشبيهية للنيل من مهجوه ، والتحقير من شأنه ، بل جعله هدفا للتندر حيث صوره أقرب إلى

(١) يتيمة الدهر ٥٤/٣ .
(٢) الحيوان ٢٦٥/٥ .
(٣) طبقات الشعراء ٣٧٦ . الأرت : الذى فى لسانه عقدة وحبسة ويعجل فى كلامه .

الكاريكاتيرية وأصبح نمطا بين أقرانه يثير الضحك كلما اقترب منهم .

ومن خير من وظف هذه العناصر داخل هجائه أبو الشمقمق ، الذى شبه وجه أحد مهجويه بالكلب والتيس الضروط ، ودبره كالسمك، جامعا بذلك بين الحيوانات المألوفة كالكلب والمتندر بها كالتيس، وضخمة الجثة كالفيل ، والمائية كالأسماك قائلا:

ألا قولا لسران المخازى ووجه الكلب والتيس الضروط

له بطن يضل الفيل فيه ودبر مثل راقـــود النشوط (١)

ويستغل ما لليث والصقر من روائح نتنة للتنفير من شخصية مهجوه ، وذلك عندما شبهه بهما ، وزيادة فى خلق الجو الكاريكاتيرى شبه لحيته بلحية التيس ، وفمه بمنقار النسر قائلا :

ولــه لحيـة تــيــس ولــه مــنقار نــسر

ولــــه نكـهة لـيــث خالطت نـكهة صـقـر (٢)

ويشبه أحد مهجويه فى هذه المرة بالكلبة القليطية ، وإعراضه كالقحبة ، وذلك عندما قال :

جئته زائرا فأدنى مكانى وتلقى بمرحب وتحيــــــه

لاكمثل الأصم حارثة اللؤ م شبيه الكليبة القلطــيه

جئته زائرا فأعرض عنـى مثل إعراض قحبة سوسيه (٣)

---

(١) الحيوان ٢٦٣/١ ـ ٢٦٤ ٠ الراقود : دن كبير أو طويل .

النشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) رغبة الأمل ١٧٦/٦ .

(٣) الحيوان ٢٦٣/١ .

وفى مقام المديح استفاد المكدى من الطبيعة فى الربط بينها وممدوحه كأحد عناصر التشبيه المتعارف عليه على مدار الشعر العربى ، فالبديع يشبه جود ممدوحه بأمطار الربيع وذلك عندما قال له :

فكأن أمطار الربيـــ ـــع إلى كفيك تعزى (١)

ويشبه جبين ممدوحه بالصبح الأغر قائلا :

وأبلج كالصبح الأغر جبينه ضياء وكالليل البهيم عساكره (٢)

ويشبه أبو الرقعمق جود ممدوحه بالبحر وذلك عبر قوله :

بالأميـــر السيد الما جـــد والقـــرم اللباب
والهمام المنعـــم المفـ ـضل والبـــحر العباب
والذي لافرق مابيـــ ـن جـــداه والسحاب (٣)

وبناء على ماسبق نستطيع القول بأن الشاعر المكدى اعتمد بصورة ملحوظة على التشبيه كأحد المعالم الفنية المستخدمة فى أشعاره ، والتى تتناسب مع فنه الذى يجنح إلى السرعة الفنية ، فالتشبيه لايحتاج إلى جهد ذهنى لتركيبه ، لذا أكثر من استخدامه .

وقد أفاد منه فى نقل واقعه إلى الآخرين وكان موفقا إلي حد كبير عندما استمد عناصره التشبيهية من البيئة المحيطة به ، سواء الحشرات أو الحيوانات ، أو الطيور الجارحة ، أو عناصر الطبيعة كالسحاب والأمطار والأنهار ، ولقد جاءت جميعها مألوفة لسامعه مما ساعد على توصيل مايريده للآخرين .

ويتضح من تشبيهاته ندرة البليغ منها ، لكونه إكتـــفى بعناصر التشبيه

---

(١) ديوان بديع الزمان ٤١ .

(٢) نفسه ٣٠.

(٣) يتيمة الدهر ٣٢٣/١ .

الكامل ، مع الاستعانة بأداتين من أدوات التشبيه هما الكاف ومثل ، ولقد استخدم المكدى التشبيه فى معظم موضوعاته وبخاصة الوصف والمديح والهجاء ، وجسد بتشبيهاته صورا كاريكاتيرية نادرة .

الفصل الرابع

الأوزان

نظم الشاعر المكدى أبياته على غرار البحور الشعرية المتعارف عليها، والتى قعدها الخليل بن أحمد ، ولم نجد له شعرا خرج عن هذا الأقنوم، والنموذج التالى يوضح أشهر البحور الخليلية التي استخدمها شعراء الكدية في نظم قصائدهم :

اسم الشاعر	الأوزان الطويلة المستخدمة فى أشعاره	الأوزان القصيرة والمجزوءة عنده	عدد الأوزان الطويلة	عدد الأوزان القصيرة والمجزوءة
أبو الرقعمق	الخفيف - البسيط - المتقارب - الوافر - المديد - الكامل - السريع .	المجتث - الهزج - مجزوء الكامل	٧	٣
ابن لنكك	الطويل - الوافر - المنسرح - البسيط - الخفيف .	المجتث - مجزوء الرمل	٥	٢
ابن سكرة	الطويل - الوافر - السريع - المنسرح - الكامل - المتقارب - البسيط .	المجتث - مجزوء الكامل - مجزوء الرمل - مجزوء الخفيف .	٧	٤
ابن الحجاج	الكامل - السريع - الخفيف - الوافر - الطويل - المنسرح - المتقارب .	المجتث - مجزوء الرمل - مجزوء الرجز .	٧	٣
الأحنف العكبرى	الخفيف - البسيط - الوافر	الهزج - مجزوء الرمل	٣	٢
أبو دلف الخزرجى	البسيط - الكامل .	الهزج - مجزوء الكامل - مخلع البسيط .	٢	٣

من خلال هذا النموذج الذى جمعت مادته من يتيمة الدهر للثعالبى لأنه المصدر الأساسى الذى جمع معظم أشعار أهل الكدية . يتبين لنا أنهم استخدموا فى نظمهم معظم بحور الشعر العربى وليس جميعه ، فنظمهم خلا من هذه البحور الثلاثة : المضارع والمقتضب والمتدارك ، وربما يرجع السبب فى ذلك أن الشاعر المكدى كغيره من الشعراء لم ينظم على بحرى المضارع والمقتضب لكونهما أقل البحور دورانا فى الشعر العربى ، والأمثلة على وجودهما لاتمثل كما كافيا يتناسب والبحور الأخرى ، أما المتدارك فلا أدري السبب في تركه ، وربما كان التزامهم بالتقعيد الخليلي أحد الأسباب.

ونلحظ من خلال النموذج السابق أيضا ، أن شعراء الكدية نظموا معظم أشعارهم من البحور ذوات التفعيلة الواحدة ، كالهزج والكامل والرجز والرمل والمتـقارب ، ولكن ذلك لاينفى عنهم استخدام البحور ذوات التفعيلات الممتزجة ، كالطويل والبسيط والخفيف والمديد والمنسرح والمجتث والسريع .

على أن الغالب فى أشعارهم من كل هذه البحور ، الوافر والخفيف والبسيط والمجتث ، الذى كان قاسما مشتركا عند معظم شعرائهم ، بينما المديد والسريع من أقل البحور استخداما فى نظمهم .

وإذا كان الشاعر المكدى قد استخدم الأوزان الطويلة بكثرة ، فإن الأوزان القصيرة والمجزوءة مثلت جانبا لابأس به فى أشعاره ، ومن أشهرها مجزوء الرمل ومجزوء الكامل ، ولقد عبر بهما عن ألوان شعرية عدة ، من مثل هذه الصورة ذات الإيقاع الراقص التى تشبه الأناشيد ، والتى هجا بها أبو الشمقمق بشار بن برد قائلا فيها من مجزوء الرمل :

هللينه هللينه طعن قثـــــاة لتينه

إن بشار بن برد تيس أعمى فـى سفينه (١)

(١) الأغانى ٣/١٩٥ ، شعراء عباسيون ١٥١ .

إن الأبيات السابقة تذكرنا بأبيات الشاعر المهجو ، وكانت من هذا النوع الخفيف الراقص ، والتى أطرب بها ربابة صاحبة الدجاجات ، التى كثيرا ما أطعمته من نتاج دجاجها ، وأغدقت عليه البيض ، والتى فتح بها الباب أمام هذا اللون الشعرى ذات الإيقاع الراقص و ذلك عندما قال فيها :

ربـــابة ربـــة البيت تصـب الخل فـي الزيت
لهـــا عشر دجاجات وديـــك حسن الصـــوت (١)

ولقد استخدم الشاعر المكدى المجزوء من البحور حتى فى المديح ، الذى يحتاج إلى مقاطع كثيرة تتناسب وجلال المفاخرة أو إحصاء مناقب الممدوح ، ومع ذلك طوع هذه البحور المجزوءة بما لديه من قدرة ليطرب بها ممدوحه طلبا لكثير من عطية ، لذا قال ابن الحجاج من مجزوء الكامل على غرار الإيقاعات السابقة :

يامن إذا نـــظر الهـــلا ل إلى محاسنه سجـــد
وإذا رأته الشمـــس كا دت أن تموت من الحسد (٢)

وكذلك استخدم ابن سكرة المجزوء من الأوزان فى وصف حاله والسخرية منه ، من مثل هذه الأبيات التى قال فيها عندما سئل عن عدته للشتاء ، بطريقة أيضا تجنح إلى الوزن الخفيف الراقص من مجزوء الرمل :

قيـــل ما أعددت للبر د فقـــد جـــاء بشـــده
قلت دراعـــة عـــرى تحتـــها جبـــة رعـــده (٣)

وعلى غرار ماسبق استفاد الشاعر المكدى من الأوزان المجزوءة فى نظم أشعار ذات إيقاعات خفيفة راقصة ، وكان هذا سائدا فى كثير من قطعه الشعرية يساعده على ذلك قلة أبياته المنظومة .

وإذا كان هذا حاله مع الأوزان القصيرة والمجزوءة ، فإنه أيضا فى كثير من

---

(١) المرجع السابق ١٦٣/٣ .

(٢) يتيمة الدهر ٨٠/٣ .

(٣) نفسه ٢٥/٣ / وفيات الأعيان ٣١٠/٤ / شذرات الذهب ١١٨/٣ .

الدراعة : ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جبة مشقوقة . الرعدة : الرعشة .

البحور الكاملة استطاع أن يخلق هذا الإحساس بالخفة والإيقاع ذات التنغيمات الصوتية الراقصة ، كهذا النموذج لابن الحجاج الذى نظمه لبعض الوزراء من أجل معاونته على إصلاح أحباس مياه منزله التى أصابها العطب ، يساعده فى ذلك قافيته المقيدة على اكتمال هذا الإحساس التناغمى ، وتكرار الهاءات بين عروض بعض أبياته وضربها ، من مثل معذوره ومشكوره ، وهذه ومسروره ، وعناياته وموفره ، مع استخدام كلمات بسيطة معبرة ، وذلك عندما قال من بحر السريع :

خفى فما أنت بمعـــذوره	ولا على نصحك مشـــكوره
أذاك كم يصدع قلبـــى بـه	وإنما قلبى قـــــاروه
فى كل شئ أنت ياهـــذه	مغمومة بى غير مســـروره
حتى مسناتى التى أصبحت	وهى خراب غير معمـــوره
أيتها المرأة لاتقلـــقى	من قبل أن تستعملى الصوره
لى سيد أضحت عناياتــه	على مسناتى موفـــوره
ناهدته فيها على أنهـــا	تجعل بالصاروج كافـــوره
منى أنا لاشئ ومن سيدى الـ	آجر والصناع والنـــوره (١)

وحتى فى المواقف التى تدعو إلى الحسرة لا المرح ، استطاع أبو الشمقمق أن يجسد معاناته بطريقة تطرب لها الأسماع دون الإحساس بالملل ، مستخدما فى نظمه بحر الخفيف ذات الأسباب الثلاثة الخفيفة المتوالية وهى (تن ومس وتف) من فاعلاتن مستفع لن ، مجسدا عبره معاناته فى شكل مساجلة شعرية طريفة بينه وسنانير وفئران بيته ، التى أزمعت هجره لخلوه من كل شئ ، ونستطيع أن نلحظ فى هذه الأبيات عناصر السرعة والانتقال من الحديث إلى الرد ، إلى إعلان الرحيل ، وذلك من خلال قوله عبر هذه الأبيات ذات الوزن الراقص :

ولقد قلت حين أقفر بيتى	من جراب الدقيق والفخاره
ولقد كان آهلا غير قفـر	مخصبا خيره كثير العماره

---

(١) المرجع السابق ٣/٥٨ ـ ٥٩ .

المسناة : أحباس المياه . الصاروج : النورة وأخلاطها

فأرى الفأر قد تجنبن بيتـــــى	عائذات منه بدار الإمـــــاره
ودعا بالرحيل ذبان بيتـــــى	بين مقصوصة إلى طيـــاره
وأقام السنور فى البيت حـــولا	مايرى فى جوانب البيت فـاره
ينفض الرأس من شدة الجـــو	ع وعيش فيه أذى ومـــراره
قلت لما رأيته ناكس الـــرأ	س كئيبا فى الجوف منه حراره
ويك صبرا فأنت من خير سنـ	ـور رأته عيناى قط بحـــاره
قال : لاصبر لى ، وكيف مقامى	وسط بيت قفر كجوف الحمـاره (١)

والشاعر المكدى عبر استخدامه لهذه البحور الشعرية كثيرا ماوقع فى اضطرابات عروضية ، واستخدامات للزحافات والعلل ، والسبب فى ذلك يعود إلى الشاعر المكدى نفسه ، فهو شاعر متجول يرتزق بنظمه ، لذا تدعوه العجلة من أجل القوت إلى نظم أبيات يعوزها الضبط العروضى ، فحرفته فرضت عليه ألا يهتم بشكل القصيدة بقدر اهتمامه بتوصيل محتواها إلى الآخرين ، لذلك كثرت استخداماته للزحافات والعلل ، واضطربت كثير من أبياته ، ونستطيع أن نتعرف ذلك من خلال أشهر القصائد المكدية وهى ساسانية الخزرجى التى جمع فيها صـنـوف أهـل الكـديـة . وهـى مـن بحر الهزج ، ومن أبياتها المضطربة عروضيا هذا البيت الذى يذكر فيه طائفة من المكدين بدوابهم قائلا :

ومـنـا العشـــــريـون	بـنـو الحمـلـة والكـسـر (٢)

فالشطر الأول من البيت هنا غير مضبوط عروضيا ، لزيادة حروفه عن تفعيلات الهزج ، وكذلك وردت فى القصيدة أبيات ناقصة الحروف ، من مثل هذا البيت الذى يقول فيه :

---

(١) الحيوان ٢٦٤/٥ ـ ٢٦٥ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٥٨/٣ . والعشيريون : الذين يكدون على دوابهم كالغزاة .

وظلوا يفتنون   على مالك بالعسر (١)

إن الشطر الأول من البيت غير مضبوط وينقصه شئ حتى يستقيم الوزن . ومن أمثلة الاضطراب العروضى أيضا ، زيادة عدد حروف الشطر الشعرى عن التفعيلة من مثل هذا البيت الذى يقول فيه :

ومن يشرك أونو   ذك أو أشرك بالهبر (٢)

إن الشطر الثانى لايستقيم عروضيا إلا بنقل الذاى من أوله إلى نهاية الشطر الأول ، لأن وجودها على هذه الصورة يعنى توالى ثلاث حركات فى التفعيلة وهذا لم يرد . ومن أمثلة الزيادة أيضا هذا البيت :

وسمان ووسنان   ومن قتت كالكبر (٣)

فلابد من حذف الواو الأولى من ووسنان حتى يستقيم الوزن . أيضا دخل أحد أبيات هذه القصيدة زحاف مستقبح نادر دخوله فى هذا الوزن ، وذلك فى شطر البيت الأول وهو زحاف الخرم ونجده فى قوله :

فحيثما اكثروا وقالوا   من الخشنى لاتكرى (٤)

وبعيدا عن هذه المؤاخذات العروضية ، فقد نظم المكدى أشعاره على صورة مألوفة ، فلا تجديد فى الأوزان أو القوافى ، بل تخيره كان للأوزان الأكثر دورانا فى الشعر العربى ، ولم يحد نفسه ببحر معين دون الآخر ، وإنما كان ينظم بحرية ، وكان

---

(١) نفسه ٣٧١/٣ .

(٢) نفسه ٣٥٨/٣ . يشرك :تزيا بزى الرهبان تزهدا . أشرك بالهبر : قاسم شركاءه ما يأخذه

(٣) نفسه ٣٦٧/٣ . السان :الذى يعطى النساء دواء السمنة السنان:الذى يعطى النساء دواء الأسنان

(٤) نفسه ٣٧٢/٣. الخشن : الذى لا يجيد الكدية .

لطبيعته المرحة الفكهة أثرها المباشر فى استخدامه لبحور شعرية راقصة ذات إيقاعات تنغيمية واضحة سواء فى الأوزان الكاملة أو القصيرة والمجزوءة ، معبرا من خلالها عن كثير من حياته ، وكان الاضطراب العروضى واضحا فى أشعاره ، لأنه كان شاعرا وقتيا ينظم أبياته على عجالة من أمره ، لذا كان يقع فى مثل هذه المؤاخذات العروضية .

الفصل الخامس

القصة الشعرية

كان لبراعة الشاعر المكدى فى تصوير حياته نظما الأثر المباشر فى ظهور ملامح القصة الشعرية عنده ، لما له من قدرة على تصوير الثابت والمتحرك منها ، لكننا لانستطيع أن نقطع بأن هذا النمط الشعرى الذى عرض به حاله هو قصة بالمعنى المعروف لدينا الآن ، فذلك لايتناسب وملامح هذا الشكل العفوى البسيط ، الذى اكتفى فيه بالسرد المباشر لأحداثه .

فمفهوم القصة عنده عبارة عن حدث يصف موقفا ذاتيا يعبر به عن حاله ، ويكون أقرب إلى الخبر أو الحكاية المروية ، وكثيرا ما استخدم لفظ قصة بهذا المعنى عند كثير منهم كابن الحجاج الذى قال :

سألت يامولاى عن قصـــتى ... وما اقتضى بالرسم إخلالى
ليست بجسمى علة تشتكى ... وإنما العلة فى حـــــــالى
وذاك داء لم تزل ضامـــــنا ... من سقمه برئى وإبـــــلالى (١)

كذلك استعملها أبو الرقعمق بنفس المعنى السابق ، عندما قال عن نفسه ، واصفا حماقاته ومجونه :

ومالى أكاتمكم قصـــــتى ... وأضرب بالطبل تحت الكسا
إذا كان فى الصيف لى جبة ... لأية حال أذم الفــــــرا
ولم أكسب الحمق لكننـــى ... خلقت رقيعا كمـا قد ترى
لقــد فقــت فيه كمـا الفارســـ ... ـى في الرامى فاق جميع الورى (٢)

ولقد استخدم ابن سكرة كلمة (حديث) بدلا من (قصة) ، ويعنى بها نفس

---

(١) يتيمة الدهر ٥٤/٣ .

(٢) نفسه ٣٢٥/١ .

مدلول كلمة قصة من إعلام بخبر ، أو رواية لحكاية ، وذلك عندما وصف لبعض الوزراء حاله ، طالبا منه فى النهاية أن ينعم عليه ببعض من نواله قائلا :

ياسيدى أنت ، إن لى خبـــرا	أجرى لسانى وصلب الحـدقـة
هاك حديثى فإن نشـــطت له	فاسمع وإلا فخرق الورقـــة
مستأنس زارنى وحسبك بالـ	ـــبيغاء ضيفا ذا فقحة شبقه
باكرنى جائعا فهتكـــــــنى	ومص منى دمى ولاعلقـــه
وهو على البخت ناقه فمـــتى	قدمت ثورا بفرثه شرقـــــه
لم يبق فى روح برمتى رمقـــا	أتى على اللحم واحتسى المرقه
وعاث فى سفرتى كمشــــبلة	غرثى بتلك الأنامل اللبــــقه
قلعا وبلعا بلا مراقبـــــــة	لله فى عيلتى ولاشــــفقه
حلت لى الميتة التى حـــــرمت	فكيف تنبو نفسى عن الصدقه (١)

وإذا كانت النماذج السابقة لاتصور قصة بالمفهوم الفنى ، فإن هناك بعضا من النماذج الشعرية عند بعض شعراء الكدية نلمح عبرها بذرة جيدة لقصة شعرية ، من أمثال أبىَ الشمقمق ، وذلك من خلال مجموعة أشعاره التى دارت بينه وسنانير وفئران بيته ، فهذه الأشعار نجد فيها الوصف والحوار القصصى ، وغالبا ماتحمل معنى التهكم والسخرية من واقع معاش ، وأبطالها هم أبو الشمقمق وفئرانه وسنانيره ، ومكانها منزله القفر ، وهى ذات حدث واحد متسلسل ، ولها من التواصل مايبيح لنا أن نقسمها إلى فصول ، والفصل الأول منها يبدأ بهذا المشهد العسكرى ، والمتمثل فى نزول جماعة الفئران على بيت الشاعر دفعة بعد أخرى يصحبهم ابن عرس ، وفى داخله بدأت هذه الكوكبة البحث الدائب عن الطعام ، والذي وجدته عبر رغيف ، واقتص منه ابن عرس حتى جعله كالترس ، بينما يرقب هذا المشهد عن كثب قط الشاعر ، الذى بـهره الموقف ، فصفق صفقه ظهر منها زرقة من بين سواد عينيه ، ولقد صور أبو الشمقمق

---

(١) المرجع السابق ٢٤/٣ . الفرث : ما يكون فى الكرش .

مشاهد هذه الصور عبر أبيات مليئة بالحركة والتجسيم قائلا :

نزل الفـــأر ببيتى	رفقه من بعد رفقــه
حلقا بعد قطـــــار	نزلوا بالبيت صفقــه
ابن عرس رأس بيتى	صاعدا فى رأس نبقه
سيفه سيف حديـــد	شقه من ضلع سلـقه
جاءنا يطرق بالليـــ	ـل فدق الباب دقـه
دخل البيت جهـــارا	لم يدع فى البيت فلقه
وتترس برغيــــف	وصفق نازويه صفـــقه
صفقة أبصرت منهـا	فى ســواد العين زرقه (١)

ويسدل الستار عن الفصل السابق ، ليبدأ الفصل الثانى وفيه تستاء الفئران من منزل الشاعر القفر ، وتدرك أنها أخطأت المكان ولابد من رحيلها ، إلا أنها أزمعت الانتقام من صاحبه ولكن على طريقتها الساخرة ، فأقامت له عرسا ، تضرب فيه الدفوف مما أثار عجبه ، لكن ســرعان مازالت دهشته عندما أخبروه بأنه عريس يزف ، ولقد صور لنا أبو الشمقمق هذا المشهد ذات الحوار القصصى الساخر قائلا :

أخذ الفأر برجلـــى	جفلوا منها خفـــافى
وسراويلات ســوء	وتبابين ضعـــــاف
درجوا حولى بزفــن	وبضرب بالدفـــاف
قلت: ما هذا؟ فقالوا:	أنت من أهـل الزفاف
ساعة ثمث جـــازوا	عن هوى فى خـلاف (٢)

(١) الحيوان ٢٦٧/٥ ٢٦٨ الرفقة : الجماعة صفقة : دفعة واحدة
السلقة : الأنثى من الذئاب. تترس به : جعله كالترس
نازويه : اسم القط بالفارسية الصفق : الضرب يسمع له صوت
(٢) نفسه ٢٦٨/٥ ٢٦٩ جفلوا نحوا ونزعوا خفاف جمع خف
التبابين جمع تبان ، وهو سروال صغير يستر العورة الزفن الرقص
الدفاف جمع دف

وبعد هذا المشهد الفكه الساخر يبدأ الفصل الأخير ، وفيه يقيم السنور بعد هجرة الفئران وحيدا لايجد مايقتات به ، فيقرر هو الآخر الرحيل ، إلا أن الشاعر فى هذه المرة يتحرك من سباته بعد أن استشعر أنه سيفقد برحيل سنوره الأنيس وسط هذا المكان الموحش ، ويقنع السنور بالعدول عن رأيه ، إلا أنه يسخر منه ومن بيته الخواء ، الذى يشبه جوف الحمارة ، وأمام هذا الإصرار من جانب السنور ، والذى يراه الشاعر صادقا فى التعبير عن حال مسكنه الخاوى من كل شئ ، يسمح له بالرحيل على أن يعود مرة أخرى إذا حسن الحال ، فما كان من السنور إلا أن فر هاربا دون رجعة ، وكأنه خرج من حبس مطبق ، وفى هذا قال أبو الشمقمق بحوار قصصى ملئ بالحركة والسخرية من واقع أليم :

ولقد قلت حين أحجرنى البـــــر   د كما تحجر الكلاب ثـعالـه

فى بيت من الغضارة قـــــفر   ليس فيه إلا النوى والنخاله

عطلته الجرذان من قلـة الخيـ   ر وطار الذباب نحو زبالــــه

هاربات منـــــه إلى كل خصب   حين لم يرتجين منه بـــلالـه

وأقام الســـنور فيه بشـــــر   يسأل الله ذا العلا والجـلالـه

أن يرى فأرة ، فلم ير شــــيئا   ناكسا رأسه لطـــول الملاله

قلت لما رأيته ناكـس الـــرأ   س كئيبا يمشى على شر حاله

قلت صبرا ياناز رأس السنـــانيـ   ر وعللته بحسن مقـــــاله

قال : لاصبر لى ، وكيف مقامى   فى قفار كمثل بيد تبـــاله

لا أرى فيه فأرة أنغض الـــرأ   س ومشى في البيت خياله

قلت سر رشدا فخار لك اللـــــ   ـــه ولاتعد كريج البقالــــه

فإذا ما سمعت أنا بخيـــــــر   فى نعيم من عيشة ومنـــاله

فائتنا راشـــدا ولاتعــــدونا   إن من جاز رحلنا فى ضلاله

ثم ولى كأنه شيخ ســــــوء   أخرجوه من محبس بكفــاله (١)

---

١) المرجع السابق ٥/٢٦٦ - ٢٦٧ ثعالة : علم للثعلب. أحجره : جعله يدخل فى حجره. الغضارة : الطين الحر . زبالة : موضع بعد القاع من الكوفة . ناز : اسم للسنور بالفارسية وللقط أيضا . بيد : جمع بيداء وهى الفلاة . تبالة : بلد من أرض تهامة فى طريق اليمن . أنغض رأسه : حركه لأسفل . الكريج : حانوت البقال . المنالة : مصدر نال ينال . اللهو . المحبس : موضع الحبس.

وهكذا نستطيع أن نقول بأننا أمام قصة شعرية تتوافر فيها كثير من ملامح القصة الفنية كالحوار القصصى الذى جاء سلسلا بسيطا يتناسب مع طبيعة الأحداث ، وشخصية المكدى وضيوفه ، والوصف الذى برع فيه الشاعر من خلال عرضه لمنزله القفر، والذى استدل على خوائه بأكثر من مشهد ، بينما جاء سرد الأحداث بطريقة منطقية، ولقد تميزت مشاهد الشاعر بالحركة والصوت فى كثير منها ، ولنا أن نشهد الحركة فى دخول جماعات الفئران ، وفى بحثها عن الطعام ، وفى رحيلها ، بينما تجسم الصوت فى طرق الباب ليلا ، وأكل الرغيف ، وتصفيق نازويه ، وضرب الدفاف .

وعلى هذا فإن هذا القصص التهكمى الساخر هو صورة حية لواقع معاش ، لو استغله الشاعر المكدى ببعض من الأناة الفنية التى كثيرا مايعوزها ، لكان لنا قصص شعرى ذات جودة فنية عالية ، ويمثل قطاعا عريضا لمجتمع غلب عليه الفقر ، وبخاصة أن حياة أهل الطائفة مليئة بما يصلح أن يكون مادة قصصية جيدة .

الفصل السادس

الفكاهة

توسل المكدى بالفكاهة للوصول بأدبه إلى الآخرين ، وهى عنده من ذلك النوع الساخر التهكمى الذى يحمل دلالات اجتماعية واضحة ، الهدف منها تخفيف أعباء الواقع الذى يعيشه وغيره من أهل الطبقات المثقلة بهموم البؤس ، والتى كثيرا ماتنفس عن نفسها بهذا الأسلوب ، يساعدها فى ذلك شعر شعرائها الذين يضمنون نظمهم المزيد من الفكاهات والدعابات الراقية فنيا فى كثير منها ، لنشر بعض السعادة فى عصور يغلب عليها اضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية .

ولقد تميز المكدي بين عامة أهل طبقته بأنه شخصية ساخرة فكهة ، وانسحبت سمته هذه عند من ترجموا لسيرته في بطون أمهات الكتب ، فالثعالبي يرى أن أبا الرقعمق شاعر يجمع بين الجد والهزل [1] وابن سكرة فائق في قول الملح والظرف [2]، وابن الحجاج له نوادره التي تسر النفس وتعيد الأنس [3].

ولقد كان هؤلاء الشعراء يحسون ذلك في أنفسهم ، بل كانوا يسمون أنفسهم بالظرف والخفة داخل أشعارهم ، كابن لنكك الذي قال :

شعر الظريف ابن لنكك	مهـــذب ومحكك
مـذهـــــب وممســـــك	بمثلـــه يتمســـك [4]

(١) يتيمة الدهر ٣١٠/١ ، شذرات الذهب ١٥٥/٣ .

(٢) نفسه ٣/٣ .

(٣) نفسه ٣١/٣

(٤) نفسه ٣٤٧/٢

ويقول أيضا أبو فرعون واصفا نفسه :

أنا أبو فرعون زين الكوره أحسن شئ مشية وصـــــوره

تضحك إن مرت به مكوره ضحك الأفاعى فى جراب النوره (١)

ولقد كان لهذا أثره فى تعلق الناس بهم حتى خارج أقطارهم ، كأبى الرقعمق الذى كان قريبا من المصريين ، لظرفه ونوادره الفكهة وشعره الرقيق ، حتى أنه صرح بذلك قائلا عنهم :

فما أصنـــع في مصـــر إذا لم أحـــظ في مصر

وفي الأفاق أقـــــوام يميلون إلى شعـــــــرى

ونبـئت بأن القــــــو م لايخلــون من ذكـرى

وعلى هذا فالفكاهة جزء مقتطع من تركيبة الشخصية المكدية ، وهذه سمة يشترك فيها كثير من أهل الطبقات المعدمة ، فالإحساس بالمعاناة والفقر ، يولد داخلهم شعورا يجعلهم يتندرون على كل شئ يحيط بهم . وظهر هذا التندر عند المكدى فى كثير من شعره الهجائى ، فأبياته يغلب عليها هذا اللون ولكن فى قالب فكاهى ، فابن الحجاج يدعى إلى طعام ، فيتأخر صاحب البيت فى تقديمه ، فيهجوه عبر أبيات تحمل خفة الروح والنزعة الفكاهية قائلا :

ياصاحـب البيت الذي قــد مات ضيفاه جميعا

حصلتنا حتى غــــــو ت بدائنا عطشاً وجوعا

مالى أرى فلك الرغيـ ـف لديك مشترفـا رفيعا

كالبدر لاترجـــــو إلى وقت المساء له طلوعا (٣)

ويهجو أبو الشمقمق أحدهم بنفس هذه الروح الساخرة ذات النزعة الفكاهية متندرا على بخله قائلا :

---

(١) الورقة ٥٨ : المكورة : المرأة المستديرة الساقين . الكورة : المدينة .

(٢) يتيمة الدهر ٣١٧/١ .

(٣) الإعجاز والإيجاز ٢٣٤ .

فانتهينا إلى سعيد بن سلم   فإذا ضيفه من الجوع يرمى
وإذا خبزه عليه سيكفيـــ   ـكهم الله مابدا ضوء نجم
وإذا خاتم النبي سليمـــا   ن بن دواد قد علاه بختـــم (١)

ويهجو ابن لنكك قطاعا كبيرا من المجتمع بنفس الطريقة السابقة ، وأرى أنه كان صادقا مع نفسه فى تصويره الفكاهى الساخر ، فالمجتمع الذى يعيش فيه لم يقدم له بعد العون ، بينما وقف الناس أيضا يشهدون محنته دون أدنى جهد منهم لمعاونته على إصلاح حاله ، لذا نظر فى هذه الوجوه جميعهـا ، وقال بهذه اللهجة الفكاهية الساخـــرة :

لاتخدعنك اللحى ولا الصور   تسعة أعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشـــرا   وليس فيه لطـــالب مطر
فى شجر السرو منهم مثـل   له رواء ومالـــــــه ثمر (٢)

وإذا كان المكدى احتال لهجائه والاقتصاص من زمانه بهذه الروح الفكـهة الساخرة ، فإنه وظف الفكاهة أيضا فى نقل واقعه إلى الآخرين ، بخفة روح مشوبة بالسخرية المبالغ فيها ، مع أنه ينقل من واقعه المعاش ، وربما تعمد هذا من أجل زيادة إحساس المتلقى بما هو فيه ، فانفعال السخط والغضب الذى يعيشه ، ولد عنده روح الفكاهة التهكمية والدعابة الساخرة ، ونلحظ ذلك بشدة عند وصفه لحاله ومنزله وأولاده ، فالساسى يصور منزله بصورة تؤكد المعنى السابق قائلا :

ليس إغلاقى لبابى أن لى   فيه ما أخشى عليه السـرقا
إنما أغلقه كى لايـــــرى   سوء حالى من يجوب الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلـــو   دخـــل السارق فيه سرقا
لاترانى كاذبا فى وصــفه   لو تراه قلت لى : قد صدقا (٣)

---

(١) رغبة الآمل ١١١/٦ .
(٢) تتمة اليتيمة ١١٩/٢ .
(٣) طبقات الشعراء ٣٧٦ .

قد يصدق الشاعر فعلا فيما يقول ، لكن ليس بالصورة المنظومة ، إن التندر على منزله واضح ، والمبالغة فى نقله من الداخل أكثر وضوحا ، فالسارق إذا دخل فيه سرق ، وهنا قمة السخرية من واقع مؤلم .

وعلى غرار ماسبق وصف ابن الحجاج منزله على نفس المنوال الفكاهى الساخر ، والذى يجنح إلى المبالغة أيضا وذلك عندما قال :

ماحال من يأوى إلى منزل ... أرفق منه بالمسجد الجامع

لايرتوى العطشان فيه ولا ... يلحق مايقتاته الجـــائع (١)

وهكذا تميل كثير من صور الوصف عند المكدى إلى السخرية والمبالغة ، مع أنه ينتقل من واقع معاش (٢) .

وإلى جانب السخرية والتهكم كان للتصوير الكاريكاتيرى ملامحه الواضحة فى شعر الكدية ، فقد استفاد الشاعر المكدى من ملكة الفكاهة عنده ، وصور عبر نظمه نماذج كاريكاتيرية صارخة ، ولم يتورع من أن يضمنها بعض الشخصيات المعروفة من مثل والى الرى ، الذى سأله أحدهم فلم يعطيه شيئا ، فنظم فيه قائلا :

أتيت المساور فى حاجـــة ... فمازال يسعل حتى ضـــرط

وحك قفاه بكرســـــوعة ... ومسح عثنونه وامتخـــــط

فأمسكت عن حاجتى خيفة ... لأخرى تقطع شرج السفـط

فأقسم لو عدت فى حاجتى ... للطخ بالسلغ وشى النمـط

وقال غلطنا حساب الخـراج ... فقلت من الضرط جاء الغلط (٣)

إننا أمام نمط كاريكاتيرى لشخصية قيادية ، ربما تعمد المكدى إظهارها على

---

(١) يتيمة الدهر ٥٦/٣

(٢) انظر فى ذلك:أبيات أبى الشمقمق فى وصف حاله وأولاده العقد الفريد ٣٥/٣ - ٣٦ .

(٣) عيون الأخبار ، المجلد الثالث الجزء الثامن ١٥٤ . الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر الشرج : العرى . السفط : وعاء كالقفة . شرج السفط : كناية عن الاست السلغ : النجو . النمط : الفراش .

هذه الصورة تنفيسا عما فى نفسه وأهل طبقته ، من أولئك الذين نالوا أطايب كل شئ على حين حرم وأهله ، ولعل محاولته إبراز حركات الوالى اللاإرادية عند الطلب ، هو استجابة من داخله للنيل منه وغيره ممن يضنون بمالهم ، لذا حوله إلى نمط كاريكاتيرى يتندر به الجميع حتى الأطفال ، عندما وصف سعاله وضراطه وحكه لقفاه ، مما اضطره إلى الهرب إلى أصبهان بغير عزل ، مما يكشف لنا عن أثر الفكاهة والأبيات التى تحمل معنى السخرية عند المكدى والناس ، ومدى شيوعها بينهم ، ودورانها على ألسنتهم .

ويرسم أبو الشمقمق ملامح شخصية جديدة عبر هجوه لرافض عطاء أيضا ، مستمدا صورها من الحيوان للنيل منه ، فالرأس كالأتنان القذرة ، والمشية كالخنزير ، والنسب يعود إلى أصل حيوانى كالحمار والجاموس والبقر ، ولنا أن نتخيل هذا النمط عبر هذه الأبيات :

الطريق الطريق جاءكم الأحـــ ـمق رأس الأتنان والقذره

وابن عم الحمار فى صورة الفيـ ـل وخال الجاموس والبقره

يمشى رويدا يريد حلقتـــكم كمشى خنزيرة إلى عذره (١)

إن الفكاهة بهذه الصورة المشروحة سابقا راقية من الناحية الفنية ، فهى من ذلك اللون الذى يميل إلى إظهار صورة المجتمع ، والكشف عن ملامحه ، ولعل البخيل ، والوالى ، والمنزل القفر ، وأصحاب اللحى ، والصور المزيفة التى تشبه الشجر بلا ثمر ، نماذج من هذا المجتمع .

وإذا كان الشاعر المكدى استخدم الفكاهة بهذه الصورة ، فتطالعنا صورة أخرى جديدة للأعراب المستجدين ، أو المستجدى السائل بصفة عامة ، الذى حمل فى كثير من استجدائه روح الفكاهة ، والتى كان مدفوعا إليها سواء بطبعه الفكه كغيره من أهل طبقته ، أو لأنه لابد أن يلقى الناس ببشاشة وجه ، لكونه يدخل معهم فى حوار مباشر فى كثير من الأحايين .

---

(١) الحيوان ٢٣٩/١ / شعراء عباسيّون ١٣٨ .

وتختلف الفكاهة هنا عن سابقتها فى أنها تأتى عفوية ، ولاتمثل ضحكا ذا دلالة ساخرة ، أو بذرة تكشف عن جوانبه الشخصية ، وإنما ضحك فى أبسط صوره ، الهدف منه تغيير نظر المتلقى فقط من حالة المنع إلى العطاء ، فغالبا ماتنتهى صور الحوار المباشر بين المكدى المستجدى وسائله إلى ابتسامة مشوبة بالعطية . وهناك نماذج عديدة من الصور أطلق عليها أهل الأدب (نوادر السؤال) ، ومن بعض نماذجها سؤال هذا الرجل الذى ألح فى مسألته على جماعة ، فعنفه أحدهم قائلا (ياهذا : نزلت بواد غير ذى زرع ، قال : صدقت : ولكن يجبى إليه ثمرات كل شئ ، فضحكت الجماعة ووهبت له دراهم) (١) .

وأيضا ماحدث من هذا الأعرابى الذى وقف على جماعة قائلا (إنى جائع ، فقالوا له كذبت ، فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم) (٢) ، وموقف هذا السائل الذى دق باب رجل وسأل فقيل له (ليس هاهنا أحد ، فقال إنك أحد لو جعل الله فيك بركة) (٣) .

ونماذج هذا النوع البسيط من النوادر التى تحمل فكاهة عفوية لاتحصى ، وهى كثيرة ومتنوعة .

على أن الفكاهة عند المكدى وبخاصة الأعرابى لم تخل من الوضع، ولاأدري ما السر في أن المكدى المستجدى كثر عليه الوضع كما رأينا سواء في لغته أو سجعه، وجانب الشك عندي في فكاهاته الموضوعة عليه، أنها لا تتناسب وطبيعته التي تحتاج إلى الناس دوما، والتي كثيراً ما حوت سبًا لهم في نماذجها، كهذا السائل الذي وقف على باب، وأكثر من سؤاله، فلم يستجب له، لكونه طلب أشياء البيت منها خواء، فقال لأصحابه (فما جلوسكم ههنا، قوموا فاسألوا ، فأنتم أحق مني بالسؤال)(٤)

(١) الإمتاع والمؤانسة ٣/ ١٠٠ .
(٢) المستطرف ٢/ ٢٤٤ .
(٣) نهاية الأرب ٤/ ٢٣ .
(٤) المستطرف ٢/ ٢٤٤ .

وفـي رواية أخرى وقد خص الحديث بامرأة (يازانية ، فما يجلسك ! مرى تصدقى معى) (١) .

بينما نجد نماذج أخرى فكاهية تميل إلى التركيب المصنوع ، كهذا النموذج لأعرابى وقف على قوم يسأل عن أسمائهم ، فأخبره الأول بأنه مانع ، والآخر محرز ، والثالث حافظ ، فإذا به يقول (قبحكم الله ما أظن الأقفال إلا من أسمائكم) (٢) ، إننا لانجد منطقا يجمع بين هذه الأسماء الثلاثة بالتحديد فى مكان واحد ، إلا إذا كان المقصود منها النص على أنها تعنى المنع كنادرة فكاهية لا أكثر من ذلك .

وعلى غرار هذه الصورة ، موقف هذا الأعرابى الذي طرق باب أحد الأغنياء بأصفهان، وسأل شيئا ، فسمعه الرجل فقال لعبده (يامبارك قل لعنبر يقول لجوهر، وجوهر يقول لياقوت ، وياقوت يقول لألماس، وألماس يقول لفيروز ، وفيروز يقول لمرجان، ومرجان يقول لهذا السائل يفتح الله عليك). فسمعه السائل فرفع يديه إلى السماء وقال (يارب قل لجبرائيل يقول لميكائيل وميكائيل يقول لدردائيل ، ودردائيل يقول لكيكائيل ، وكيكائيل يقول لإسرافيل ، وإسرافيل يقول لعزرائيل أن يزور هذا البخيل) (٣).

إن الصورة هنا لاتحتاج لتعليق ، فهى بنفسها تفصح عما فيها.

وهكذا فالفكاهة عند المكدى جاءت غير مبتذلة في كثير منها ، ليس الغرض منها الإضحاك لذاته ، إنما تحمل بين طياتها جانب التعاسة الذي يطبق على كثير من أهل هذه الطبقة .

وهى من النوع الذى يثير السخرية من هذا الواقع ، ووظف المكدى فكاهته فى

---

(١) المحاسن والمساوئ ٤١٧/٢ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ٥٧/٢ .

(٣) مجانى الأدب ٢١١/٢ .

أكثر من نمط شعرى كالوصف والهجاء . ولم تكن فكاهاته جميعها من ذلك النوع الراقى فنيا ، بل هناك نماذج فكاهية أجدها أقرب إلى النكتة ، أو الطرفة والنادرة البسيطة ، وهى مرتبطة بالمكدى المستجدى ، وتفرضها عليه طبيعة المواقف التى يكون فيها ، وهى لاتحمل بذورا فنية ، بقدر مايطرب منها متلقيها ، ولم تخل الفكاهة عند المكدى من الوضع ، وهذا ظاهر فى نماذج محدودة .

الفصل السابع

تطور شخصية المكدى

لفتت الشخصية المكدية بما يؤهلها من سمات متفردة أنظار مؤلفى الأدب ، فجعلوا منها مادة خصبة لكثير من أعمالهم ، منتقلة بذلك من حيز واقعها المعاش ، إلى آخر يختلف حسب خيال مؤلفه ، سواء اتفق مع طبيعة الشخصية أو اختلف .

ويعتبر الجاحظ أول من فتح الباب فى هذا المضمار ، عندما ضمن كتابه البخلاء حديثا عن شخصية (خالويه المكدى) أحد أعلام الكدية المشهورين ، وقص على لسانه وصيته لابنه في فنون البخل والتكدية (١) . ولقد أفاد الجاحظ من الشخصية المكدية فى عصره والتى كانت وليدة الفقر والحاجة ، ونسج على غرارها صورة بطله البخيل ، الذى يتفق فى كثير من ملامحه مع المكدى الحقيقى ، فهو واسع الخبرة ، كثير التجوال ، ماهر فى الحيل والتخفى ، عالم بالصناعات .

ويستلهم محمد بن مطهر الأزدى صورة المكدى فى عمل أدبى هو (حكاية أبى القاسم البغدادى) وتروى ماتصنعه شخصية مكدية ممثلة فى رجل يدعى أبا القاسم البغدادى على مدار يوم واحد ، سواء فى أفعالها أو أقوالها ، ورغب المؤلف من وراء ذلك ، معرفة أحوال وأخلاق أهل بغداد ، والكشف عن بعض طبقاتهم ممثلة فى هذه الشخصية (٢) .

والمكدى فى هذه الحكاية أشبه بصور أبى دلف فى قصيدته الساسانية (٣) ، فهو كغيره من أهل الكدية ، صاحب حيل وفنون ، ومغرم بالمجون والترف .

وتتحول شخصية المكدى إلى صورة أدبية ذائعة الصيت على يد بديع الزمان الهمذانى ، عندما تخيرها لتكون بطل مقاماته التى ملأت الدنيا وشغلت الناس .

---

(١) انظر فى ذلك البخلاء ص ٤٧ .

(٢) حكاية أبى القاسم البغدادى ٢ ,٣ .

(٣) رأى فى المقامات ٤٣

وأبو الفتح الأسكندرى هو بطل مقامات البديع ، وأبو زيد السروجى بطل مقامات الحريرى ، ويقال أن الأول شخصية وهمية ، بينما الثانى شخصية معاشة حقيقية لشيخ شحاذ بليغ ، فصيح اللسان ، شاهده الحريرى يقف ذات مرة فى مسجد البصرة يستجدى الناس ، فأعجب بفصاحته ، وحسن صياغته ، فأنشأ على غرار كلامه المقامة الحرامية ، ثم بنى سائر مقاماته على النحو السابق (١) . وسواء جانب هذا الرأى الصواب أو خالفه ، فما يهمنا أن بطل المقامات كان شخصية مكدية دار حولها العمل ككل ، وعلى ذلك لابد لنا من وقفة نتبين من خلالها ملامح هذه الشخصية المتخيلة ، لنتعرف مقدار تغلغل صورة المكدى الحقيقى فى شخص قرينه المتخيل وكيف أثرى ذلك العمل الأدبى .

ولقد كانت الكدية بحيلها وأقوال أهلها تمثل الأغلب الأعم من مقامات البديع ، وأرى أن السبب فى ذلك يعود إلى شخصيته المكدية ، التى تدخلت فى عمله بهذه الصورة ، فعلى مدار مقاماته نجدها تمثل ثلثى العمل ، بينما لم تذكر فى ثلاث عشرة مقامة فقط هى : الغيلانية والأهوازية والمضرية والمارستانية والوعظية والعراقية والرصافية والمغزلية والحلوانية والعلمية والشعرية والخمرية والبشرية ، وعلى العكس من ذلك تمثل الكدية الجانب الأقل إلى المجموع العام لمقامات الحريرى الستين .

ومكدى المقامات سواء عند بديع الزمان أو الحريرى له شكله العام ، وملامحه التى تميزه ، فهو واسع التطواف ، كثير السعى وراء الرزق ، والدليل على ذلك أن كثيرا من المقامات سميت بأسماء الأماكن التى تواجد فيها كالقزونية والبخارية والفزارية والبصرية والأصفهانية والجرجانية والأذربيجانية والسجستانية والبلخية والموصلية والأرمنية والنيسابورية عند مكدى البديع .

وكالمقامة الصنعانية والحلوانية والكوفية والبرقعيدية والاسكندرانية والرحبية والساوية والدمشقية والبغداذية والمكية والفاروقية والكرجية والصورية والتفليسية وغيرها عند مكدى الحريرى .

---

(١) معجم الأدباء ١٦/٢٦٣ .

والملاحظ أن هذه البلدان التى طافها مكدى المقامات ، تمثل على خريطة العالم فى حينها مشارق الأرض ومغاربها ، وهذا يدل على أنه نوّع من أماكن احتياله حتى لاينكشف أمره فى بلدة بعينها ، وهو فى هذا يتفق مع مكدى الواقع .

ويشغل مكدى المقامات كما شغل قرينه فى عالم الواقع ، الأماكن ذات التجمع العددى لجذب أكبر قدر من الناس لنيل الرزق ، لذا نجده يخرج علي متلقيه فى المساجد ، والمنتديات ، وفى الدور ، وعلى الأبواب ، وفى الحانوت ، وفى الأسواق وغيرها من الأماكن المكتظة .

وللمكدى طريقة فى الظهور في كل مقامة تختلف عن سابقتها فى أحيان ، وتتفق فى أخرى ، فعند البديع يخرج مرة شابا يحفظ الشعر (١) ، أو رجلا احتضن عياله ليكدى عليهم (٢) ، أو فارسا على جواده (٣) ، أو سائلا يطلب ـ وهو مشهد مكرر فى أكثر مقاماته لكن مع اختلاف الشكل ونوع المطلوب (٤) ـ أو شخصا عاديا يكدى في المساجد ، بعد أن يفرغ مع المصلين من الصلاة (٥) ، أو مكفوفا تقوده عصا ذات جلاجل لإحداث دوى يلفت إليه متلقيه (٦) ، أو راكبا فى سفينة مبحرة (٧) .

وينوع الحريرى فى شخصية مكديه أكثر من ذلك ، فهو المكدى الواعظ (٨)

---

(١) شرح مقامات بديع الزمان ، المقامة القريضية ص ١١

(٢) نفسه المقامة الأزاذية ١٨ ، ١٩ ، وتكرر ذلك فى المقامة الأسدية ، والجرجانية ، والبصرية ، والساسانية ، والبخارية .

(٣) نفسه المقامة السجستانية ٢٦ .

(٤) انظر في ذلك المقامة المكفوفية ، والأسدية ، والأذربيجانية ، والفزارية ، والناجمية ، والقزوينية

(٥) نفسه المقامة الاصفهانية ٦١ .

(٦) نفسه المقامة المكفوفية ٩٠ ، ٩١ .

(٧) نفسه المقامة الحرزية ١٤٦

(٨) شرح مقامات الحريرى المقامة الصنعانية ٢٩/١

والأديب البارع ، (١) ، والمكدى الأعرج (٢) ، والمثقف المتعلم (٣) ، والشيخ المتعامى تصحبه زوجته (٤) ، أو الطاعن مع امرأة جميلة (٥) ، أو المتنكر فى صورة عجوز مكدية (٦) ، أو عارى الجسد (٧) ، أما باقى النماذج فهى لاتختلف عن سابقتها عند البديع .

ومكدى المقامات أكثر جرأة وكشفا لهتك الواقع من قرينه الحقيقى ، فهو لم يتحرج من حديثه عن عيوب مجتمعه ، وعادات أهله السيئة ، وموقفه من الحكم ، ففى المقامة الرصافية تحدث مكدى البديع عن أنواع اللصوص فى عصره ، والتى تصل إلى الثمانين نوعا (٨) ، مما يكشف لنا عن انتشار هذا الداء الخطير فى المجتمع العباسى ، وكذلك غفلة الأمن والقائمين عليه .

وفى المقامة البغداذية ، صور لنا حياة أهل بغداد ، التى تعتمد فى كثير منها على الحيلة والخداع ، عبر حيلة فكاهية استغل فيها مكديه أحد القادمين من القرى ، ونال منه ومن ماله (٩) .

وأكثر مكدى البديع من ذم الزمان وأهله ، نظرا لإحساسه بما فيه من ظلم اجتماعى ، حتى أن أبا الفتح قال عنه فى نهاية المقامة القريضية :

ويحك هـذا الزمـان زور   فـلا يغـرنك الغـرور

---

(١) المرجع السابق المقامة الحلوانية ١/٤٤ - ٤٦ .

(٢) نفسه ، المقامة الدينارية ١/٦٥ .

(٣) نفسه ، المقامة المراغية ١/١١٠ .

(٤) نفسه ، المقامة البرقعيدية ١/١٣٤ .

(٥) نفسه ، المقامة الاسكندرانية ١/١٦٨ - ١٦٩ .

(٦) نفسه ، المقامة البغداذية ٢/٤٠ .

(٧) نفسه ، المقامة الكرجية ٣/٣٠ .

(٨) شرح مقامات بديع الزمان ٢١٥ - ٢٢٣ .

(٩) نفسه ٧٠ - ٧٣ .

لاتلتزم حالة ولكـــــن   در بالليالى كما تدور (١)

ويراه في المقامة الساسانيةجالبا للنحس ، داعيا للحمق ، لذا قال عنه :

هذا الزمان مشـــــوم   كمـا تـراه غشـــوم

الحمق فيه مليــــــح   والعقل عيـب ولـــوم

والمـــال طيـف، ولكن   حـول اللئام يحـــوم (٢)

ويتصنع السخف والجهالة في المقامة المجاعية ، لأن الزمان وأهله قد رقت عقولهم ، وضعف حالهم ، لذا رأى أن يكون على مثالهم ، فقال :

سخـف الزمـــان وأهله   فركبت من سخفي مطيه (٣)

ويبدو أن مكدى المقامة أخذ موقفاً من الزمان ، لذا أكثر من ذمه ، حتى أننا نراه في المقامة العراقية يتعجب من هذا الزمان الذى لايفعل إلا مايدينه ، لذا قال فيه :

بؤسا لهذا الزمان من زمن   كل تصاريف أمره عجب (٤)

وإذا كان مكدى البديع شغله أمر زمانه بما يصنعه فيه وأهل طبقته ، فإن

---

(١) المرجع السابق ١٧ .
(٢) نفسه ١٠٩ - ١١٠ .
(٣) نفسه ١٦٧.
(٤) نفسه ١٨٩.

مكدى الحريرى تفرد بالتندر على السلطة الحاكمة ممثلة فى القاضى والوالى ، حيث استطاع بما لديه من حيل أن ينال منهما ، وكأنه بهذا ينفس عن قطاع عريض بأكمله يكمن في براثن الفقر ، وسط مجتمع مضطرب من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فقد استطاع ومعه ولده فى المقامة المعرية ، أن ينال دينارا من القاضى بعد أن احتال عليه بدعوى الخصام ، طالبا الفصل بينه وابنه إلا أنه كشف أمرهما ، وحذر المكدى من أن يعود لمثل صنيعه مرة أخرى قائلا فى نهاية المقامة (وإنى لك من المنذرين ، وعليك من الحذرين ، فلا تماكر بعدها الحاكمين ، واتق سطوة المتحكمين ، فعاهده الشيخ على اتباع مشورته ، والارتداع عن تلبيس صورته) (١) .

لكن لم يخضع مكدى الحريرى للتهديد السابق ، ولا لوعده أمام القاضى ، وكأنه أعلن عزمه على الاستمرار فى النيل من رجال الدولة ، وتنكر للقاضى في مقامة أخرى هى الاسكندرانية فى زى شيخ مسن تصحبه امرأة جميلة ، بدعوى أنه قصر فى حقوقها لقلة ذات اليد ، فما كان من القاضى إلا أن وقع فى حبائل المكدى ، وبهره جمال المرأة ، فأعطاه مالا عوضا عن فقره ، لكن سرعان ما اكتشف خديعته ، ورغب فى الاقتصاص منه ، إلا أنه اختفى (٢) .

وينتقل الحريرى بمكديه من التندر على القاضى والسخرية منه ، إلى النيل من الوالى ؛ وهو واحد من الهيكل التنظيمى للدولة ، ففى المقامة الرحبية يسقط مكدى الحريرى الصورة البراقة للوالى من خلال إظهار ولعه بالغلمان ، وكشف ذلك عندما احتال عليه بأن رغبه فيابنه المحتال بهوعرض عليه تركه له مقابل القليل من المال، واشترط عليه أن يبيت معه ليلته لينعم به ويغادر البلدة في الصباح، وعندما حل المساء تركا له المنزل، مخلفين بعدهما رسالة شعرية يعزيه فيها المكدى عن ماله الذى فقد ، وغلامه الذى رحل (٣).

---

(١) شرح مقامات الحريرى ١/ ١٦٠
(٢) نفسه ١/١٧١ - ١٧٨ .
(٣) نفسه ١/١٨٥-٢١٤.

ويحتال عليه مرة أخرى مدعيا أن ابنه سرق شعره ، فيطلب منهما أن يتباريا شعريا حتى يعلم السارق من المسروق ، فيستغل السروجى المكدى هذا الأمر ، وينظم له فى سوء حاله ، فيرق له الوالى ويعطيه من ماله على الرغم من شحه (١) .

إن المكدى عبر النماذج السابقة سواء عند البديع أو الحريرى كان أكثر جرأة على كشف معالم واقعه ، سواء بعرض نماذج من آفاته ، أو ضيقه من زمانه وذمه له ، ولقد عمد الحريرى عبر حيل مكديه أمام القاضى والوالى ، أن يسند إلى النظام الحاكم سمتى الغباء والنقيصة ، فالقاضى لايعرف العدل ، فقد بهره جمال المرأة فحكم لها دون نظر لشكوى زوجها ، وبالتالى ينسحب ذلك على كثير من أحكامه .

والوالى شخصية خلقية متدنية ، شغوفة بحب الغلمان ، وهو على استعداد أن يدفع جل ماله من أجل أن يظفر بغلام يثير شهوته . ولعلى أرى أن الحريرى عبر هذه الأمثلة يبرهن أن نظاما هذا عماله ، لايستحق أن يستمر على هذه الوتيرة .

ومن المميزات الأخرى التى تشهد لمكدى المقامات بالتفرد عن قرينه فى الواقع ، أنه أوسع حيلة ، فلديه منها الكثير لأجل جلب المال ، ويسعفه مؤلفه بالمزيد منها فى حينها ، ولانستطيع هنا سرد كل الحيل المكدية فى المقامات ، فمنها الكثير المتشابه مع حيل المكدين التى صورها أبو دلف فى ساسانيته الشهيرة ، لكننا سنتعرض للبعض منها ، والتى لم نشهدها عند مكدى الواقع . منها هذه الحيلة لمكدى البديع فى المقامة الأصفهانية ، عندما أعلن أمام جمهور المصلين فى المسجد ، أن الرسول زاره فى المنام وعلمه دعاء ، وأوصاه أن يعلمه لأمته ، وعملا بالوصية كتبه على ورق معطر بالمسك والزعفران ، فانهالت عليه الدراهم ، مستغلا بذلك سذاجة العامة ، وقائلا عنهم فى نهاية المقامة :

الناس حمر فجوز   وأبرز عليهم وبرز

---

(١) المرجع السابق ٢/٣ ٢ ٢٤٩

حتى إذا نلت منهم ماتشتهيه ففروز (١)

ويستثمر مكدى البديع هذا الانصياع السريع من الناس فى حيلة أخرى ، وذلك عندما أعلن أمام أهل بعض القرى التى طاف بها وشهد موت أحد رجالها ، أنه لديه القدرة على إحيائه ، فانهالت عليه الأموال من كل جانب ، لكن سرعان ما اختفى بالمال ، تاركا الجثة بلا حراك (٢).

وفى المقامة الحرزية يعمل عقله ، وهو فى عرض البحر عبر سفينة على وشك الغرق ، معلنا أمام راكبيها أن فى حوزته مايمكنهم من النجاة ، وهو حرز واق للغرق ، وعلى الراغب فى ذلك أن يدفع دينارا عند أخذه ، والثانى عند نجاته ، فحصل على مال وفير (٣) .

ويطالعنا مكدى الحريرى بحيلة جديدة لم نشهدها من قبل ، هى تنكره فى زى امرأة عجوز مكدية معها أولادها الصغار تكدى عليهم ، وتعرض سوء حالها شعرا ونثرا (٤) .

ويتبقى لمكدى المقامات في النهاية أدواته الفنية التى كان يستخدمها للوصول إلى هدفه ، منها فصاحة لسانه ، وقدرته اللغوية الفائقة ، وولعه الشديد بالمحسنات البديعية ، وكثرة استشهاداته الشعرية وأغلبها من البحور المجزوءة ذات الإيقاعات الراقصة ، وكذلك الأمثال ، يضاف إلى ماسبق جانب الطرافة التى استخدمها فى كثير من حيله المبتكرة ليخلق عبرها جوا من المرح ، ولعله فى هذا يواكب السمات المميزة للنثر الفنى فى عصره .

وبعد نستطيع أن نرى بوضوح التطور الذى حدث للشخصية المكدية منذ أن

(١) شرح مقامات بديع الزمان ٦٣ - ٦٥ .

حمر : جمع حمار . برز : بالتخفيف ظهر . فروز : مات .

(٢) نفسه ١١٣، المقامة الموصلية .

(٣) نفسه ١٤٧ .

(٤) شرح مقامات الحريرى ٢/ ٤٠ - ٤٦ المقامة البغدادية .

شهدت ميلادها على يد الجاحظ ووصولا إلى البديع والحريرى .

وعلى الرغم من رسم ملامح هذه الشخصية المتخيلة فى المقامات ، إلا أنها لم تختلف كثيرا عن عالم الواقع ، فإذا وضعنا القصيدة الساسانية لأبى دلف أمـام أعيننا ، وعددنا نماذجها المكدية التى وصفها فى قصيدته ، سنجدها صور البطل المكدى المتعدد الأشكال فى المقامات ، كذلك يتفق مع قرينه فى عرضه لأسباب الشكوى والاستجداء ، واتساع دائرة تطوافه وبحثه عن المال ، إلا أن مكدى المقامات يتفرد بمزية ، هى قدرته على الحيل بصورة أوسع وأكثر دقة ، ويرجع السبب فى ذلك إلى عقلية مؤلفه وقدرته على الابتكار .

ويبقى لمكدى الواقع الفضل فى أنه أثرى الأدب العربى عبر استلهام صورته فى عمل ذائع الصيت كالمقامات ، وكان مثالا صادقا للانحراف الذى أصاب الشخصية العربية فى ذلك الوقت ، عبر مجتمع يقوم على أسس غير عادلة (١) .

---

(١) الوسطية العربية . الكتاب الثانى ٢٠١ - ٢٠٢ .

مُعجم مُصطلحات الكدية

هذا معجم خاص بمصطلحات طائفة الكدية ، وهو عبارة عن ألفاظ ذات مدلول خاص من صنع أهل الطائفة ، ومادته مستقاة من مصادر أربعة هى بخلاء الجاحظ ، ومحاسن البيهقى ، ويتيمة الثعالبى الجزء الثالث الخاص بترجمة أبى دلف الخزرجى ، وأخيرا مخطوطة الحلى .

وتم تبويب المعجم حسب الترتيب الهجائى الألف بائى ، وفى داخل كل حرف تم ذكر المصطلح ثم معناه فمصدره ، يتبعه رقم الصفحة المأخوذ منها ، وفى حالة تكرار المصطلح في أكثر من مصدر ، وضع معنى كل مصدر فى المتن يليه رمزه وصفحته بين معكوفين ، مع مراعاة أن يكون الترتيب حسب أسبقية التأليف ، والرموز الموضوعة لكل مصدر مستنبطة من أسماء مؤلفيها ، وهى على النحو التالى :

ج = بخلاء الجاحظ .

ب = المحاسن والمساوئ للبيهقى .

د = القصيدة الساسانية لأبى دلف الخزرجى .

ح = المخطوطة الساسانية لصفى الدين الحلى .

ولقد تم التنويه داخل المعجم على الكلمات الفارسية الأصل ، بعد شرح معناها المصطلح عليه عند أهل الكدية ، سواء اتفقت معها أو اختلفت طالما أن الأصل واحد للكلمة .

ويلاحظ المتصفح لهذا المعجم أن الكلمات التى وردت في محاسن البيهقى ، وسبقه فيها الجاحظ نقلها كما هى دون أدنى إضافة إلاّ النادر ، وهذا يعزى الفضل للجاحظ ، وأن جلّ مادة هذا المعجم من قصيدة أبى دلف ومخطوطة الحلى .

واكتفيت فى هذا المعجم بشرح معنى الكلمات المصطلحة عند طائفة الكدية كما وردت لديهم مع تفسير للغامض منها ، دون ذكر للشواهد الشعرية أو النثرية لها ، لأن اللغة فى ذاتها لم تتطور وتدخل عالم الأدب إلا فى نطاق ضيق ، لذا ندر استعمالها

ولم تكتسب دلالات تاريخية تسمح لى بتتبع دقيق لتطورها ، فهى لم ترد إلا فى لغة الكدية الخاصة فقط ، ثم أغلقت على نفسها ، واندثرت داخل إطار طائفتها .

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الألف		
١	أبالزِ	أبيع .	ح	١٠
٢	أبو شَمْر	أول من أكدى بعلة الغزاة .	د	٣٥٧
٣	أجَرْخ	أرقص .	ح	١٢
٤	الاحْسَان	العوام .	ح	٢
٥	أدْصَائِي	أعدائى .	ح	٢
٦	أرْدَدُ	أكف .	ح	٣
٧	أرْقى	أقرأ .	ح	٦
٨	أزْدَان	أكمام .	ح	٣
٩	أزغمر	أتيقن	ح	١٦
١٠	اسْتَكَاف	أخذ وسلب .	ح	٢
١١	الاسْطِيْل	هو المتعامى إن شاء أراك أنه منخسف العينين وإن شاء أراك أن بهما ماء ، وإن شاء أراك أنه لايبصر للخسف ولريح السبل (ج / ٣ ٥٣) ، هو المتعامى إن شاء أراك أنه أعمى وإن شاء أراك أنــه ممن نزل فى عينـه المـاء ، وإن شـاء أراك أنه لايبصر (ب ٢/٤١٦) ، هـو الأعمى (د/ ٣٦٦) .		
١٢	الأسْطِيل	الجامع .	د	٣٧٠
١٣	أسَلسِل	أطول .	ح	١١

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
١٤	أشْرَكَ بِالهَبْر	إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .	د	٣٥٨
١٥	اشْكَان	دخول .	ح	١٣
١٦	اشْكَلَ	لحق وأدخل .	ح	٢
١٧	أَصْحَابُ التَجَافِيف	قوم يأوون إلي المساجد ، عليهم مرقعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض .	د	٣٧٠
١٨	أَصْمَانِي	سقاني .	ح	٦
١٩	أَصْهَا	أصبرُ .	ح	١٦
٢٠	أَطْنَانِي	أماتني .	ح	٧
٢١	أَقنَف	أكدى وأحصل .	ح	٣
٢٢	الاقْميم	الأتون .	ح	١٥
٢٣	أكَركى	أصَلّى .	ح	٤
٢٤	أمْرِي	نفسى .	ح	١٥
٢٥	انْفَذْتُ	بعت .	ح	٨
٢٦	أهْطل	ممارسة الجنس .	ح	٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الباء		
٢٧	بَاخِس	واحد .	ح	٥
٢٨	بَانُوَان	الذى يقف على الأبواب ويقول : بانوا وتفسير ذلك بالعربية يامولاى والكلمة فارسية الأصل معناها السيدة ربة البيت، السيدة المحترمة.	ج	٤٦
٢٩	البتّنيب	البكاء .	ح	٤
٣٠	بَخْتُورَتِى	بارحتى .	ح	١٥
٣١	بَرْبَازَار	ذو الألوان .	د	٣٧١
٣٢	بَرْغَاشَات	آذان .	ح	١٠
٣٣	بَرْكَشْتُ	فصلت ، ويقصد بها التفصيل فى الحديث .	ح	٥
٣٤	بَرْكَكْ	الذى يقلع الأضراس ويداوى منها .	د	٣٦٣
٣٥	بَرْكَوْش	الذى يتصامم ، ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك ، واسم ابيك فيسمع مايقوله وينبئه به .	د	٣٦٣
٣٦	بَزَّاق	الذى يرقى المجانين ، وأصحاب العاهات ، ويتفل عليهم .	د	٣٦٤
٣٧	بَزَاوين	الأعاجم والكرد .	ح	٤
٣٨	البَرْزك	المواضع .	د	٣٦٦
٣٩	بَزَهْمِى	سمك .	ح	٦
٤٠	بَشْبَاشَة	اللحية .	د	٣٦٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٤١	بشْتدار	غلام	ح	٣
٤٢	البشْتَداريُون	قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى ، فيحملون رحالاتهم ومايجمعون بها من الحب والصوف وغيره .	د	٣٦٥
٤٣	بَشْتَكانِى	بائع الخرز والمسك المزغول ، أى المغشوش .	ح	١١
٤٤	بَشْرَكَ	الذى يتزيا بزى الرهبان تزهدا .	د	٣٥٨
٤٥	بَصّاص	كحال .	ح	٧
٤٦	بَلَح الأجْر	السبح التى تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه السلام .	د	٣٦٥
٤٧	بَلَزتُ	بعت .	ح	٨
٤٨	بَلْفَكَ	إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرقيق ، أى خيط الحرير .	د	٣٥٨
٤٩	بَلْهَانِى	كتاب فيه تصاوير وتزاويق .	ح	٩
٥٠	بَنُو التَضْرِيب	قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم، فهم أبدا في رتق أو فتق .	د	٣٧١
٥١	بَنْوَنَ	المنتسب إلى البانوانية ، وهم الشطار والبانوانية نسب إلى البانوان الذى ذكرناه من قبل .	د	٣٦١

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٥٢	بَهَالِيل	رؤساء المكدين	د	٣٦٨
٥٣	بَهْتَة النسَّبَ	صورة البيت الحرام .	ح	٩
٥٤	بَهْتى	وجهى .	ح	١٤
٥٥	بَهَّلَ	حسن وجمل .	ح	١١
٥٦	بَوْر	باب .	ح	٥
٥٧	بَيْقَان	معذور .	خ	٤

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف التاء		
٥٨	تَبْريح	كشف وهتك .	ح	٢
٥٩	تَبْك	فلس .	ح	٢
٦٠	تَبْكيْت	تغطية .	ح	١٦
٦١	تَتَحصّانى	تنظرنى .	ح	١١
٦٢	تَرْبَد	عقار أبيض .	ح	٨
٦٣	تَرْبيْخ	تحسين وتعظيم .	ح	٢
٦٤	تَرْتا	حتى .	ح	٥
٦٥	تَرْقَيْت	قرأت .	ح	٩
٦٦	تَزْتَانِى	غنائى .	ح	١٣
٦٧	تَشْفير	تجريح .	ح	١٤
٦٨	تَصْهَانِى	تهوانى .	ح	٤
٦٩	التَّطْبيب	التوليف والمراضاة .	ح	١٦
٧٠	تَعْديل	جماع .	ح	٤
٧١	تَعْكير	شكاية .	ح	١٦
٧٢	تُقَيف	تكدى وتطلب ، وتطلق على المرأة المكدية .	ح	١٣
٧٣	تَكَسَّا	اختفى .	ح	١٤
٧٤	التَكَسيح	الممانعة .	د	٣٦٠
٧٥	التَكْليْل	الكيمياء .	ح	٦
٧٦	تلأغ	كلام .	ح	٤
٧٧	تَلْغُوا	تكلموا .	ح	٩

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٧٨	تَلْفت	تكلمت .	ح	٧٠٤
٧٩	تَلْقَانِي	تجامعني ، والمقصود اللقاء والمقابلة .	ح	١٥
٨٠	تَمَايِم	جمع عوذة وهي الرقية .	ح	٩
٨١	التَمْتِيج	السفر .	ح	٤
٨٢	التَّمنيم	إدعاء استخراج الكنوز .	ح	٦
٨٣	التَنْبَل	الأبله الذى يقبل المخاريق على نفسه ، ويغتر بما يورد المنجم عليه فيخرج دراهمه طمعا فى ردها فيأخذها منه ويسخر به ، والكلمة فارسية الأصل وتعنى الكسول البليد.	د	٣٦١
٨٤	تَنْبير	هبوب هواء مزعج .	ح	٣
٨٥	تهذل	تراخى ذنباله .	ح	١٠
		حرف الثاء		
٨٦	الثَّامُولة	تطلق على قوم يأوون إلى المساجد ، عليهم مرقعات كالتجافيف ، بعضها مركبة فوق بعض ، يقال لهم الثامولة أى الصبر ، وصبرهم نابع من تحملهم لضنك العيش ، وأصلهم من الهند .	د	٣٧٠

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الجيم		
٨٧	الجَامُور	آلة كالطاسة المكتوبة ، يخرج منها الدخان بلاتار .	ح	٨
٨٨	الجَبَّارُ	المكدى الذى يقف فى المسجد قائما أو قاعدا ولايبرح مكانهُ إلا بعد أن يأخذ مايريد .	د	٣٦٢
٨٩	جَرَّارُ العيالات	الذى يكترى الصبيان والنساء ويكدى عليهم .	د	٣٦٣
٩٠	جَرْخ	رقص .	ح	١٢٠
٩١	الجَزْر	البصر .	د	٣٦٣
٩٢	الجَفْرُ	شئ على هيئة الفلك يدور .	د	٣٦٥
٩٣	جَفَّيْت	دفنت و أخفيت .	ح	٦
٩٤	جَمِيْع	قواد .	ح	١٥
٩٥	جَنْحَانى	المقص	ح	١٢
٩٦	جَوازَات	مايتبقى من طعام .	د	٣٧٢
٩٧	جَوَازِير	أعين .	ح	١١
٩٨	جَوانَى	هياكل صغيرة من رصاص .	ح	٩

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الحاء		
٩٩	الحَاجُور	الذى يأخذ الحلقوم مع الرئة ، فيدخل الحلقوم فى دبره ، ويشرح الرئة على فخذه تشريحا رقيقا ويذر عليه دم الأخوين (ب ٢/٤١٤) ، والحاجور الذى يثقب بيضة ويجعلها فى حجره وهى تسيل ماء أصفر (د /٣٥٧) والحاجور الذى ينام على الطريق ويتحمل عضدان الأرض ويخرج بقعة كالمريض (ح ١٣) .		
١٠٠	حَازُور	سكين .	ح	١٤
١٠١	حَافَ عَليه بخته	انقلب .	د	٣٦٦
١٠٢	حَافِرُ الطِرْس	الذى يحفر القوالب للتعاويذ ، فيشتريها منه قوم أميون لايكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذى عليه فينفذ التعاويذ إلى الناس ويوهمهم أنه كتبها .	د	٣٦٣
١٠٣	حَبّ	عقار .	ح	٨
١٠٤	حَرَّاق	الذى تكون معه مرآة تشعل منها النار .	د	٣٦٤

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
١٠٥	حَـرْزٌ	كتب التعاويذ والأسحار .	د	٣٥٦
١٠٦	الحزق	الصياح .	ح	٤
١٠٧	حَشَّم	أطعم .	ح	٢
١٠٨	حَكَّاك	الذى يكون معه حجارة محمولة من درنبد ، يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنـانير ، ويقال للواحد منها المحـك .	د	٣٦٥
١٠٩	حَنَّنَ	خضب كفيه بالحـنـاء .	د	٣٦٤
١١٠	الحُوق	صاحب اليـد الوجيعـة .	ح	١٣
		حرف الخـاء		
١١١	الخاقانى	الذى يحتال فى وجهه ، حتى يجعله مثل وجه خاقان ملك الترك ، ويسوده بالصبر والمداد ، ويوهمك أنه ورم .	ب	٢/٤١٤
١١٢	خَرَبْشَة	قريـة .	ح	٥
١١٣	خَرَجَ باليَابِس	قوم من أهل الكدية ، يخرجون فى أيام الأعياد إلى المصلى ، وهم عراة حفاة يكدون .	د	٣٧٠
١١٤	الخش	الأفعى .	د	٣٦٦
١١٥	الخشّاش	حاوى الحيات .	ح	١١

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
١١٦	الخُشْنِي	الذى لايكدى .	د	٣٦٣
١١٧	خشيزك	عقـــار .	ح	٨
١١٨	خَفَقَ	عرف وأحسـن .	ح	٢
١١٩	خَفَى	خبـأ .	ح	١١
١٢٠	الخَلَنْجِي	الذى يخرى ولايغسل استه .	د	٣٧٢
١٢١	خَنْدَجَ	ضحك .	ح	١٢
١٢٢	خَنَقَ	تطلق على واحد من أهل الكدية يضع المنديل فى رقبته ، ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه .	د	٣٦٠

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الدال		
١٢٣	دَاصَانِى	عادانى .	ح	٢
١٢٤	الدَّامُوع	البصل .	ح	١٠
١٢٥	دبَّاب	مرقص الدببة .	ح	١٢
١٢٦	دَتْشَم	لطمه على خده .	ح	٩
١٢٧	دَرَّعَ	أكل الهريسة .	د	٣٥٧
١٢٨	دَرْمَكَ	باع العطر على الطريق .	د	٣٥٧
١٢٩	دَرْوَزَ	دار على السكك والدروب وسخر بالنساء .	د	٣٥٦
١٣٠	دَسْت	عشرة .	ح	٩
١٣١	دَشَّش	جعل فى إسته شبه حشو كحقنة ، ونام على الطريق ، واخرج من استه كالدشيشة ، وهى حب القمح المجشوش .	د	٣٥٩
١٣٢	الدَّغْر	المقاسمة .	د	٣٥٦
١٣٣	دَغْرة	هجمة وغارة .	ح	٦
١٣٤	الدكَّاك	الذى يرقى من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع ، يحتال حتى يبلعه العليل ، فيزعم أنه انحل بالرقية .	د	٣٦٧

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
١٣٥	الدكَشْرى	الثـور .	ح	١٥
١٣٦	دكّكَ	الذى يخرج اللوى من العصيان وهو يبس الكلأ ما بين الرطب واليابس ، ويحتال على من به وجع الضرس ، حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ، ثم يخرجه ويوهمه أنه أخرجه بالرقية .	د	٣٥٨
١٣٧	الدلْوانِى	الذى يحرك رأسه عند الصياح والإنشاد عندما يكون متحاننا فى الحديث والقصص الدينى .	ح	٧
١٣٨	دَمَّجَ	قام فى البرد .	د	٣٧١
١٣٩	دَمَّخَ	نـام .	ح	١٣
١٤٠	دَمَّعَ	من يبكى فى الأسواق عند البرد ، حتى ينال عطايا الناس .	د	٣٥٧
١٤١	الدَّمْق	الدهـر .	ح	١٣
١٤٢	دَنَّكَ	قال وأسمى .	ح	٢
١٤٣	دَهْشَمَ	مخرق وموه بأنه صائم .	د	٣٦٤
١٤٤	دَوَانيك	أحاديث وإشارات .	ح	٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الذال		
١٤٥	الذّرارحّى	جمع ذراح ، وهى دويبة حمراء منقطة بسواد ، وهى من السموم يأخذها أحدهم فيشدها في موضع من جسده من أول الليل ، ويبيت عليه ليلته حتى يتيقظ فيخرج بالغداة عريان ، وقد تنقّط ذلك الموضع ، وصار فيه القيح الأصفر ، وينصب على ظهره قليل رماد ، فيوهم الناس أنه محترق .	ح	١٥
١٤٦	ذَعْرات	غارات .	ح	٤
١٤٧	ذكَّرَ	كدى على الأبواب ، وهو من أجلاء طبقة الكدية .	د	٣٦٤
١٤٨	ذَلَقَ	مشى عريان الاست .	د	٣٦٠

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الراء		
١٤٩	الربّانيح	المدارس .	ح	٥
١٥٠	ربّحَ	جـاء .	ح	٥
١٥١	ربّحوشانى	عظموا .	ح	٤
١٥٢	ربّغَ	حَسّنَ .	ح	٦
١٥٣	ربّصَ	صنف .	ح	٨
١٥٤	ربّى	قوم من الشطار ، يقولون بالصاحب والغلام ، ويربون الصبيان .	د	٣٦٥
١٥٥	رَختَانِى	صاحب رختة ، وهى بسطة العقاقير .	ح	٧
١٥٦	رَشّ	كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس .	د	٣٥٧
١٥٧	رَشّشَ	الذى تكون معه مبولة مع خصاه ، فإذا جاءه البـول رشه على النـاس .	د	٣٥٩
١٥٨	رَصّى	وَصّـى .	ح	٧
١٥٩	الرَصْف	الصفع	ح	١٢
١٦٠	رَعّسَ	كدى على حوانيت الباعة ، فيأخذ من هنا جوزة ، ومن هنا تمرة وتينة .	د	٣٥٧
١٦١	ركّبَ	طلى جسمه بالشرج وهو زيت السمسم حتى يسود جسمه وجلده ، ويدعى أنه جلد أو لطمته الجن ليلا .	د	٣٥٧
١٦٢	رَوَى الأسَانيد	قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .	د	٣٦٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الزاى		
١٦٣	زَاَبُول	المرأة سيئة السمعة .	ح	١٥
١٦٤	زَاَل	حمار .	ح	٣
١٦٥	زَالآنِى	معلم الحمار :	ح	١٢
١٦٦	الزَجْر	العالم المتقشف الورع .	د	٣٧٢
١٦٧	زَرَاَنِى	خافنى .	ح	١٤
١٦٨	زَرْدَ	شبع .	ح	٦
١٦٩	زُغْبَل	كل ماخالف الحنطة .	د	٣٧١
١٧٠	زَقَى	قرأ .	ح	١٣٠
١٧١	زَقَّانى	أنطعنى .	ح	١٣
١٧٢	زَقَى	صَلَى .	د	٣٥٩
١٧٣	زُكيم الحَبَشَة	الذى يأتيك وعليه دراعة صوف مضَرية مشقوقة من خلف وقدام ، وعليه خُفّ ثغرىّ بلا سراويل ، يتشبه بالغزاة .	ب	٤١٥/٢
١٧٤	زُكيم المرَحُومة	المكافيف يجتمعون خمسة وستة ، وأقل وأكثر ، وقائدهم يبصر أدنى شئ ، عينه مثل عين الخفاش ، يقال لـه الأسطيل .	ب	٤١٥/٢
١٧٥	زُكيم المغالطة	السّكوت الذى يوهمك أنه لايحسن التكلم .	ب	٤١٥/٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
١٧٦	الزُمْخ	النــوم .	ح	١٣
١٧٧	زَنَقَ	ثقب في بدنه ثقبا ، ثم نفخ فيه حتى تورم .	د	٣٦٠
١٧٨	الزَنْكَل	المحتال في السلب .	د	٣٥٩
١٧٩	الزَنْكَلَة	المعافرون الذين يأخذون الحجيج ويضمنون الجنة .	د	٣٦٤
١٨٠	الزَيه	الحشيش	ح	٤
		حرف السين		
١٨١	سَاسَان	شيخ طائفة الكدية .	ح	٢
١٨٢	سَاق	الذى يقوم بسقاية الناس .	د	٣٥٩
١٨٣	السَالُوس	الكلام اللين المنمق ، والكلمة فارسية الأصل معناها المحتال ، المنافق ، المخادع .	ح	٤
١٨٤	السَّحَرِىَ	الذى يبكر إلى المساجد من قبل أن يؤذن المؤذن .	ب	٢/٤١٣
١٨٥	سخامُ القصّ	سواد الأتون .	د	٣٧٠
١٨٦	سدَل	عدى	ح	٥
١٨٧	سرْمَاط	كتاب .	د	٣٦٤
١٨٨	سَرْمَطَ	كتب .	د	٣٦٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
١٨٩	السَرْمَلُ	القميص المخرق .	د	٣٦٥
١٩٠	سَطَّلَ	تعامى وهو بصير .	د	٣٥٩
١٩١	سَعْفَةُ الريْح	قوم يرعدون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم ، وتصطك أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنورا أو كلبا فلطمته الجن .	د	٣٦٨
١٩٢	سَلّار	كبير الجماعة	ح	١٢
١٩٣	سَلْسَلَ	طـول .	ح	٩
١٩٤	سِمَاقِين	مـردان .	ح	٤
١٩٥	السَمَّان	الذى يعطى النساء دواء السمنة .	د	٣٦٧
١٩٦	سمقُون	الصبى الذى يأخذ بيد الضرير أثناء سيره ، ويوهم الناس أنه ابنه .	د	٣٦٥
١٩٧	السَنَّان	الذى يعطى دواء الأسـنان .	د	٣٦٧
		حرف الشـين		
١٩٨	شَـان	الله سبحانه وتعالى .	ح	٤
١٩٩	الشَجوِىَ	الذى كان يؤثر فى يده اليمنى ورجليه حتى يرى الناس أنه كان مقيدا مغلولا ، ويأخذ بيده تكة فينسجها ، ويوهمك أنه من الخلدية ، وقد حبس فى المطبق خمسين سنة .	ب	٤١٣/٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٢٠٠	شَدَّادُ معصَم	الذى يشديده ، ويدعى أنها قطعت	ح	١٣
٢٠١	شَدَّدَ	قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس فى اللواط ، وشرب الخمر .	د	٣٦
٢٠٢	الشَرْشَرَة	القمار .	د	٣٦٦
٢٠٣	شَرْمَطَ	كتب .	ح	٩
٢٠٤	الشُسُوص	أنياب الأفعى .	د	٣٦٦
٢٠٥	شَطَّبَ	عقر نفسه بالموسى ، وكذب على الأعراب والأكراد واللصوص .	د	٣٥٧
٢٠٦	الشَغَائَات	المساجد ، واحدها شغاثة .	د	٣٥٩
٢٠٧	الشَقَاعَات	جمع شقاع . وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد ، ويكون مع واحد من الكدية ، فيدورون فى المواضع ، ويبسطون الشقاع ، ويصلون عليها ، ولايأوون إلى موضع .	د	٣٧٠
٢٠٨	شَقَّفَ	المشقف هو الذى يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه ، فإذا مر به الأبله قال له : جرب بختك وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها فى النار ، فيظهر المكتوب أسود ، وقد يعمل هذا الجنس	د	٣٦١

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		بمـــاء العفص أى (الحبر) فإذا غمس فى مـــاء الزاج ـ وهو نـــوع من (الكبريتات) ـ خرج أسـود .		
٢٠٩	الشَكّاك	الذى يبيع دواء الفأر ، واسمه الشك .	د	٣٦٥
٢١٠	شَلَبى	معاجينى .	ح	٧
٢١١	شَلَفَ	أتلف .	ح	١٠
٢١٢	شَمّالة	خمسة .	ح	٥
٢١٣	شَمُولة	خبز .	ح	٦٠
٢١٤	شَنّا	إثنان .	ح	٥
٢١٥	شِنَاظ	رَجُل .	ح	٦
٢١٦	شَوَلَسَ	من الشالوسة : وهم الزهاد الذين يكدون بلباس الشعر .	د	٣٥٨
٢١٧	الشَيْشَق	الحدائد والتعاويذ ، التى يضعها المتجانن والمتجاننة على صدره .	د	٣٥٦

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الصاد		
٢١٨	الصَّارُوخ	الذى يصيح بالبيان .	ح	١٠
٢١٩	صَدَّى	منع وخوف .	ح	٤
٢٢٠	الصقْر	المرأة التى تشد عينيها ، وتدعى أنها رمدى أو عوراء .	د	٣٦٩
٢٢١	صَلاَّج	جالد عميرة .	د	٣٥٦
٢٢٢	صُلْبَان	أربعة ، واحدها صليب .	ح	٥
٢٢٣	الصّمِيّ	شراب الخمر .	ح	٤
٢٢٤	الصنُّار	الذى يعلق فى الأجفان للمداوة .	ح	٧
٢٢٥	صَهْل	فرس .	ح	٣
٢٢٦	صُوفَان	شيخ الصوفية .	ح	٤
		حرف الضاد		
٢٢٧	ضَرْبَ فى حُبِّ علىّ وأبى بَكر	قوم يحضرون الأسواق ، فيقف واحد فى جانب ويروى فضائل أبى بكر رضى الله عنه ، بينما يقف الثانى فى الجانب المقابل ويروى فضائل على رضى الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبى والشيعى ، ثم يتقاسمان الدراهم فى النهاية .	د	٣٦٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الطاء		
٢٢٨	طار	دُف .	ح	٦
٢٢٩	الطارُوح	شقبان الكدية .	ح	٣
٢٣٠	طانِي	أميت .	ح	١٣
٢٣١	طحَنَ	قوم يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم .	د	٣٦٧
٢٣٢	الطرْش	ضرب القالب كالكتابة .	ح	٩
٢٣٣	طفْشَلَ	علق لسانه وتشبه بالأعراب .	د	٣٥٩
٢٣٤	طليم	أعمى .	ح	١٣
٢٣٥	طنَا	مات .	ح	٧
٢٣٦	طنْشَلى	فلاح .	ح	١٤
٢٣٧	الطرَلْقين	درج فيه صور وتماثيل .	ح	١٠
		حرف العين		
٢٣٨	عبّوه أتابير	جمع الخبز ، وجعله كالأنبارات .	د	٣٧١
٢٣٩	عَبِيت	نهبت وسلبت .	ح	٤
٢٤٠	عَتيل	فقير .	ح	٣
٢٤١	العَسْم	المفلوج .	د	٣٧٠
٢٤٢	عش رضوان	الجنة .	د	٣٦٤

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٢٤٣	العُشَيْرِيُون	الذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون ، وتثاقفهم يعنى إظهار مهارتهم وحذقهم.	د	٣٥٨
٢٤٤	العَلاَّفة	المرأة التي تتزوج بمن يحسن الكدية وتشد يدها وتدعى أمام الناس أنها مقطوعة .	د	٣٦٩
٢٤٥	العَوَّاء	الذى يسأل الناس بين المغرب والعشاء وربما طرب ، إن كان له صوت حسن وحلق شجى (ب ٥٣) ، والعواء الذى يسأل الناس بين المغرب والعشاء ويطرب فى صوته (ب ٤١٦/٢) .		
٢٤٦	عَوَزة	عــلامــة تدفن ، ويسدل بها على الكنز.	ح	٦
		حرف الغين		
٢٤٧	غَرْشَة	صنعة الحيل .	ح	٤
٢٤٨	غَلَسَ	كدى وقت الفجر .	د	٣٥٧
٢٤٩	غَلَمَشَ	ليلة .	ح	١٥

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الفاء		
٢٥٠	فَتَّاء	نصرانى .	ح	٥
٢٥١	الفَذّ	البرية .	ح	١٦
٢٥٢	الفَرَاكِيش	أكابر الغرباء .	ح	٢
٢٥٣	الفرْش	أكابر الغرباء .	ح	٢
٢٥٤	الفَطْر	الذى لم ينضج بعد .	د	٣٧٢
٢٥٥	فَكَّكَ	المكدى الذى يفك السلاسل على الطرق .	د	٣٥٨
٢٥٦	الفلْور	الذى يحتال لخصيته ، حتى يريك أنه آدر ، وربما أراك أن بها سرطانا أو خراجا أو غربا ... أو ربما أرى ذلك فى دبره ، بأن يدخل فيه حلقوما ببعض الرئة ، وربما فعلت ذلك المرأة بفرجها (ج ٥٢) ، والفلور هو الذى يحتال لخصيته حتى يريك أنه آدر ، وربما أراك أن بها شرطا أو جرحا ، وربما أراك ذلك فى دبره ، وتفعل المرأة ذلك بفرجها (ب ٤١٦/٢) .		
٢٥٧	فَنَا	قليل .	ح	١٥
٢٥٨	فَنَقَ	سكت .	ح	١٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٢٥٩	فَوْقَان	الرأس .	ح	٦
٢٦٠	فَيْس	كذب والكلمة فارسية الأصل معناها غرور ، تكبر ، دلال ، إفادة .	ح	٢
		حرف القاف		
٢٦١	قَارُوب	شيخ .	ح	٢
٢٦٢	قَازْن	قميص .	ح	٦
٢٦٣	قَافَةُ الرِزْق	قوم يعملون بالتنجيم .	د	٣٦٥
٢٦٤	القَاليًا	محدث القصص .	ح	٦
٢٦٥	قانُون	قميص .	ح	٣
٢٦٦	قَتّت	أكل القت بين أيدى الناس كالجمل .	د	٣٦٧
٢٦٧	قَتْرُ	قطعة .	ح	١٥
٢٦٨	قَجْم	حديث .	ح	١١
٢٦٩	قَجْمَان	أحاديث .	ح	٥
٢٧٠	القَحْم	الكلام المنمق .	ح	٢ـ ١١
٢٧١	قَدّس	من يأكل الكبد المطحونة المجففة فى شهر رمضان خاصة ، ويوهم الناس أنه يطوى ولايفطر فى الشهر مرة أو مرتين .	د	٣٥٨
٢٧٢	قَرَاد	مرقص القرود .	ح	١٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	
٢٧٣	قَراعُ رأس أبى مُوسَى	هو الخشنى ، ويطلقون هذا اللفظ على الذى لايكدى .	د	٣٦٣
٢٧٤	قَرانِى	علم مقصدى..	ح	١٦
٢٧٥	قَرْدَ	الذى يكدى على القردة .	د	٣٦٦
٢٧٦	القَرَسَى	الذى يعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا ويبيت على ذلك ليلة . فإذا تورم واختنق الدم ، مسحه بشئ من صابون ودم الأخوين ، وقطر عليه شيئا من سمن ، وأطبق عليه خرقة ، وكشف بعضه ، فلايشك من رآه أن به الأكلة وهو داء الحكة ، أو بلية شبه الأكلة (ج ٢ ٥٢) ، القرسى : وهو الذى يعصب ساقيه أو ذراعيه عصبا شديدا ويبيت على ذلك ليلة ، فإذا تورم واحتقن فيه الدم ، مسحه بشئ من صابون ودم الأخوين ، وقطر عليه من سمن البقر ، وأطبق عليه خرقة ثم كشف بعضه ، فلايشك من رآه أنه أكلة نعوذ بالله منها (ب ٤١٥/٢) .		
٢٧٧	قَرْمَطَ	كتب التعاويذ بالدقيق والجليل من الخط .	د	٣٦٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٢٧٨	قَروضَة	فـأرة .	ح	١٢
٢٧٩	قَزْقَل	صاح وعمل حيلة .	ح	٥
٢٨٠	قَشْشَ	المقشش هو الذي يخرج ريحا فى المساجد، فيتأذى منه المصلون ثم يعطونه مالا حتى يخرج .	د	٣٥٩
٢٨١	قَشَعَ	مشى وعينه إلى الأرض بحثا عن القطع الملقاة .	د	٣٥٧
٢٨٢	القَشْقاش	الشيخ الطويل اللحية .	د	٣٧٢
٢٨٣	قَشْم	معشوق ، والكلمة فارسية الأصل وتعنى طريق الماء ، جسم ، حال ، هيئة ، أصل طبيعة .	ح	١٥
٢٨٤	قَصّ	من يروى الأحاديث عن الأنبياء ، والحكايات القصار ، ويقال لها الشبريات .	د	٣٥٨
٢٨٥	القَصْدير	عود الرصاص .	ح	٩
٢٨٦	القَصْر	الأتون وهو الفرن يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه فى الرماد ، ثم يخرج وعليه غبرة الرماد ، ويوهم أنه أوى إليه من شدة البرد وعدم الملبوس .	د	٣٦٠

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٢٨٧	القَصْعَة	قوم ينخلون التراب فى الطريق ، ويعلقون على أنفسهم القصاع ، ويغسلون الأسواق بالماء ، ويخرجون إلى البيادر فيأخذون مابقى فى السنبل من حب .	د	٣٦٨
٢٨٨	قُطْبَان	ولد ساسان .	ح	٤
٢٨٩	القَفْيَا	خبز السبيل ، الذى يجزيه الأعلاء على الفقراء والضعفاء .	د	٣٧١
٢٩٠	قَلْفَتوريَّة	شكل طلسم لغير أصل .	ح	٩
٢٩١	القَنَّاء	الذى يقرأ التوراة والانجيل ، ويوهم أنه كان يهوديا أو نصرانيا فأسلم .	د	٣٥٩
٢٩٢	القَنَّابر	جمع قنبرة ، وهى الكسرة من الخبز .	د	٣٧١
٢٩٣	القُنَّادر	الضراط .	د	٣٧٢
٢٩٤	قَنْبِيل	عقار .	ح	٨
٢٩٥	قَنْتَانِى	مدنى .	ح	١٤
٢٩٦	القَنتَى	الطريق .	ح	١٣
٢٩٧	قَنْثَة	مدينة .	ح	٥
٢٩٨	قَنْوَن	من المقنون ، وهو الذى يقول : كان أبى نصرانيا وأمى يهودية وإن النبى عليه الصلاة والسلام جاءنى فى النوم وقال : لاتغتر بدين أبويك	د	٣٦١

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		واتبع ملتى . فأسلمت .		
٢٩٩	قَنِّيدة	قلعـة .	ح	٥
٣٠٠	قُوجَم	حـودث .	ح	١٠
٣٠١	قَوْس أبِى جُحْر	الذى تكون معه قوس عربية ، ونسبت الى هذا الرجل لأنه أول من فعل ذلك فى الحضر .	د	٣٥٩
٣٠٢	القَيْنُون	موضع القسمة .	د	٣٥٧

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف الكاف		
٣٠٣	كَارِذ	قاعد .	ح	٣
٣٠٤	الكَاخَان	الغلام المكدى اذا واجر ، وعليه مسحة من جمال ، وعمل العملين معا .	ب	٤١٦/٢
٣٠٥	كَازَان	المكدى الذى يهجم فى الحلقة .	ح	١٣
٣٠٦	الكَاغ	المتجانن ، والكلمة فارسية الأصل معناها مجتر ، صوت اجترار الحيوان ، صوت ، صياح ، أنين .	د	٣٥٦
٣٠٧	الكَاغَانى	الذى يتجانن ويتظاهر بالصرع ويزبد حتى لايشك أنه مجنون لادواء له ، لشدة ماينزل بنفسه ، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل علتـه (ج ٥٢) ، والكاغانى الذى يتجانن أو يتصارع ويزبد حتى لايشك أحد فى جنونه ، وأنه لادواء له لشك مانزل به ب/٤١٥) .		
٣٠٨	الكَاغَةُ	المتجاننة .	د	٣٥٦
٣٠٩	الكَان	الذى يواضع القاص من أول الليل على أن يعطيه النصف أو الثلث فيتركه حتى إذا فرغ من الأخذ لنفسه اندفع هو فتكلم .	ب	٤١٤/٢
٣١٠	الكَبَاب	النار ، والكلمة فارسية الأصل معناها	ح	٨

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		اللحم المشوى .		
٣١١	الكَبّاجَة	اللصوص .	د	٣٦٩
٣١٢	كَبَسَ	تطلق على المكدى الذى يترقب الرجل حتى إذا حَلّ كيس نقوده ، كبس عليه وأخذ منه قطعة .	د	٣٥٧
٣١٣	كَبَشْتَر	جمل .	ح	٦
٣١٤	كَبَنَ	خرى .	د	٣٦٩
٣١٥	كَحَلَ	هو الذى يمرر قطنة مغموسة فى الزيت على عينيه لتدمع ، ويأخذ فى شكاية حاله واستعراض الناس فى مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه الطريق أو غضب على ماله .	د	٣٦٢
٣١٦	كَـدّ	عبر .	ح	١٥
٣١٧	الكَداد	النساء .	ح	١٠
٣١٨	كَدَّنى	امرأتى .	ح	١٣
٣١٩	كَدَّة	المرأة التى تسأل الناس ، ومعها زوجها فى الجامع .	د	٣٧٠
٣٢٠	كَذَابَة	عصابة ، جمعها كذابات وهى العصابات يشدونها على جباههم ، فيوهمون أنهم مرضى .	د	٣٥٧
٣٢١	الكَرَاجِيم	الجـن .	ح	٨

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٣٢٢	كَرَزَ	وقف .	ح	٥
٣٢٣	كَرْزَعَ	سقى .	ح	٧
٣٢٤	الكرْشِ	الصوم والجوع .	د	٣٦٤
٣٢٥	الكَزاكِي	الولاة والحكام .	ح	٣
٣٢٦	الكَسْر	الدرهم والمرجان والدينار .	د	٣٦٦
٣٢٧	كَسَّى	أخفى .	ح	١٠
٣٢٨	الكَسيح	الشئ الجيد .	د	٣٦٩
٣٢٩	كَشَّ	أكل ، الكلمة فارسية الأصل ومعناها الابط ، الصدر ، وتستعمل بمعنى حسن وطيب .	ح	٤٠
٣٣٠	كَشَّاب	منجم .	ح	٨
٣٣١	كَشَاوِيَ	يهودى .	ح	٥
٣٣٢	كَشْبَاش	لحية .	ح	١٤
٣٣٣	الكَشْح	المليح .	ح	١٦
٣٣٤	كَشَّشَنِي	أطعمنى .	ح	٦
٣٣٥	كُشْتَه	أكله .	ح	١٦
٣٣٦	الكَعْبى	نسبة إلى أبى بن كعب الموصلى ، وكان عريف الكدية بعد خالويه المكدى .	ج	٥٣
٣٣٧	الكَفَانِي	المغول .	ح	١٤
٣٣٨	كَفَتى	تركى .	ح	١٤

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٣٣٩	كَمَّاخة	عقرب .	ح	١١
٣٤٠	الكَمْد	اللقاء الجنسى بين الرجل والمرأة .	د	٣٥٥
٣٤١	الكَنَّاش	قاطع الطريق .	ح	١٤
٣٤٢	الكَوارِيب	الحمامات .	ح	١٥
٣٤٣	كَوَّز	من المكوز وهو الذى يقوم فى مجالس القصاص ، فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه .	د	٣٥٦
٣٤٤	الكَوْش	العبد الأسود .	ح	١٢
٣٤٥	الكَيْذ	الأير .	د	٣٥٦
٣٤٦	الكَيْذَات	الأيور .	د	٣٦٨
٣٤٧	كَيْسَان	قوم عرفوا قوما من الكيسانية والغلاة فيجبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب والكلمة فارسية الأصل معناها الغدر ، عدم الوفاء ، اسم شخص .	د	٣٦١

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		حرف اللام		
٣٤٨	لأبِس	المرتدى وجه امرأة أو حيوان أو ثياب .	ح	١٢
٣٤٩	لأطَنّا	إماته وقتل .	ح	٨
٣٥٠	اللّبوسات	الأحراح وهى الفروج .	د	٣٥٦
٣٥١	لبِيْص	استفهام للسؤال عن المكان (أين) .	ح	٥
٣٥٢	لحَنَ	أعطى .	د	٣٦٣
٣٥٣	لذاالشَوْرَز	الشورز هو الأمرد ، ويدور به واحد من العرب المكدين فيؤدبه ، ثم يخيره بين أحد أمرين ، إما أن يصير غلاما لأحد المكدين ، أو يخرج من دار الفتيان ، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدرة الدسكرة ، ويقال للقدر بما فيها الخشبوب .	د	٣٦٨
٣٥٤	لطّخ	ثياب .	ح	٣
٣٥٥	اللّغز	السفلة من الناس .	د	٣٦٧
٣٥٦	لَقْيَا	مجامعة .	ح	٤
٣٥٧	لوْذَذ	سكر .	ح	٦
		حرف الميم		
٣٥٨	مُبَوكَك	صاحب بركال ، وهو مشرط الأضراس .	ح	٧
٣٥٩	مُخَبْرَش	متعاون .	ح	١٦
٣٦٠	مُخَنَّنَ	مسوق بالأحاديث والأسفار .	ح	٦

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٣٦١	مخزون	لحم .	ح	٦
٣٦٢	مَخْطَر	المكدى الذى يبلع لسانه ، ويوهم أن الروم قطعوه .	د	٣٥٧
٣٦٣	المخطرانى	الذى يأتيك فى زى ناسك ، ويريك أن بابك قد قوّر لسانه من أصله ، لأنه كان مؤذناً هناك . ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب ، فلا ترى لسانه البتة ، ولابد للمخطرانى أن يكون معه واحد يعبر عنه ، أو لوح أو قرطاس ، قد كتب فيه شأنه وقصته .	ج	٥١
٣٦٤	مَدْرَج	رِجْـل .	ح	١٤
٣٦٥	المدرِجَة	قوم يقعدون ، وينامون فى السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجة الرياح ، فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا أو يعطوا .	د	٣٥٩
٣٦٦	المُدلج	الذى يأخذ حاجته من البقال ، ويحصل على ما يريده لبيته ثم يهرب ليلا ويفوز بما يلزمه أداؤه .	د	٣٦٧
٣٦٧	المذقان	المحراب .	د	٣٦٩
٣٦٨	المذكور	الخنزير .	ح	١٦
٣٦٩	المرأس	الحواء معه سلال فيها حيات .	د	٣٦٦

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٣٧٠	مُرَبخ	معظم ومبجل .	ح	٣
٣٧١	مَرْد	درهم .	ح	٢
٣٧٢	مَرق	طبيخ المرق .	د	٣٦٥
٣٧٣	مَرْقان	دينار .	ح	٢
٣٧٤	مَرْمَدُوهَا	مضوا .	ح	٥
٣٧٥	مَزْدَان	لسان .	ح	١٣
٣٧٦	مُزَفت	مفلس محارف .	ح	٣
٣٧٧	المزلّق	قوم عراة يصيحون بآمين فى الأسواق.	د	٣٦٩
٣٧٨	المَزِيدىّ	الذى يدور ومعه الدريهمات ، ويقول : هذه دراهم جمعت لى فى ثمن قطيفة ، فزيدونى فيها رحمكم الله ، وربما احتمل صبيا على أنه لقيط . وربما طلب فى الكفن .(ج٥٣)، والمزيدى هو الذى يدور ومعه دريهمات ، يقول هذه دريهمات قد جمعت لى فى ثمن قطيفة فزيدونى فيها رحمكم الله (ب/٢/٤١٦) .		
٣٧٩	مسْت	عرفت وعلمت .	ح	٤
٣٨٠	المُستعرِض	الذى يعارضك وهو ذو هيئة ، وفى ثياب صالحة . وكأنه قد مات من الحياء ، ويخاف أن يراه معرفة . ثـم		

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		يعترضك اعتراضا ، ويكلمك خفيا ، (ج ٥٣) ، والمستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة فى ثيـاب صالحة ، ويريك أنه يستحى فى المسألة ويخاف أن يراه معرفة ، فيعرض لك اعتراضا ، ويكلمك خفيا (ب ٤١٦/٢) .		
٣٨١	مُسْتَعْش	قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون : رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .	د	٣٦٠
٣٨٢	مُستَبل	مهمل .	ح	١٥
٣٨٣	مَشَامِيل	رغفان الخبز ، واحدها مشمول .	د	٣٧١
٣٨٤	مَشْتَانِى	حيلة وصنعة خفيفة .	ح	٢ـ ٤ـ ٦
٣٨٥	مُشْتَحد	مسخرة المشعبذ .	ح	١٢
٣٨٦	المُشْطَح	الذى يطوف دائبا لايفتر .	د	٣٧٠
٣٨٧	المشعِّب	الذى يحتال للصبى حين يولد ، بأن يعميه أو يجعله أعسم أو أعضد ، ليسأل الناس به أهله . وربما جاءت به أمه وأبوه ليتولى ذلك منه بالغـــرم		

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		الثقيل لأنه يصير حينئذ عقدة وغلّة . فإما أن يكتسبا به ، وإما أن يكرياه بكراء معلوم . وربما أكروا أولادهم من يمضى إلى إفريقية ، فيسأل بهم الطريق أجمع ، بالمال العظيم . فإن كان ثقة مليئا ، وإلا أقام بالأولاد ، والأجرة كفيلا (ج ٥٢) ، والمشعب هو الذى يحتال للصبى حين يولد بأن يزمنه أو يعميه ليسأل به الناس ، وربما جاءت أمه أو يجئ أبوه فيتولى ذلك ، فإما أن يكسبا به أو يكرياه (ب ٤١٥/٢) .		
٣٨٨	مُشَفَّر	مُجَرّح .	ح	١٤
٣٨٩	المِشْقَاع	الأرعن الذى يكترى الثياب البيض ويلبسها .	د	٣٦٧
٣٩٠	المَشْوَاذ	المتحانن فى الحديث .	ح	٧
٣٩١	مشْولق	مريض .	ح	١٣
٣٩٢	المِصْطَبَانِيون	قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم ، وتركوا أهاليهم رهائن عندهم ، فطافوا البلاد ليجمعوا مايفكونهم بــه ، وتكون معهم شعورهم ،	د	٣٥٨

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		ويقال لذلك الشعر المصطبان .		
٣٩٣	مُصْلبان	شعر .	ح	١٤
٣٩٤	المطّ	المال .	ح	٣ـ٤
٣٩٥	مَطاوِل	هيكل .	ح	٩
٣٩٦	المطرَاش	الذى معه يده يكدى عليها .	د	٣٥٩
٣٩٧	مَطلِى دَم الأخَ	هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ وينفخونها على أجسادهم ، فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .	د	٣٦٧
٣٩٨	المطين	الذى يطين نفسه من قرنه إلى قدمه ، يريك أنه يأكل البلاذر .	ب	٤١٧/٢
٣٩٩	معكّف	صائم .	ح	٣
٤٠٠	المُقَلقَل	الرفيقان يترافقان ، فإذا دخلا مدينة قصدا أنبل مسجد فيها ، فيقوم أحدهم فى أول الصف ، فإذا سلم الإمام صاح الذى فى آخر الصف بالذى فى أول الصف : يافلان قل لهم ، فيقول الآخر : قل لهم أنت ، أنا أيش ! فيقول قل : ويحك ولاتستح ! فلايزالان كذلك وقد علقا قلوب الناس ينتظرون مايكون منهما ، فإذا علما أنهما علقا القلــوب	ب	٤١٤/٢

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
		تكلما بحوائجهما ، وقالا : نحن شريكان ، وكان معنا أحمال حملناها من فسطاط مصر نريد بها العراق ، فقطع علينا الطريق ، وقد بقينا على هذه الحال ، لانحسن أن نسأل ، وليست هذه صناعتنا ، فيوهمان الناس أنهما ماتا من الحياء .		
٤٠١	المقدّس	الذى يقف على الميت يسأل في كفنه ، ويقف فى طريق مكة على الحمار الميت والبعير الميت فيدعى أنه كان له ، ويزعم أنه أحصر ، وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والأفريقية ، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال وهو متى شاء كان أفريقيا ، ومتى شـاء كان من أهـل فرغانـة ، ومتى شـاء كان من أى مخـاليف اليمن شـاء .	ج	٥٣
٤٠٢	مَقّر	ظهر .	ح	٣
٤٠٣	مُقَرِّب	المسوق إلى التنجيم ، وأخذ الفأل	ح	١٠
٤٠٤	مُقَنْدَل	راكب .	ح	٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٤٠٥	المُقَوِّل	الذى يرمى العلامات فى الماء او فى النار .	ح	١٠
٤٠٦	مِقلاع	عمامة .	ح	٦
٤٠٧	المكدّى	صاحب الكداء .	ج	٥٣
٤٠٨	المكلُوذة	اليد المقطوعة .	د	٣٥٩
٤٠٩	المكْوى	الذى يبخر الناس .	د	٣٥٧
٤١٠	المكّىّ	الذى يأتيك وعليه سروال واسع دبيقى (دبيقي : منسوب إلى دبيق بلد بمصر قرب تنيس تنسب اليه الثياب) أو نرسى (منسوب الى نرس ، بلد بالعراق تنسب إليه الثياب أيضا) وفيه تكة أرمنية ، قد شدها إلى عنقه فيأتى المسجد فيقول : أنا من مدينة مصر ، ابن فلان التاجر ، وجهنى أبى إلى تجارة ، ومعى متاع بعشرة آلاف درهم ، فقطع على الطريق وتركت على هذه الحال ، ولست أحسن صناعة ، ولامعى بضاعة ، وأنا ابن نعمة ، وقد بقيت ابن حاجة .	ب	٤١٣/٢
٤١١	مُلجِم	سنور .	ح	١٢
٤١٢	مُمَرَّش	ممرخ بالأدهان المخدرة .	ح	٨

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٤١٣	المَرْور	قوم يلبسون الثياب المخرقة ، ويحلقون لحاهم ، ويوهمون أنهم ممسوسون ، وأن المرار غلب عليهم ، فيروون مايريدون من فضائل أهل البيت وينسبهم العامة إلي الجنون ، فلا يؤاخذونهم بما يقولون ، ويأخذون من الشيعة مايريدون .	د	٣٦٢
٤١٤	مُموش	مُصَنع .	ح	١١
٤١٥	المَنْح	آلة المنجمين .	ح	٨
٤١٦	منْسَان	عصاة .	ح	١٠
٤١٧	مُنْفِذ الطِّين	قوم يخضبون لحاهم بالحناء ، ويدعون أنهم شيعة ، ويحملون السبح والألواح من الطين ، ويزعمون أنها من قبر الحسين بن على رضى الله عنهما ، فيتحفون من الشيعة .	د	٣٦١
٤١٨	تَمُوسْنى	تعرفنى .	ح	١٤
٤١٩	مَوَّس	ظن .	ح	٩
٤٢٠	مَيْزَق	كدى .	د	٣٥٨
٤٢١	مَيْسَرَ	كدى على أنه من الثغر ، ويقال له : الميسرانى ، والكلمة فارسية الأصل معناها القمار ، الميسر .	د	٣٥٧

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٤٢٢	مَيْمَ	اسم حرف ، المقصود به الرسول (ص).	ح	١٣
٤٢٣	مَيْمَتْ	أسلمت .	ح	٥
		حرف النون		
٤٢٤	النَّائحُ المُبْكِي	قوم ينوحون على الحسين بن على ، ويروون الأشعار فى فضائله ومراثيه .	د	٣٦٢
٤٢٥	النَّاظُور	الطليعة .	ح	٩
٤٢٦	نَاكَذَ	المناكذة تعنى أن يتقاسم فريق من الكدية ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلة الغزو.	د	٣٥٧
٤٢٧	نَسْب	بيت .	ح	٣
٤٢٨	نَطَسَ	ذهب .	د	٣٦٣
٤٢٩	النَطَّاس	القوى القلب من الدستكاريين تراهم على الدواب ومعهم الكلاليب والمباضع يداوون الرمدى وغيرهم من الأعلال .	د	٣٦٦
٤٣٠	نَقَّاذ	بائع الهياكل والعوذ .	ح	٧
٤٣١	نَقَذ	نفـع .	ح	٩
٤٣٢	نَقذُ سَبْحَات	هو الذى يطرح على أبواب الحوانيت السبحات وأقراص الحلوى .	د	٣٦٣
٤٣٣	نَقَرَ	سـخط .	ح	١٣
٤٣٤	نَقَرَ	غضـب .	ح	١٦

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٤٣٥	نَكْدَان	من يهجم على السيدات ، ويزعم أنه مصاب .	ح	١١
٤٣٦	نَمَّسَ	من الناموس .	د	٣٥٨
٤٣٧	نَهَّضَ	سهل العطاء .	ح	٤
٤٣٨	نَوْذَكَ	كدى على أنه من الحجاج .	د	٣٥٨
٤٣٩	نَيَّرَ	صاح .	ح	١٠
٤٤٠	نَيْف	جوع .	ح	٦
		حرف الهاء		
٤٤١	هَابَرَ	قاسم .	ح	٢
٤٤٢	الهَات	الشتم .	ح	١٤
٤٤٣	الهَادُور	قوم ينظرون في الفأل والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهمهم حتى يأتوهم ، ويسألوهم عن نجمهم ، وعماهم فيه ، فينظروا لهم ثم يردون الدراهم عليهم ، وربما أخذوها وقالوا لأناخذها لأن نجمك ماخرج كما تريده ، والكلمة فارسية الأصل ومعناها الوضيع ، الحقير عديم الأصل ، المتسول الوقح .	د	٣٦٠
٤٤٤	الهَاك	الخصومة .	ح	١٦
٤٤٥	الهَالِك	الدواء .	د	٣٦٣

المسلسل	المصطلح	المعنى	المصدر	الصفحة
٤٤٦	الهَبَنْزَى	الهواء البارد .	ح	٣
٤٤٧	الهُر	الدبر .	د	٣٥٦
٤٤٨	الهَريب	الشئ الردى الفاسد .	د	٣٦٩
٤٤٩	هَطَلَ	رأى .	ح	٥
٤٥٠	هَفْصَوَيه	هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولايتكلمون العربية .	د	٣٦٤
٤٥١	هَقَى المَشْحُون	إشراق الشمس .	ح	٣
٤٥٢	الهلأب	الثياب .	د	٣٦٦
٤٥٣	هَنَبْذَ	نشد الأسفار .	ح	٦
٤٥٤	هَنْكَم	تجمع .	ح	٢

عنوان المصنف قصيدة لصفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

اسم المؤلف

٢٦ ورقة

مصور عن النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ٤٤٨٧ أدب

هذه قصيدة لصفي الدين عبد
العزيز بن سرايا الحلي وقد
ساله صديق له ان يجمع
له لغة الغرباء وفنونهم
وحيلهم في معايشهم
وينسبها اليه
ليتوصل بذلك
الى بعضهم
لغرض كان
له فنظم
على لسانه
فقال

- ص ٢ -

بِتَبْرِيْعِ ادْصَاتى وَتَرْبِيغِ مَشْتَانِي ... غَدَتْ سَائِر الاحْشَانِ والفَرْشِ تَخْشَانِي

خَفَقْت درانيكَ الفَرَاكيش كُلّهَا ... فحشّمنى مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلُ دَاصَانِي

وَهَابَرْتُهم فِيما استَكَافُوا بِفَيْسِهِم ... وبِالقَحْمِ مِنْ تَبْك وَمَرْدِ وَمَرْقَان

وَدَنّكْتُ أنى وَبغْ قاروبِ أمرهم ... وَأشْكَلتُ انسَانِي بِأنْسَابِ سَاسَان

إذَا بَصَّنِى أهْل الطريقةِ هَنْكَمُوا ... علىّ وَقَالُوا جَاسَاسَانُنَا الثَانِي

- ص ٣ -

فَطوراً يَبْصونى الكَزاكِي مُرَبخَا ... عَلىْ مَقْر صَهْلى أحف بِغلمانِي

وَزَالَ عَلَيْه بشْتدارى مُقَنْدل ... وَلطخِي وَقَانُونِي وَمَطِى وَآلوانِبى

وَطوراً يَبصُونى عَتِيلا مزُفَتا ... أُفنّف بِالطَارُوحِ فِي نَسْبِ ذُوشَانِ

وَطوراً هَقَى المَشْحُون أفطَل كَارذاً ... اردُد تَنْبير الهَبَنْزَى بِآزْدانِي

وَطوراً يَبْصونى خَطِيباً معكفا ... اكَركِي بِهِم والناس قَدْ ربّحوشَانِي

- ص ٤ -

وَطوراً بِكَشِّ الزِبه والصَّمى مولعا ... وَلَقيَا سِمَاقِينَ وَتَعْديل بَيْقَان (١)

فَكَمْ مِسْتُ فِي التَمْنيْج مشْتان غَرْشة ... عَبِيتُ به الاحشان والناس تَصْهانى

وَنَهَضتهُمْ بِالمطّ لَمّا أتَيْتُهُم ... بسالوسِ قطبانِ وذعرات صُوفان

فَكَمْ قُمْتُ فى أنسَابِ ذُوشَانِ واعظا ... وَصَدّيت بالبتّنيب والحَزق اخْشَانِي

وَتَلفْت تَلاغ البَزاوين عَامِدا ... وَدَنّكْتُ انى مِنْ قُضَاة سجستان

(١) الصم : هكذا يؤدى الوزن بدون ياء .

- ص ٥ -

فجاءت مُرْدُ القَوْمِ شتّاً وبَاخسـا | وشَمّالةٌ من بَعْد دَسْتٍ وصلبـان
وقَنيدةٌ قَرْقَلتْ فيهـا وقَنْشـةٍ | وخَرْبَشةٌ نَهضْتُها عند اشْكَانـي
كرَزْتُ سَدلّ البُورِ تَرْنَا هَطلْتُهـم | لبيصاً مَرْمَدُوها وبَرْكَشْتُ فَجْمَانـي
وكَمْ صرتُ فتّاءً وبَيّمْت عامـدا | وصرت كَشَاوِياً وَجَددت ايمانـي
فربّحني أَهْلُ الرّبانيع كلهـا | بِلَطغٍ وقَازنٍ ومِقْلاعٍ فَوقَـان(١)

- ص ٦ -

فكَمْ مِنْ شنَاظٍ قَدْ سعى بشَمُولـة | وكشْشنِي المحزون أيضا وآصْمانـي
وللذني بعد البَزْهَمِي بلـوْذَةٍ | وزرّدني من بعد نَيفِي وَسَقَّانـي(٢)
وفِي غَرْشَةِ التّمنيم جَفَيت عوزتـي | وفِي صنعةِ التكليلِ ربّخْتُ مَشْنَاني
وكَمْ دَغْرةٍ هَنْبَذتُ فوقَ كَبشْـتَرٍ | ارقيَ وأَصْحابي بطارٍ وقُضْبَانـي
وكَمْ صِرْتُ قاليًا وصرتُ محنّنَـا | وكَمْ صِرْتُ مشْواذا عليهم ودلوانـي

- ص ٧ -

وتَلَفتُ أنْ لاَ استَكيف مُرودكُـم | ودنُكْتُ قاروبي بذلك رصَانـي
وكَمْ صِرْتُ نَفّاذا وكم صرتُ آسيـا | وكَمْ صِرْتُ شَلبيـاً وكَمْ صِرْتُ رَخْتانـي
ودنكت باليَبْروح هَذا خَبيْتُـه | بوَ بْرِي ولولا أن طنَا الوبْر اطْنانـي
وكَمْ صِرْتُ بصَاصاً وصِرتُ مُبوكَكـا | وصَاحبَ صنّارٍ وصاحب بُرْزَانـي
وكَمْ دَغْوةٍ كَرْزَعْتُ للناسِ مُسْهـلا | وانْفَذْتُ قَبْنيلاً لاَطنا ديـدان

---

(١) قازين : هكذا يؤدى الوزن بزيادة ياء .
(٢) البزهم : هكذا يؤدى الوزن بدون ياء .

- ص ٨ -

وبَلَزْتُ حبَ النيل فيها بترَبُّد ... وللشيخ عَن وَخْشيزكِ مِنْ خراساني
وكَمْ صِرْتُ للأخْشَان يوما مُمَرْشَا ... وانفذتُ فيهم مِنْ دَوَاني وآدْهاني
وكَمْ صِرْتُ كَشَاباً وَرَبَّصْتُ مَنْدلاً ... اشير بهِ أن الكَرَاجيم اخواني
وبصَّصْتُهُم أمرْ الكَبَابِ بمندلي ... وبالمنْع والجامور بهَلْتُ اتقاني
وفي الحبَّ والتغميض أسْرَعْتُ هَبْرَةَ ... وَتَرقَيتُ مَاقَدْ شَرْمَطوا تَحْتَ لطخاني

- ص ٩ -

وَدَنَّكَ لِيَ الناظور مَاتَلْغو بِهِ ... مَوسَهُم أني أرَقَّى بِبَلْهَاني
وَسَلسَلتُ نُطقِي عِنْدَ نَفْذِ مَطَاولي ... وَدَنْشَمْتُهُ مِنْ بَعْد حزقِي وآيْمَانِي
وربَّصْتُ فيه بَهْتَه النَّسْب والصفا ... وَشَكل عَصَا مُوسَى وختم سُليمانِ
وبالطَّرْش في القصديرِ كَمْ سَرْمَطتُ يَدِي ... به مِنْ قَلْفتُوريَّة بعد سَاسَان
وكَمْ من جواني وكَمْ مِنْ تَمايم ... أبَالِزُ بالسبعِ المعادنِ للقَانِي

- ص ١٠ -

وَفي الرَمْلِ كَمْ كَسَوْا ضهيرا وَمَسْتَه ... بتوليدِ أشكال وترشيمِ مِيْزَانِي
وكَمْ صِرْتُ صاروخاً وَصِرْتُ مُقَوْلا ... وبالشبِ والدأموعِ سَرْمَطْتُ مَشْتاني
وكَمْ طُفت بالأنسابِ يَوما مُقَرَّبَا ... بِمَنْسَاني والطولقين وشقبانِي
وَشَلفْتُ بَرْغاشَات أمْرِي تَهَدُّلا ... فكنتُ إِذَا قَوْجَمْتُ نَيَّرتُ طرشَان
وَمِسْتُ دَوانيكَ الكَداد مُتَرْجِما ... لهُن بقَحْم كان مِنهن وَافَاني

- ص ١١ -

وكَمْ صِرْتُ يوماً بَشْتَكَانِـى خُـرْدَة وكَمْ صرتُ شَاكُوكا وكم صرت نَكْـدَانِ
وكَمْ صِرْتُ يوماً فى الفروسِ مُشعْبَـذا أسَلْسِلُ قَجْمى والورَى تَتَحَصَّـانِ
وبهَلْت مشتَان الحقاف ممسْوشـــا جَوَازِير قَوم مِنْ صَغيرى وبَهتانِــى
وَفى الطين والمخلاة رَبَّخوا والبيـض فعَالى وَفى زرعِ الخيارِ بِبُسْتَـانِ
وكَمْ صِرْتُ خَشَاشًا وَبلَزت شَرْبَـة وَخَفِيْتُ مِنْ كَمَّاخَةٍ بَيْنَ اشْنَانِــى

- ص ١٢ -

وكَمْ صِرْتُ قَرَادا وكَمْ صِرْتُ لأبِسـا وكَمْ صِرْتُ دَبَّابًا وكَمْ صِرْتُ زَالانِــى
وَرَبَّصت طورا مُلْجماً وَقَروضَـة وخشَاشَةً والبعْضُ مِنْ بَعْضهَا دَانِــى
وكَمْ صِرْتُ سَلَّاراً وكَمْ صِرْتُ غَازيـا وكَمْ صِرْتُ دَكَاكاً وكَمْ صِرْتُ جَنْحَانِــى
وكَمْ صِرْتُ يَوْماً مُشْتَحدا للاعـب أجَرِّح بالطرطورِ والرَّصْف يغشَانــى
وَيَرْصفنى السَّلَّارُ والكَوش والــورَى تُخَنْدج مِنْ تَرْبِيْخِ جَرْخِى وَتَزْنَاتِــى

- ص ١٣ -

وكَمْ صِرْتُ كازان الهناكيم كـــارزا وَقَدْ نَفر الاخْشَان هَجْمى وَاَشْكَانِــى
وكَمْ صِرْتُ اصطبلاً وكذَنــى تُقَيف فِـى أمرِ الشُّمولِ وونَجَاتــى
وَشلَقْتُ مزدَانى وَزَقَيتُ بَعْـــدَه وَدَنَّكْتُ أن الميمَ فِى الرِّمْغ زَقَّانِــى
وكَمْ صِرْتُ حَاجُورا وشَدَاد معْصـم وكَمْ صِرْتُ ذَاحُوقاً وفى الدَّمْق بُرهَانِى
وَدمخْتُ امْرِى فِـى القنتى مشْولقـا فَـكنْتُ كَأنِـى إذا فَنَقْتُ بِـهِ طَانِــى

- ص ١٤ -

وَقَدْ شلَّفَ الهَيُوجُ بَهْتِى وَمَدْرَجِــــى ... وكَشْبَاشْتى مع مُصْلبانى ولَطْخَانِــــى

وكَمْ دَغْرة شلَّفْتُ امرى مُشنْفَـــــرا ... بحَازوزتى والناس بالهَـات تلحانــــى

وكَمْ صرتُ كُناشاً وَجَفْتُ مُشنْفَــــرى ... لأطْنَا كَفْتى وَتَشنْفـــير بَزْوانِــــى

وشلفت أمر العالمينَ بدَغْــرتــــى ... فلا أحــــد تَكَسَّا وزرانــــى

وكُلّ الكَزاكِى والكَفَانِــى تُموسُنــى ... وكُل الوَرَى مِنْ طَنْشَلِىّ وَقَنْتَانِــى

- ص ١٥ -

وَسُكان اقْميم الكَواريب بِـــى دَروا ... وَمِنْ كُل زَابولٍ هناك وَحَمْدَانِــى

وَمَطْى فَنَا مِنْ بَعْد هَذَا جَميعـــه ... فَلاَ كَانت الدنيا إِذَا الدهرُ عَادَانِـــى

اعِيْشُ بِهَا عيش الدكَشْرى مُسَنْبَــــلا ... فَلاَ قَتَرْتُبْك لَيْسَ ذَا عَيْشِ انسَانِـــى

إِذَا مَاكَدَتْ بَخْتُورتــى ظلْتُ مفكــــرا ... بغَلمشتى مَع هَوْلها كَيْفَ يَلْقَانِــى

وَانْ بَصَّنى قَشْمى وَامْرى مُرْقَــــت ... يدَنك بَعْدَ الهَوْل مَاعُدتَ تَلْقَانِــى

- ص ١٦ -

وَيَنْقِز كالمذكورِ عَنَّى مُخبرشــــا ... وَأَصْهَالَهُ التَّطْبيب والكَشْح يَقْرانِــى

وَيَعْزِم تَعْكـــيرى وَهَيْجى وأنّنــى ... أزْغَمر أنّ الهَاكَ مِنْ عَدَم امكانِـــى

وَتَسْبى شَبيه القُدما فيهَ كُشنَنـــه ... ولاَبَعْض تبكيت إِذَا البردُ وَافَانِـــى

فَكَم جهد مَا اسْعى إِلى الرزق جَاهــداً ... أذكر بى الأقدار والدهرُ يَنْسَانِــى

إِذَا لَمْ يُعنك الجد لَيْسَ بنَافـــع ... ذكـــاءُ إيـاس مع فَصَاحَة سَحْبَانِ

الخاتمة

تناول هذا البحث بالدراسة أدب الكدية . ولقد جاء مقسما إلى أبواب ثلاثة استطاع كل واحد منها أن يكشف عن بعض من ملامح هذا الأدب .

ففى الباب الأول والخاص بتعريف الكدية اتضح أن المعنى اللغوى للكدية فى المعاجم العربية اقترب كثيرا من هذه الطائفة كما هى فى الواقع ، وأن الأسماء الأخرى التى أطلقت عليها ليست قاطعة الدلالة ، وأن أقربها إلى روح هذه الطائفة وسماتها بنو ساسان ، وتبين أن الموطن الأصلى لهذه الطائفة هو الفرس ، ثم اتسعت رقعتهم بعد ذلك ، وامتدت إلي بلدان عدة إلي أن وصلت إلي الأمصار الإسلامية .

وفي الباب الثانى والخاص بموضوعات أدب الكدية ، تبين للباحث أن أبرز هذه الموضوعات هى الوصف ، والرحلة والتجوال والاستجداء والطلب ، والمديح ، والهجاء وشكوى الزمان ، والحكمة . وعلى الرغم من أنها تمثل أشكالا تقليدية لموضوعات أدبية إلا أنها جاءت متفردة من حيث محتواها ، وتحمل خصوصية تعبر عن طبيعة قائلها .

فالوصف عند المكدى ملكة فرضها عليه واقع عايشه والتصق به ، وأنماطه ثلاثة وصف للذات ، ووصف للمكان ، ووصف للحيل والطوائف ولقد جاء وصفه للذاته ومكانه الذى يقطنه بصورة اعتمدت فى كثير منها على التجسيم والتصوير ، واستطاع من خلالهما أن ينقل صورة حية لجانب كبير من المجتمع افتقد كثيرا من أساسيات الحياة ، كالقوت والثياب والفراش ، بينما جاء وصفه للحيل والطوائف للتدليل على قدرته على التحايل والتلون . ولقد اقتصر في وصفه بشكل عام على حياته فقط ، لكونه انشغل بهمومه وأحزانه وسعيه المستمر وراء الرزق عما يحيط به من رياض وطبيعة ، وغير ذلك من أشكال الوصف المختلفة .

وبشأن الرحلة والتجوال ، طاف المكدى البلاد . وأفاده ذلك من جانبين: أحدهما يتعلق برزقه حيث نعم بأطايب البلاد التى حل بها . بينما جاء الثانى ليحمل الزاد

المعرفى له حيث كون موروثا معرفيا عن البلدان التى عبرها وطاف بها ، جعلته مرجعا لكل من سأل عن حالها وأهلها ، واشتهر من بين هذه الطائفة الخزرجى من حيث تطوافه وكثرة معارفه حتى عده مؤرخو الجغرافيا ، أحد الرحالة المجيدين ، الذين اشتهروا بدقة الملاحظة ، وبراعة الوصف .

أما الاستجداء عند المكدين فمهنة لها قواعدها وأصولها ، ويعلمها أهلها ويطبقونها ، ولها درجات ومراتب تصل إلى الأستاذية فى التسول ، ولها أماكن بعينها يرتادها المكدون ، ويميزها غالبا جمع الناس ، كالأسواق ، والمنتديات ، والمساجد الكبيرة.والاستجداء ينقسم إلى قسمين : الأول يزاوله معظم أهل الطائفة ، ويعتمد على إظهار الحيلة من أجل استدرار العطف ، بينما الثانى له أسبابه ودوافعه ، وينقسم إلى شقين : الأول منهما عام يشترك فيه جمع الناس من حيث شعورهم المشترك بالحاجة إلى الطلب كاستجداء الأعراب ، والشق الثانى شخصى للمستجدى فيه أسبابه ، وتدور حول ندرة طعامه ، أو ضيق ذات يده ، أو كثرة ما له من ولد ، أو ضعف جسده ، أو فقر مطبق .

وبالنسبة للمديح عند المكدى فهو طريقة من الاكتساب ونيل القوت ، وبرع فيه شعراء عدة كأبى الرقعمق ، وابن الحجاج ، وبديع الزمان . وقصيدة المديح عند المكدى تبين أنها تختلف عما هو متعارف عليه فى الشعر العربى ، سواء فى تراكيبها أو صياغتها ، فهى ذات موضوع واحد هو الاستجداء ، وتفتقر فى كثير منها إلى جزالة الألفاظ وقوة الديباجة كعادة قصائد المديح ، ويختفى فيها صورة الممدوح المثالى الذى يمكن أن يكون أحد مميزاتها، فالممدوح عند المكدى هو ذلك الشخص الذي يمتلك مالا حتي لو كان من الطبقات الدنيا .

وجاء الهجاء عند المكدى صورة مقابلة للمديح ، واستخدمه كثير من أهل الطائفة كوسيلة للنيل من الناس ، كابن الحجاج ، وابن لنكك ، وأبى الشمقمق ، والهجاء عند المكدى له معانيه وأغراضه ، وأنماطه وجميعها تشترك فى النيل من مهجوه وسلب فضائله النفسية ، وكشف معايبه الجسدية ، وصفاته الخلقية المعيبة ،

ويعد الحرمان من العطاء بكل صوره أحد الأغراض الرئيسية التى يهجو من أجلها المكدى .

أما شكوى المكدى للزمان وذمه له ، جاء صدى لتجربة معاشة مشوبة بالإحساس بالتناقض الطبقى ، الذى رفع مجموعة من الناس فوق الجميع ، بينما ظل هو المتفرد بالحيل والذكاء مع غيره من أهل الطبقات الدنيا فى القاع حيث البؤس والحرمان وذم المكدى زمانه وهو يرى فيه مجتمعه .

وتكشف حكم المكدى على أنها مناسبة لطبيعة شخصيته ، ومصادرها عنده مستقاة من الدنيا بما فيها وكيفية معايشته لها ، ومن رحلاته وتطوافاته سائلا ومادحا فى البلدان والممالك . ودار محورها حول الدنيا وفهمها ، والمال وجامعه ، والموت ونهاية مطاف الإنسان ، إلى جانب مجموعة من الحكم العامة ، وقد صاغ حكمه من خلال المحاور السابقة بمقياس شخصى ذاتى ، فكان لها سمة الخصوصية التي تناسبه ولا تتلائم مع غيره ، ومنها على سبيل المثال أن الحياة لابد أن تقوم على الخلاعة والمجون، وأن المال لابد أن ينفق خشية تركه نهبا لمن لايستحقه .

وجاء الباب الثالث من الدراسة ليكشف لنا عن الخصائص الفنية لأدب الكدية ، والمتمثلة فى قصر القطع الشعرية الناتج عن أسباب فنية واجتماعية ، نظرا لأن طول القصيدة يحتاج من الشاعر المكدى قدرة فائقة على النظم ، مع تطويع لقافية تستمر استمرار أبياتها ، وتفرغ وأناة لإخراج عمل يتسم بالجودة ، وهذا جميعه لايظفر به فى ظل حياته المضطربة اللاهثة بصفة مستمرة وراء الرزق . يضاف إلى ماسبق أن طبيعة موضوعاته فى كثير منها حالت دونه وطول القصيدة ، وعلى الرغم من ذلك لم يعدم القصائد الطوال وبخاصة عند نظمه فى موضوعات يتحدث فيها عن حماقاته ومجونه وتشبيبه بالنساء .

وتنوعت مقدمات قصائده بصورة واكب فى بعضها القدماء ، فوقف على الطلل والربع ، وبكى الأحبة ، وتذكر أهل الخيام ، وفى أخرى خرج عن النهج المألوف ونظم

مايحلو له،وأسهم من خلال تنويعه السابق على تحرير القصيدة من مقدماتها النمطية التي قعدها القدماء ، وفى استكمال ثورة أبى نواس وبشار على البدايات الطللية في القصيدة العربية .

أما لغة المكدى الأدبية فجاءت علي أنماط ثلاثة : أولها لغة خاصة بالأعراب المستجدين ، وهى بدوية وحشية الألفاظ والمعانى في بعض الأحيان، وتميل في أخرى إلى السهولة اللفظية ، والبعد عن التعقيدات اللغوية ، وعدم الإغراق ، مع فصاحة في السؤال وإيجاز وقصر في الجمل ، ويمثل هذا الجانب اللغوى الأغلب الأعم من صور الاستجداء .

ويتمثل النمط اللغوي الثاني في لغة الشعراء، ويميزها السهولة اللفظية، والبعد عن قاموسية الألفاظ سواء في المفردات أو التراكيب، وانسحبت هذه السمة على معظم شعراء الكدية من أمثال ابن لنكك، وابن الحجاج، والأحنف العكبرى، وأبى الشمقمق، وأبى فرعون الساسى، وأبى دلف الخزرجى . واستمد الشاعر المكدى قاموسه اللغوى من ألفاظ العامة، لذا اقترب شعره من الناس، وأكسبه ذلك الذيوع والانتشار.

أما النمط اللغوى الثالث فيكمن في هذه اللغة الخاصة التي استنها أهل الكدية ووضعوا ألفاظها ومعانيها حسب ما اقتضوه هم في تحديد مسميات الأشياء، وتبين للباحث أنه على الرغم من اختراعهم لها، إلا أنها جاءت مستوحاة من الأبنية العربية وليست بعيدة عنها إلا في النادر، وأن كثيراً من كلامهم صاغوه علي جرس ومعنى الكلمات المصطلح عليها في العربية مع اختلاف الفونيمات، ولقد تعددت الجوانب الدلالية في تراكيبهم اللغوية مما دل على ثراء هذه اللغة وتطورها ، وتبين أن قاموسهم الخاص حوى كلمات ذات أصول فارسية من أثر النشأة أو التطواف، وتنوعت المجالات الدلالية لهذه اللغة الخاصة حتى أنها غطت كل جوانب حياتهم .

ولقد اتضح للباحث أن أدب الكدية يفتقر في كثير منه إلى الصور

والمحسنات . فالشعر يخلو من المعانى والأخيلة إلا النادر منه وكأنه ينظم عفويا ، والنثر لاتلحظ فيه سوى الالتزام بالسجع كسمة مميزة لاستجداء الأعراب . لذا اقتصرت الصور الفنية فى أدب الكدية على لونين فقط السجع والتشبيه ، وسجع الأعراب يغلب عليه الفطرة ، فلا تكلف ولازيادة يذهب من خلالها المعنى المراد توصيله ، أما التشبيه فقد اعتمد عليه الشاعر المكدى بصورة ملحوظة كأحد المعالم الفنية المستخدمة فى أشعاره ، والتى تتناسب مع فنه الذى يجنح إلى السرعة الفنية ، وأفاد منه فى نقل واقعه إلى الآخرين ، واستمد عناصره التشبيهية من البيئة المحيطة حوله كالحشرات والحيوانات والطيور الجارحة وعناصر الطبيعة .

والشاعر المكدى نظم أشعاره على صورة مألوفة فى الشعر العربى ، فلا تجديد فى الأوزان والقوافى ، بل تخيره كان للأوزان الأكثر دورانا ، ولم يحد نفسه ببحر معين ، وكان لطبيعته المرحة أثرها المباشر فى استخدامه لبحور شعرية ذات إيقاعات تنغيمية واضحة ، سواء فى الأوزان الكاملة أو القصيرة والمجزوءة ، ولم تخل القصيدة المكدية من اضطرابات عروضية مرجعها إلى السرعة الفنية .

وكان للقصة الشعرية نصيب فى شعر المكدين ، وهى عندهم عبارة عن حدث يصف موقفا ذاتيا يعبرون به عن حالهم ، ويكون أقرب إلى الخبر أو الحكاية المروية ، ويتفرد أبو الشمقمق من بين شعراء طبقته فى نظم أشعار تتوافر فيها ملامح القصة الفنية ، وهى من النوع الساخر التهكمى .

وتمثل الفكاهة جانبا من سمات أدب المكدين ، وهى من النوع الذى يحمل دلالات اجتماعية واضحة ، الهدف منها تخفيف أعباء الواقع ، وهى غير مبتذلة فى كثير منها ، وليس الغرض منها الإضحاك لذاته ، ووظفها المكدى فى أكثر من نمط شعرى كالوصف ، والهجاء ، ولم تكن جميعها من النوع الراقى فنيا ، بل هناك نماذج أقرب ما تكون إلى النكتة أو الطرفة البسيطة ، ومرتبطة بالمكدى المستجدى ، والتي تفرضها عليه طبيعة المواقف التي يتعرض لها .

وفي النهاية امتدت الشخصية المكدية فينا ، وشغلت حيزا من الأعمال الأدبية وأثرى مكدى الواقع الأدب العربى ، عبر استلهام صورته فى عمل أدبى ذائع الصيت كالمقامات.

ونستطيع أن نخلص فى النهاية بأن هذا الأدب فى مجمله شعبى يعبر عن فئة اجتماعية مطحونة ، ولايتجه بنظمه ونثره إلى السادة ، وأنه كان صادقا فى التعبير عن هموم طبقته ، ولقد تعرض فى كثير منه إلى الوضع ، وعلى الرغم من ذلك فإن الكدية كأدب لم تتطور إلى مدرسة ، وأن خصائصها الفنية لم تتطور من مرحلة إلي أخرى ، ووقف المكدى عند حد اهتماماته الذاتية ، ولم يطل على ظواهر المجتمع المحيطة به ، ويقع من خلالها على السبب الرئيسى فى معاناته ، مع أنها كظاهرة وبحكم ارتباطها بالعامة كان يمكن أن تتطور أكثر من ذلك ، ويكون لها جمهورها وعشاقها .

وختاما فتناولى بالدراسة ظاهرة الكدية فى الأدب العربى ، وبالتحديد فى العصر العباسى ، تحتاج إلى أخرى تكملها وتظهرها وتكشف عن معالمها وامتداها بطريقة أخرى وهى :

(١) أن تستكمل دراسة هذه الظاهرة فى الأدب الحديث .

(٢) أن تدرس فى الأدب الشعبى ، الأمر الذى سيضع الصورتين فى الميزان ، ويجعل الموضوع أكثر طرافة ، حيث سنتعرف على رؤية القاص الشعبى للشخصية المكدية .

(٣) أن تدرس شخصية المكدى فى الآداب العالمية ، للوقوف على رؤية كل شعب لها كدراسة مقارنة .

(٤) أن يهتم علماء اللغة بفقه لغة الكدية ، ومصادره ، حتى نضيف جديدا للمكتبة العربية ، وإلى المعاجم اللغوية التى تهتم بألفاظ أهل الحرف والطوائف المختلفة .

قائمة المراجع

(أ)

- أخبار الظراف والمتماجنين : ابن الجوزى

(القاهرة - مطبعة القدسى - الطبعة الثانية ١٩٨٣)

- أدب المعدمين : جمع وتحقيق سالم الدباغ

(العراق - مطبعة اللواء - ١٩٧١)

- الأذكياء : ابن الجوزى

(بيروت - المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - د.ت)

- الذين أدركتهم حرفة الأدب : طاهر أبو فاشا

(القاهرة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٨١)

- أساس البلاغة : الزمخشرى

(القاهرة - دار الكتب - الطبعة الثانية - ١٩٧٣)

- الأصمعى : الدكتور عبدالجبار الجومرد

(بيروت - دار الكشاف - ١٩٥٥)

- الإعجاز والإيجاز : الثعالبى ، شرحه وطبعه اسكندر آصاف

(القاهرة - المطبعة العمومية - الطبعة الأولى ١٨٩٧)

- الأغانى : الأصفهانى

(بيروت ـ دار إحياء التراث العربى ـ د. ت)

- الأمالى : أبو على إسماعيل القاسم القالى البغدادى ، راجعه الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى .

(بيروت ـ دار الكتاب العربى ـ د . ت)

ـ الإمتاع والمؤانسة : التوحيدى صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين

(بيروت ـ منشورات المكتبة العصرية ـ ١٩٥٣)

ـ أهل الكدية أبطال المقامات فى الأدب العربى : الأستاذ عبدالنافع طليمات

(دمشق ـ دار ابن الوليد ـ ١٩٥٧)

(ب)

ـ البخلاء : الجاحظ ، حققه وعلق عليه الدكتور طه الحاجرى

(القاهرة ـ دار المعارف ـ الطبعة الرابعة ١٩٧١)

ـ بديع الزمان الهمذانى رائد القصة العربية والمقالة الصحفية : الدكتور مصطفى الشكعة

(القاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٥)

(وبيروت ـ عالم الكتب ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣)

ـ بديعات الزمان : فيكتور الك

(بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ـ ١٩٦١)

- البصائر والذخائر : التوحيدى ، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر

(القاهرة - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى - ١٩٥٣)

- بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة : السيوطى ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

(القاهرة - عيسى البابى الحلبى - الطبعة الأولى - ١٩٦٥)

- بهجة المجالس ، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبى ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، ومراجعة الدكتور عبدالقادر القط (القاهرة - الدار المصرية للتأليف والترجمة - د . ت)

- البيان والتبيين : الجاحظ

(بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٧٩)

(ت)

- تاج العروس : الزبيدى : تحقيق الأستاذ عبدالستار أحمد فراج

(الكويت - دار الجيل - ١٩٦٥)

- تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون

(بيروت - مؤسسة الأعلمى - ١٩٧١)

- تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار

(القاهرة - دار المعارف - الطبعة الخامسة ١٩٨٣)

- تاريخ الشعر العربى : الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوى

(القاهرة - دار نهضة مصر - الطبعة الأولى ١٩٦٧)

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام : الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى

(بيروت - دار الكتب العلمية - د . ت)

- تتمة اليتيمة : الثعالبى

(طهران - ١٣٥٣ هـ)

- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى

(القاهرة - عيسى البابى الحلبى - د . ت)

- تفسير القرطبى : أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى

(القاهرة - دار الشعب - سلسلة كتاب الشعب ١٢٨٤ هـ)

- تكملة تاريخ الطبرى : محمد بن عبدالملك الهمذانى ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

(القاهرة - دار المعارف - الطبعة الثانية)

- التمثيل والمحاضرة : الثعالبى ، تحقيق الأستاذ عبدالفتاح محمد الحلو

(القاهرة - عيسى البابى الحلبى - ١٩٦١)

- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق الأستاذ على حسن ومراجعة الأستاذ محمد على النجار .

(القاهرة ـ الدار القومية العربية للطباعة ـ ١٩٦٤)

(ث)

ـ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب : الثعالبى ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

(القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٦٥)

ـ ثمرات الأوراق : ابن حجة الحموى ، شرحه وضبطه الدكتور مفيد محمد قميحة

(بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ١٩٨٣)

(ج)

ـ جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى المعروف بابن دريد

(بغداد ـ مكتبة المثنى ـ الطبعة الأولى ١٣٤٥ هـ)

(ح)

ـ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : آدم متز ، نقله إلى العربية محمد عبدالهادى أبو ريدة .

(القاهرة ـ مكتبة الخانجى ـ ١٩٦٧)

ـ حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى : الدكتور محمد رجب النجار

(الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ٤٥ ـ ١٩٨١)

ـ حكاية أبى القاسم البغدادى : محمد بن أحمد أبى مطهر الأزدى

(مطبعة كرل ونتر ـ هيدلبرج ـ ١٩٠٢ ، وأعادت طباعته بالأوفست مكتبة المثنى ـ بغداد)

ـ الحيوان : الجاحظ ، شرح وتحقيق الأستاذ عبدالسلام هـــارون

(القاهرة ـ مصطفى البابى الحلبى ـ الطبعة الثانية)

(خ)

ـ خاص الخاص : الثعالبى ، صححه الشيخ محمود السمكرى

(القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ الطبعة الأولى ١٩٠٨)

(د)

ـ دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية

(القاهرة ـ طبعة الشعب)

ـ دائرة المعارف البستانية : فؤاد افرام البستانى

(بيروت ـ لبنان ـ طبعات ٥٦ ، ٥٨ ، ١٩٦٠)

ـ ديوان بديع الزمان الهمذانى : بديع الزمان

(القاهرة ـ مطبعة الموسوعات ـ ١٩٠٣)

(ر)

ـ رأى فى المقامات : الدكتور عبدالرحمن ياغى

(بيروت ـ المكتب التجارى للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ١٩٦٩)

ـ الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى : الدكتـــور زكى محمد حســـن

(القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٤٥)

ـ رسائل الجاحظ : الجاحظ ، تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون

(القاهرة : مكتبة الخانجي ـ الطبعة الأولى ١٩٧٩)

ـ الرسالة الثانية لأبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي : نشرها ، و. منيورسكي الأستاذ بكلية لندن

(القاهرة ـ مطبعة جامعة القاهرة ـ ١٩٥٥)

ـ رغبة الآمل من كتاب الكامل : سيد بن على المرصفى

(القاهرة ـ مطبعة النهضة ـ ١٩٢٩)

ـ الروزنامجه : الصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

(بغداد ـ مطبعة المعارف ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٥٨)

(ز)

ـ زهر الآداب وثمر الألباب : أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى ، فصله وضبطه وشرحه الدكتور زكى مبارك

(بيروت ـ دار الجيل ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٢)

(س)

ـ سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجى

(بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٢)

(ش)

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبـلى

(بيروت ـ دار المسيرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٩)

- شرح مقامات الحريرى : للإمام أبى العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيـــسى الشريشى ، تصحيح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى

(القاهرة ـ المكتبة الشعبية ـ الطبعة الثانية ١٩٧٩)

- شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى : الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميـد

(بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانية)

- شعراء عباسيون : غو ستاف ڤون غرينباوم ، دراسات ونصوص شعرية ترجمها وأعاد تحقيقها الدكتور محمد يوسف نجم ، راجعها الدكتور إحسان عباس .

(بيروت ـ منشورات مكتبة الحياة ـ ١٩٥٩)

- شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل : شهاب الدين أحمد الخفاجى

(القاهرة ـ المطبعة الأميرية ـ ١٢٨٢ هـ)

(ط)

- طبقات الشعراء : ابن المعتز : تحقيق الأستاذ عبدالستار فراج

(القاهرة ـ دار المعارف ـ الطبعة الثانية ١٩٦٨)

(ظ)

- الظرفاء والشحاذون فى بغداد وباريس : الأستاذ صلاح الدين المنجد

(القاهرة ـ مطبعة الرسالة ـ د. ت)

(ع)

- العصر العباسى الأول : الدكتور شوقى ضيف

(القاهرة - دار المعارف - الطبعة الرابعة)

- العقد الفريد : ابن عبدربه الأندلسى ، شرحه وضبطه وصححه الأساتذة أحمد أمين ، إبراهيم الإبيارى ، عبدالسلام هارون .

(القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٨)

- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق ، حققه الأستـــاذ محمد محيى الدين عبدالحميد

(بيروت - دار الجيل - الطبعة الرابعة ١٩٧٢)

- عيون الأخبار : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى

(القاهرة - دار الكتب المصرية - ١٩٥٢

(ف)

- فتوح البلدان : أبو الحسن البلاذرى ، عنى بمراجعته والتعليق عليه الأستـاذ رضوان محمد رضوان .

(بيروت - دار الكتب العلمية - ١٩٨٣)

- الفلاكة والمفلوكون : الإمام العالم أحمد بن على الدلجى

(القاهرة - مطبعة الشعب - ١٣٢٢ هـ)

(ق)

- قاموس الفارسية : الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين

(دار الكتاب المصرى واللبنانى - الطبعة الأولى ١٩٨٢)

- القاموس المحيط : الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى
(القاهرة - مصطفى البابى الحلبى - الطبعة الثانية ١٩٥٢).

(ك)

- الكامل فى اللغة والأدب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضه بأصوله وعلق عليه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

(القاهرة - دار نهضة مصر د . ت)

- الكامل فى التاريخ : الشيخ عز الدين أبو الحسين على بن أبو الكرم محمد ابن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير .

(بيروت - دار صادر - ١٩٨٢)

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : حاجى خليفة .

(الأستانة - مطبعة العالم - الطبعة الأولى - ١٣١١ هـ)

- كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان : الشيخ إبراهيم الأحدب

(بيروت - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - ١٨٩٠)

- الكنايات : الثعالبى ، صححه السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى .

(القاهرة - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٩٠٨)

(ل)

- لسان العرب : للإمام ابن الفضل جمال الدين محمد المعروف بابن منظور ،

حققه الأساتذة عبدالله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلى .

(القاهرة ـ سلسلة نصف شهرية ـ طبع دار المعارف)

ـ لطائف المعارف : الثعالبى ، تحقيق إبراهيم الإبيارى وحسن كامل الصيرفى .

(القاهرة ـ عيسى البابى الحلبى ـ ١٩٦٠)

ـ اللطائف والظرائف : الثعالبى : جمع الإمام أبى نصر أحمد بن عبدالرازق المقدسى .

(القاهرة ـ مطبعة صبيح ـ ١٣٣٤ هـ)

(م)

ـ مجانى الأدب فى حدائق العرب : الأب لويس شيخو

(بيروت ـ مطبعة الأباء اليسوعيين ـ ١٩٣٨)

ـ المحاسن والمساوئ : البيهقى ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

(القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٦١)

ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : الراغب الأصفهانى

(بيروت ـ منشورات مكتبة الحياة ـ ١٩٦١)

ـ محيط المحيط : بطرس البستانى

(بيروت ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٨٣)

ـ المخلاة : العاملى

(بيروت ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٧٩)

ـ المستجاد من فعلات الأجواد : التنوخى ، حققه محمد كرد على

(دمشق ـ مطبعة الترقى ـ ١٩٤٦)

ـ المستطرف فى كل فن مستظرف : الإبشيهى

(القاهرة ـ المكتبة التجارية ـ ١٣٠٨ هـ)

ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموى

(القاهرة ـ مطبعة دار المأمون ـ الطبعة الأخيرة)

ـ معجم الشعراء : المرزبانى ، تحقيق الأستاذ عبدالستار فراج

(القاهرة ـ عيسى البابى الحلبى ـ ١٩٦٠)

ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية

(القاهرة ـ دار المعارف ـ الطبعة الثانية ١٩٧٣)

ـ المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهانى ، تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلانى .

(القاهرة ـ مصطفى البابى الحلبى ـ ١٩٦١)

ـ مقامات أبى الفضل بديع الزمان : بديع الزمان ، شرح الأستاذ محمد عبده .

(بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين الطبعة الثانية ـ ١٩٠٨)

ـ المنتحل : الثعالبى ، صححه الأستاذ أحمد أبو على .

(الأسكندرية ـ المطبعة التجارية ـ ١٩٠١)

ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى

(دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣٥٨ هـ)

(ن)

ـ نثر النظم وحل العقد : الثعالبى

(القاهرة ـ المطبعة الأدبية ـ ١٣١٧ هـ)

ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب : النويرى ، صححه الأستاذ أحمد زين

(القاهرة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٦٨)

(و)

ـ الوافى بالوفيات : صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدى

(استانبول ـ مطبعة وزارة المعارف ـ ١٩٤٩)

ـ الورقة : ابن الجراح ، تحقيق الدكتور عبدالوهاب عزام ، والأستاذ عبدالستار فراج .

(القاهرة – دار المعارف – الطبعة الثانية)

ـ الوسطية العربية : الدكتور عبدالحميد إبراهيم محمد .

(القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٦)

ـ وفيات الأعيان : ابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس

(بيروت ـ دار صادر ـ ١٩٧٧)

(ى)

- يتيمة الدهر : الثعالبى ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد

(بيروت - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٩٤٧)

المخطوطات

- القصيدة الساسانية لصفى الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلى .

(مخطوط بدار الكتب المصرية - أدب ٣٢٨٧) .

الفهرس التفصيلي

تصدير

المقدمة :

الشخصية المكدية والطبقات الدنيا ـ الأسباب التى أدت إلى نشأة هذا الأدب ـ السر فى اختيار الموضوع للدراسة ـ ندرة ماكتب عنه فى كتب التراث ـ الدراسات الحديثة التى تناولت الظاهرة إما تصريحا أو تلميحا ـ هذه الدراسة والرغبة فى العمق والإفادة ـ أبواب البحث ـ أهم المصادر الرئيسية .

الباب الأول : التعريف بالكدية

فى اللغة :

المعنى اللغوى للكدية فى لسان العرب ـ تعدد معانيها اللغوية ـ عودتها إلى أصل واحد هو الامتناع بكل أشكاله ـ المسألة ودلالة لغوية جديدة للكلمة ـ المعنى اللغوى للكدية واقترابه من واقع الطائفة كما فى الحياة .

أسماء أخرى للطائفة :

(بنو ساسان) هذا الاسم مرادف للكدية ـ تعدد الآراء فى شخصية ساسان ـ الأصل الفارسى له ـ رأى الشيخ محمد عبده فى انتساب الكدية لساسان ـ الموطن الأصلى للكدية ـ انتساب شعراء الكدية إلى ساسان .

(الزط) اسم مرادف للكدية فى البصرة وبغداد ـ اختلاف الآراء فى هؤلاء القوم ـ بأس هذه الجماعة حتى زمن المعتصم ـ القضاء عليهم ـ الزط طائفة من الكدية .

(الصعلكة) الاتفاق بين المكدى والصعلوك فى التعبير عن هموم الطبقة التى يمثلانها ـ المكدى وجمعه للمال بالحيلة ـ الصعلوك يجمعه بالإغارة ـ التباين بين الشخصيتين .

(المفلوك) الفرق بين المكدى والمفلوك فى وصف الحال ـ تعدد طبقات المفلوكين ـ

كتاب (الفلاكة والمفلوكون) وحديث مسهب عن هذه الطبقات - الاختلاف بين المكدى والمفلوك في السمات وأسلوب التعبير.

(البخلاء) - أدب الكدية والصراع المستمر بين المكدى والبخيل . الكدية والساسانية أقرب المسميات إلى روح الطائفة - إخراج طبقة الشعراء المادحين من دائرة الكدية .

الباب الثانى : موضوعات أدب الكدية

الفصل الأول : الوصف

ملكة الوصف عند المكدى ـ تجاهله لوصف المجتمع وأسبابه ـ موضوعات الوصف عنده :

(وصف الذات):ـ وصفه لجسده المنهك ـ أبو الشمقمق وتصويره لجسده الواهن ـ أبو فرعون ووصفه لفقره ـ فقدان القوت عند المكدى ـ خلو طعامه من أساسياته ـ ابن الحجاج ووصفه لطعامه ـ المكدى يقارن بين ما يطعمه وكلاب أحد القادة ـ ابن سكرة وعدته للشتاء ـ أبو فرعون وتصويره لثيابه ـ وصف المكدى لحال أولاده ـ ملكية المكدى الخاصة ـ المكدى يصف سوء بخته ـ المكدى يصف مالديه من أمنيات حبيسة ـ اعتماد المكدى على التجسيم والتصوير فى وصفه ـ نقله لواقعه عبر وصفه .

(وصف المكان) :

افتقاد المكدى للمكان ـ أبو الشمقمق يقطن فضاء الله ـ البديع وافتراشه كمه ـ خلو منزل المكدى من أساسياته ـ البديع يتعجب من منزله القفر ـ ابن الحجاج يصف منزله - أبو الشمقمق ووصفه لسريره - منزل المكدى والظلمة - الحشرات الطفيلية ومنزل المكدى - مساجلات شعرية بين أبى الشمقمق وفئران وسنانير منزله.

(وصف الحيل والطوائف):

المكدى وبحثه عن الرزق ـ اعتماده على الحيلة ـ الحياة فرضت عليه هذا ـ تميز حيله باللطف والبراعة ـ المكدى يورث حيله لجيل يخلفه ـ المكدى يتفنن فى تطوير حيله ـ إحدى حيل المكدين ـ طوائف الكدية : طائفة اعتمدت على العاهة من أجل الكسب ـ طائفة اعتمدت على الشعوذة والتنجيم فى الرزق ـ طائفة ارتزقت بالاستجداء المشوب بالحيلة ـ الحرف العادية والارتزاق.

الفصل الثانى : الرحلة والتجوال

الكدية واعتمادها على السفر والتجوال ـ فلسفة الرزق عندهم ـ سعى المكدى من أجل نيل رزقه ـ أشهر الشخصيات المكدية الجوالة ـ أبو دلف ورسالتيه الجغرافيتين ـ مؤرخو الجغرافيا والرحالة وموقفهم منه ـ التجوال وأثره على ارتفاع صيت بعض أهل الكدية ـ اتساع تجوالات المكدى ـ افتخاره بذلك ـ وأثر ذلك على خبرته بالحياة ـ إفادة المكدى من أطايب البلاد التى ينزلها ـ أثر التجوال على البعد المعرفى له ـ المكدى لاينسى بلاداً بعينها .

الفصل الثالث : الاستجداء والطلب

أبو دلف وطائفة المستجدين ـ انحصار رؤيته حول الاستجداء فى دائرة واحدة ـ قواعد الاستجداء ـ طرق الاستجداء ـ الكلمات المحثة على العطاء ـ كلمات تقطع طريق الرفض ـ التخويف من عثرات زمان جائر ـ دوافع الاستجداء وأقسامه ـ استجداء الأعراب وأسبابه ـ الاستجداء الشخصى وأسبابه ـ أماكن الاستجداء ـ شكر المستجدى على العطية .

الفصل الرابع : المديح

المديح معبر لنيل القوت عند المكدين ـ افتقار طائفة الكدية للشعراء المادحين ـ اختلاف قصيدة المديح المكدية ـ صفات ممدوح المكدى الجمالية ـ الإشادة بجوده وبخاصة

يده ـ الحديث عن جوده ككل ـ صفات عدة فى الممدوح ـ أبو الرقعمق وممدوحه ـ اختلاف المديح باختلاف الشخصية ـ مقارنة بين الممدوح والطبيعة ـ تصريح المكدى بالطلب أمام ممدوحه ـ إفاضته فى شرح مراده ـ البديع وطلب العطاء ـ المكدى واستماحة ممدوحه ـ المكدى والقطع بالعطية ـ ترتيب طلبات المكدى من ممدوحه ـ طلب خاص بالمنزل – مايصلح من هندامه ولباسه – مطلوبات غير مألوفة في القصيدة المدحية العادية – المكدى المادح وشكره للمدوحه على عطيته – المكدى المادح يعقد مقارنة بين أصحاب العطاء – المكدى يبكى على فقد أحد ممدوحيه .

الفصل الخامس : الهجاء

المكدى يهجو لرفض طلبه ـ من اشتهر منهم بالهجاء ـ معانى الهجاء عند المكدى ـ المكدى يربط بين مهجوه وحيوانات عصره ـ أبو الشمقمق وتشبيهه لأحد السادة بالكليبة القليطية ـ هجوه لآخر بمسميات عدة ـ تشبيهه لآخر بالخنزير ـ ربطه بين الشكل الحيوانى والرائحة الكريهة فى هجوه ـ تعدد اتجاهات المكدى الهجائية ـ المكدى يهجو من يعيش بينهم ـ المكدى المتسول يهجو من يرفض طلبه ـ المكدى يهجو من يحجبه عن العطية – المكدى يهجو كل سيد باخل بالعطاء – المكدى يهجو من حرمه الطعام – هجاء المكدي للبلدان .

الفصل السادس : شكوى الزمان

المكدى يعاتب زمانه ـ أسباب ذم المكدى للزمان ـ المكدى يذم زمانه وهو يرى فيه مجتمعه ـ من اشتهر منهم بذم الزمان ـ الزمان وضنه بالجود ـ المكدى يضيق من فعال زمانه ـ إنعام الزمان على اللئيم والوضيع ـ رفعه للحقير ـ عطيته للأرزل ـ المكدى يجسم ضيقه من زمانه – تذرع المكدى بالصبر .

الفصل السابع : الحكمة

خصوصية الحكمة عند المكدى ـ محور حكمه ـ موقفه من الخلاعة والمجون ـ موقف

المكدى من الحياة ـ أثر رحلاته وتجوالاته على حكمه ـ أبو دلف ونظمه فى أثر التطواف عليه ـ قدرة المكدى على فهم طبائع البشر ـ خالويه المكدى وفهمه لطبائع النفس البشرية ـ نظرة المكدى للمال ـ نظرة المكدى للموت ـ حكم عامة ـ الفرق بين الحكم المكدية وحكم العرب القدامى .

الباب الثالث : الخصائص الفنية لأدب الكدية

الفصل الأول : بنـاء القصيدة

قصر القطع الشعرية ـ الأسباب الفنية والاجتماعية وراء ذلك ـ طبيعة موضوعات المكدي حالت دونه وطول القصيدة ـ تركيز الشاعر المستجدى على مايريده ـ المكدى والقصائد الطوال ـ تنوع المقدمات المكدية ـ أبو الرقعمق والمقدمات النمطية ـ مقدمته في الوقوف على الربع ـ أخرى فى معاهد اللهو ـ ثالثة فى الوقوف على الخيام ـ رابعة فى السقيا لدهر تولى ـ خامسة فى تذكر حماقاته ومجونه ـ ابن المخفف والخروج من أسر النمط الكلاسيكى ـ الدعوة إلى مديح الرغيف ـ أبو الرقعمق وتخليه عن مذهبه التقليدى ـ مقدمة ساخرة ـ البديع ومقدمة خمرية .

الفصل الثانى : اللغة

أقسامها ـ (لغة الأعراب) : اقتصارها على الأعراب المستجدين ـ خصائص هذه اللغة ـ الصنعة فى لغة الأعراب المكدين ـ نماذج لغوية سهلة .

(لغة الشعراء) : مميزاتها بين لغة الشعراء القدماء والمكدين - السلاسة اللفظية والسمة المميزة للشعراء المكدين - أبو فرعون ونموذج للسلاسة اللغوية - لغة الشعراء وقاموس العامة - نماذج من ذلك - ألفاظ الحشرات والمعجم اللغوى المكدي - السهولة اللفظية وموضوعات المديح والاستجداء .

(اللغة الخاصة) : معناها ـ الجاحظ أول من نوه عن مصطلحات الكدية ـ البيهقى واستكمال بداية الجاحظ ـ الخزرجى والحلى واتضاح لغة الكدية الخاصة ـ السبب فى

نظم القصيدة الساسانية ـ مخطوطة الحلى وثراء لغة الكدية ـ أسباب وضع لغة خاصة للكدية ـ محاور دراسة لغة الكدية ـ دراسة للأفعال ـ صيغ الجمع ـ اشتراك الكلمات المكدية مع البنية الصرفية العربية ـ نماذج من الكلمة وعكسها ـ الترادف ـ المشترك اللفظى ـ الاشتقاق ـ الكلمات ذات الأصول الفارسية ـ المجالات الدلالية للغة الكدية الخاصة .

الفصل الثالث : الصور والمحسنات :

افتقار أدب الكدية للصور والمحسنات ـ السجع وارتباطه بالأعراب المستجدين ـ أقسامه ـ نموذج لسجع مصنوع ـ السجع المقبول ونماذجه ـ وجوه السجع عند المكدى ـ الدافع للاستجداء وكثرة استخدام المكدى للسجع ـ التشبيه أقرب الصور الفنية لأدب الكدية ـ أسباب استخدام المكدى للتشبيه ـ المكدى ينقل واقعه عبر تشبيهه ـ صور التشبيه عنده .

الفصل الرابع : الأوزان

أشهر البحوَر الخليلية المستخدمة عند المكدى ـ المكدى ينظم على البحور المألوفة ـ استخدامه للبحور ذوات التفعيلة الواحدة والممتزجة ـ الغالب على شعره منها ـ الأوزان المجزوءة والصورة الإيقاعية ـ استخدامها فى موضوعات عدة ـ البحور الكاملة والإيقاعات التنغيمية ـ الاضطرابات العروضية عندهم وأسبابها .

الفصل الخامس : القصة الشعرية

المكدى وملامح القصة الشعرية ـ مفهوم القصة عنده ـ القصة الشعرية عند أبى الشمقمق ـ المساجلات الشعرية وأقربها إلى الفن القصصى ـ ملامح القصة فيها .

الفصل السادس : الفكاهة

توسل المكدى بالفكاهة ـ تفرد المكدى بها ـ الفكاهة جانب من شخصيته ـ نماذج تحمل

خفة الروح ـ توظيف المكدى للفكاهة فى موضوعاته ـ السخرية والتهكم فى شعر الكدية ـ الرقى الفنى للفكاهة ـ نماذج من فكاهة الأعراب المستجدين ـ عفوية الفكاهة عندهم ـ نوادر السؤال ـ الوضع فى الفكاهة المكدية .

الفصل السابع : تطور شخصية المكدى :

الشخصية المكدية وأهل الأدب ـ الجاحظ وشخصية خالويه المكدى ـ الأزدى وحكاية أبى القاسم البغدادى ـ شخصية المكدى والمقامات ـ ملامح مكدى المقامات ـ أماكن استجدائه ـ طريقة ظهوره ـ كشفه للواقع ـ تندره على السلطة ـ سعة حيله ـ تفرده ببعض منها عن مكدى الواقع - الملامح الفنية لمكدى المقامات - المقارنة بينه ومكدى الواقع .

ـ مُعجـم مُصطلحـات الكديـة

ـ مخطوطة للغة الكدية الخاصة

- الخاتمة (ملخص البحث - النتائج - مقترحات)

ـ ثبت المصادر والمراجع

الفهرس العام

رقم الإيداع والترقيم الدولى

I.S.B.N. 977-5200-00-8 ـ ١٩٩١/٢٦٥٠

دار الهداية

٣٩ ش الإخلاص ـ دار السلام ـ القاهرة